موسوعة الأنبا بيمن
المجلد الثاني

الأصوام والأعياد
الجزء الأول

إعداد

مثلث الرحمات نيافة

الأنبا بيمن

تقديم

الأنبا ديمتريوس

أسقف ملوي وأنصنا والأشمونين

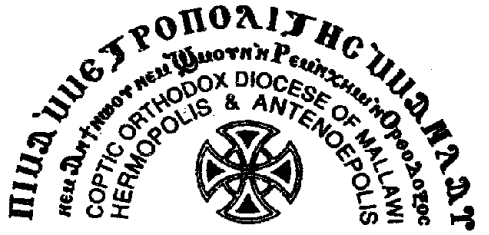

مطرانية ملوى وأنصنا والأشمونين للأقباط الأرثوذكس

موسوعة الأنبا بيمن

المجلد الثانى

الأصوام والأعياد

الجزء الأول

تقديم

الأنبا ديمتريوس

أسقف ملوى وأنصنا والاشمونين

اســـم الكتـــاب : المجلد الثانى من موسوعة الأنبا بيمن

الأصوام والأعياد جـ ١

اســـم المؤلـــف : المتنيح الأنبـــا بيمـــن

اســـم المطبعـــة : مطبعة مطرانية ملوى

جمـــع تصـــويرى : بمطرانية ملوى .

رقـــم الايـــداع : ٢١٩٩ / ٧٣

الطبعـــــــة : الثالثة ٢٠٠٨ .

Ⲡⲁⲡⲁ ⲁⲃⲃⲁ Ϣⲉⲛⲟⲩϯ

Ⲡⲓⲙⲁϩ ⲅ̅ (ⲡⲓⲙⲁϩ ⲣⲓⲍ̅)

H.H.pope Shenouda III,117th

Pope and Patriach of Alexandria and the See of St. Mark

قداســـة البـــابا شنـــودة الثـــالـــث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مثلث الرحمات نيافة الحبر الجليل

الأنبـــا بيمـــــن

Ⲁⲃⲃⲁ Ⲇⲏⲙⲏⲧⲣⲓⲟⲥ

Ⲡⲓⲉⲡⲓⲥⲕⲟⲡⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉ Ⲙⲁⲛⲗⲁⲩ ⲛⲉⲙ Ⲁⲛϯⲛⲱⲟⲩ ⲛⲉⲙ `Ϣⲙⲟⲩⲛ

H.G. Demetrius

Bishop of Mallawi, Hermopolis & Antenoepolis

الأنبـــا ديمتريـــوس

أسقف ملـــوى وأنصنـــا والأشمونيـــن

مقدمة طبعة اليوبيل الفضى

لإعادة تأسيس الإيبارشية

لحياة ومؤلفات نيافة الحبر الجليل مثلث الرحمات

الأنبا بيمن

أسقف ملوى وأنصنا والأشمونين

يسعدنى فى مناسبة اليوبيل الفضى لإعادة تأسيس الإيبارشية وتجليس نيافة **الأنبا بيمن** أسقفاً لها فى ١٩ / ٦ / ١٩٧٦م أن أقدم هذه الطبعة فى شكل موسوعة لحياته ومؤلفاته فى ثلاثة عشر مجلداً .

والتى تظهر مدى إخلاصه وتفانيه فى خدمة الكنيسة بوجه عام وكذلك دوره الكبير فى خدمة الإيبارشية ونهضتها روحياً واجتماعياً وتنموياً .. وفى كل المجالات . نيح الله نفسه البارة فى فردوس النعيم ونفعنا الله بصلواته وسيرته المباركة وأقواله ومؤلفاته وعظاته البناءة . وليعيننا الله كما أعانه لنكمل أيام غربتنا بسلام .

بصلوات الجالس على عرش القديس مارمرقس الإنجيلى قداسة البابا المعظم **الأنبا شنودة الثالث** والذى إليه يرجع الفضل فى تركيز الرعاية والخدمة فى هذه الإيبارشية التى كانت قبل خمسة وعشرون عاماً جزءاً صغيراً من إيبارشية المنيا والأشمونين والتى كانت تمتد من سمالوط شمالاً إلى ملوى جنوباً .

بنعمة الله

ديمتريوس

أسقف ملوى وأنصنا والأشمونين

مقدمة الطبعة الثالثة

يسعدنى أن أقدم للطبعة الثالثة من موسوعة مثلث الرحمات نيافة الحبر الجليل **الأنبا بيمـــن** أول أسقف لايبارشية ملوى وأنصنا والأشمونين فى العصر الحديث .

أشكر الله الذى أعطانى بركة الخدمة خلفاً لهذا الاسقف المبارك النشيط . والذى ترك لنا رصيداً من الخبرة الروحية والتعاليم النافعة إلى جانب سيرته المقدسة .

أطلـب مـن الله أن تكـون هـذه الكلمـات لمنفعـة الكثيريـن بشفاعـات **أمنـا العـذراء القديسـة مريـم** وطلبـات كاروز ديارنـا المصريـة القديـس **مارمرقس الانجيلى** وصلوات أبينا الحبيب حضرة صاحب الغبطة والقداسـة البابـا المعظـم **الأنبا شنودة الثالث** ولالهنا المجد دائما أبدياً أمين .

بنعمة الله

ديمتريـــوس

أسقف ملوى وأنصنا والأشمونين

محتويات الكتاب

(المجلد الثانى من الموسوعة)

مقدمة طبعة اليوبيل .....

١ــ الصوم الكبير ٨١

٢ــ صوماً روحانياً ٩٧

٣ــ التجسد الالهى ١٢٩

٤ــ مجد وسلام ومسرة ١٤٥

٥ــ ذهباً ولباناً ومراً ١٦٣

٦ــ الميلاد الثانى ١٧٣

٧ــ القيامة ومشكلات الشباب ٢٠١

٨ــ القيامة وحياتنا الروحية ٢١٩

٩ــ عيد الصعود الإلهى..... ٢٣٥

١٠ــ السماء الثانية ٢٥١

الصوم الكبير

الصوم الكبير

لاهوتياً ـ كنسياً ـ روحياً

الكنيسة والصوم الكبير

يعتبر الصوم الكبير ربيع الحياة الروحية فى الكنيسة كلها . فيه تنمو الاشتياقات الروحية وتزدهر ، وتمتلئ البيعة بموجة نسكية ويسود جو العابدين مسحة من التقشف والاعتكاف والصلوات الممتدة والصمت والتأمل العميق .

والصوم الكبير يمتد تاريخه إلى العصر الرسولى ، فالمؤمنون يصومون فيه على مثال صوم الرب ، ويختمونه بأسبوع البصخة وعيد الفصح ، وقد جاء فى تعاليم الرسل بخصوص الأربعين المقدسة ما نصه " فليكن عندكم جليلاً صوم الأربعين تذكاراً للفضائل والحسنات التى للرب ، وليكمل هذا الصوم قبل الفصح ويكون بدؤه من يوم الاثنين الثانى من السبوت وكماله يوم الأحد الذى قبل الفصح ، وبعد هذا اهتموا أن تكملوا أسبوع الفصح المقدس وتصوموا كلكم بخوف ورعدة " (دسقولية ١٨ ف ١٠) .

والكنيسة توصى أبنائها بالصوم الأربعينى لأنها تسير فى إثر خطوات الرب نفسه وتهتدى بهديه وتختط نفس الدرب الذى سار عليه عندما كان فى الجليل والناصرة ، إن الكنيسة هى امتداد التجسد ، لهذا تحرص على أن تكون حياة الرب المتجسد نموذجاً يتبعه كل عضو فى الجسد ، فقد جاء تاركاً لنا مثالاً لكى نتبع خطواته ، والصوم هو أحد أركان الحياة التى عاشها الرب على الأرض إذ صام أربعين يوماً وأربعين ليلة بسر لا ينطق به ، وهكذا رسم للكنيسة أن تصوم معه لكى تتم من خلال هذه الحياة النسكية مقاصده الإلهية وتدابيره المقدسة فى هذا العالم فطاعة الكنيسة لمنهج الرب أمر يفسر لماذا حرصت الكنيسة طيلة عصورها على عدم التنازل عن حياة الصوم والتقشف ، وبالأخص هذا الصوم الذى قدمه الرب نموذجاً يحذى .

وليس الصوم هدفاً فى حد ذاته ، وإنما هو مجال لممارسة الفضائل الروحية من صلاة وخلوة واعتكاف وصمت وهدوء وتأمل ونسك وبذل ورحمة واحتقار لأباطيل العالم ، هذه هى الترجمة العملية لمنهج الرب الذى عاش مصلوباً منذ تجسده حتى موته بالجسد .

فالصوم هو أحد قسمات الصليب الذى حمله الرب وأوصى الكنيسة أن تحمله معه " إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى" (مت ١٦ : ٢٤) ، وفى هذا يقول الرسول بولس " إنى حامل فى جسدى سمات الرب يسوع " (غلا ٦ : ١٧) .

وإذا كان الرب قد أخلى نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب فليس العبد أفضل من سيده ولا التلميذ أفضل من معلمه .

فالمؤمن مطالب أن يجحد ترف الحياة وأباطيلها الفارغة ومباهجها الزائفة ليحيا مع المسيح فى منهجه النسكى ليغلب كما غلب هو ، والرب وعد أن يعمل فى الكنيسة بروحه القدوس طالما الكنيسة أمينة فى شهادتها مصلوبة لأجل عريسها .

وتهدف الكنيسة من الصوم الأربعينى – فضلاً عن بركات الصوم الروحية – أن تعد المؤمنين لاستقبال أسبوع البصخة المقدسة بعد ضمه إلى نهاية الصوم ، فهذا الأسبوع هو قمة الحياة الروحية وعمق حياة الشركة المقدسة ومنتهى السمو للنفس المكرسة الخاضعة الهادفة أن تتحد مع المسيح فى آلامه وموته وقيامته ، فيكف إذاً لشعب لاهٍ أن يستقبل أسبوع الآلام ؟ وكيف يمكن لجماعة متخمة بالأطعمة والموائد وخمار هذا العالم أن تتبع المسيح فى أحزانه وآلامه المقدسة، وكيف يمكن لشعب منهزم لخطايا وشهوات عدة أن يعيد عيد النصرة والغلبة والقيامة المجيدة ؟ الصوم الأربعينى هو المجال الذى تتدرب فيه النفس الروحانية على الانطلاق والتحليق فى السماويات وتقديم عهود التوبة والانسحاق وعربون النية الحقيقية للموت مع ذاك الذى مات لأجلنا وقام .

لماذا صام المسيح أربعين يوماً ؟

فى بداية العهد القديم كان صوم ، وفى بداية العهد الجديد كان صوم أيضاً. فى الجنة كانت وصية الصوم والامتناع عن شجرة معرفة الخير والشر وفيها سقط آدم كاسراً هذه الوصية ، وبمعصيته طردنا من الفردوس حتى جاء آدم الثانى وصام ليكسر شوكة الموت ويعيدنا إلى الفردوس الذى فقدناه ، وفى هذا يقول اللاهوتى شممان Schmemann " إذا كان الإنسان قد رفض الحياة المقدمة له من الله وفضل الحياة المعتمدة فقط على الخبز فإنه لم يعصى الرب فقط وإنما هو فى الحقيقة غير العلاقة الوطيدة التى بينه وبين العالم " .

إن العالم قد قدم له كطعام ، والطعام كان مقوماً أساسياً للحياة ، والحياة قد قصد بها الشركة مع الله ، فلم يكن الطعام هدفاً فى حد ذاته وإنما وسيلة للشركة مع الله الذى فيه الحياة والحياة نور الناس .

العالم والطعام خلقاً كوسائط للشركة مع الله ، فإنهما إذا أخذاً من يد الله فإنهما يصبحان وسائط حياة حقيقية ، ولكن الطعام فى حد ذاته ليس فيه حياة ولا يمكنه أن يعطى حياة ، الله وحده هو الحياة .

سر الحياة إذاً ليس فى الطعام وإنما فى العمل الإلهى الذى فيه ، إن أكلنا من يد الله فإننا نحيا من خلال شركتنا معه ، ولكن مأساة آدم إنه أكل بعيداً عن الله ، أنه آمن بالطعام كما لو كان هدفاً فى حد ذاته فأضحى الطعام والعالم إلهاً له وصار آدم عبداً لهذا الإله .

قد يدعى الإنسان الجسدى أنه يؤمن بالله ، ولكنه لا يستطيع أن يدعى أن الله هو كل حياته ، غذاؤه ووجوده وكيانه ، هذه هى مأساة الإنسان وخطيئته الكبرى أنه لم يجعل الله حياته ، فجاء آدم الثانى ليصلح الفساد الذى ابتليت به حياة آدم ، جاء ليعيد للإنسان الحياة الحقيقية .

لهذا بدأ بالصوم وجاع بعد أن صام أربعين يوماً ، عندما أجوع فإنى أكشف ما فى داخل نفسى .

+ إما إنى أخشى الموت جوعـــاً .

+ وإما أن أكون مستقراً مكتفياً بما فـــى داخلـــى .

إنه الوقت الذى فيه أواجه السؤال الحتمى ، على مـــا تعتمـــد حيـــاتى ؟

لقد جاءت التجربـــة لآدم الأول ولآدم الثـــانى ، وكـــان كـــل منـــهما جائعـــاً ، وقـــال الشيطان لهما كلاما حتى يجعل حياتهما مـــن الخـــبز ، آدم الأول وافـــق علـــى أن يجعـــل الخبز مصدر حياته ، وآدم الثانى رفـــض الإغـــراء وقـــال " ليـــس بـــالخبز وحـــده يحيـــا الإنسان بل بكل كلمة تخرج مـــن فـــم الله " ، إنـــه رفـــض الأكذوبـــة التـــى خـــدع بـــها الشيطان آدم ثم ألقى بها علـــى العـــالم كلـــه ، وهـــى لا تـــزال إلـــى الآن طـــابع الحيـــاة الإنسانية فى العلم والفن وكافـــة الأنشـــطة .

الصوم عند المسيحيين إذاً هو مدخل وإسهام فى خـــبرة المســـيح نفســـه التـــى بـــها يحررنا من اعتمادنا الكلى على الطعام والمادة والعالم ، إننـــا لا نـــزال نحيـــا فـــى عـــالم آدم الأول ، ولا نزال نعتمد على الطعام ، لهذا عبر الابـــن الكلمـــة المتجســـد وادى ظـــل الموت ليعطينا الحياة التى يحياها مع الآب ، حياة المجد والفـــرح والحـــب الإلـــهى ، لقـــد أعطى الرب بغلبته على الشيطان فى البرية قوة نصرته لكـــل مـــن يؤمـــن بـــه ، وصـــار لكل من يحيا بالإيمان بالمســـيح قـــوة الغلبـــة علـــى شـــهوة الخـــبز وتجربـــة الاعتمـــاد والاتكال على لقمة العيش ، المسيحى يتجرد بالصوم مـــن الحيـــاة حســـب الجســـد ليحيـــا حسب الروح ومن ثم يصبح الله كل غذائه وشـــبعه وحياتـــه .

إنه الصوم الذى يصنع هذا التحول ، إنه الصوم الذى يعطينـــا فرصـــة التـــأكد مـــن رفضنا الاعتماد على المـــادة والطعـــام ويبقيـــان مجـــرد وســـيلة ومجـــال لنيـــل البركـــة والنعمة الإلهيـــة .

بالصوم نستعيد طبيعتنـــا الروحيـــة الحقيقيـــة ونتحـــدى الأكذوبـــة والكـــذاب الـــذى خدعنا فى أن نعتمد على الطعام فى حياتنا ونبنـــى علـــى قـــاعدة لقمـــة العيـــش معارفنـــا

وعلومنا ووجودنا كله ، الصوم هو فضح لـهذه الأكذوبـة ، أنـه كشـف للوهـم والغـش والخـداع .

إنه المعركة الحقيقية ضد الشيطان لأنه تحد لقانونـه ومنهجـه الـذى بـه يـترأس على العـالم .

فإذا صام المؤمن وجاع واكتشف أنه بالحقيقـة راض ومسـتقر رغـم هـذا الجـوع ثم حول هذا الجوع إلى طاقة روحية وانتصار فإن شيئاً لا يبقـى مـن الأكذوبـة الكـبرى التى سرت من بدء الخليقة حتى الآن ، ولكن يلزمنا أن نشير إلى أنـه ليـس كـل جـوع هو حالة روحية ، فهناك جوع لأجل إنقاص الـوزن ، وجـوع لأجـل الانتحـار ، ولكـن الجوع فى كنيسة الله هو جوع لأجـل الله ، مـن أجـل هـذا يلـزم أن يرتبـط الصـوم بالصلاة لأجل الانتعـاش ، فبـدون أن تتغـذى نفوسـنا علـى الحـق وبـدون ارتباطنـا بالطاقة الروحية من خلال الصلاة والقراءات الروحية فلا معنـى للصـوم إطلاقـاً .

وإذا كان السيد المسيح قد انتصر على الجوع ليعطينا الغلبـة علـى تجربـة الخـبز فإن الرب وهبنا أيضاً جسده ودمه الأقدسين كخبز سماوى ووعدنـا بـأن كـل مـن يـأكل جسده ويشرب دمه يثبت فيه وينال الحياة الأبدية ، فمـن خـلال سـر الأفخارسـتيا نتحـد بالرب الظافر وننال قوته ونصرته ، وهذا هـو سـر حـرص الكنيسـة علـى أن تجعـل صوم أبنائها مقترناً بالتناول حتى تتقدس ذبيحة صومنـا فـى ذبيحـة الأفخارسـتيا وننـال من خلالها قوة ونصرة وشبعاً وضماناً لعدم العودة إلـى الخـبز كمصـدر وعمـاد للحيـاة أى ألا ننتكس ونرتد إلى خطيئـة أبينـا آدم الأول .

فى الصوم الأربعينى تطلب الكنيسة من أبنائـها أن يجـاهدوا كمـا جـاهد المسـيح فى البرية وانتصر ، تطلب منهم أن يجوعوا معـه لينتصـروا علـى جوعـهم ويصعـدوا طاقتهم إلى صعيـد روحـى ويفضحـوا الأكذوبـة القائلـة إن الإنسـان يـأكل ليحيـا ، ويؤكدوا حقيقة أن الله وحده هو الخبز الحقيقى والحياة الحقيقية ، وكـل مـن يأكلـه يحيـا به إلى الأبـد .

كيف نصوم الصوم الأربعيني ؟

نود أن نجيب على هذا السؤال في اختصار وتركيز مشيرين إلى العناصر الهامة الآتية :

١ــ بجدية وإخلاص قلب

ليس الصوم مجرد شكليات ، إنه مضمون قبل أن يكون شكلاً ، إنه حياة قبل أن يكون طقساً وترتيباً ، فالامتناع عن اللحم والشحومات والتسليات هو الجانب السلبي للصوم ، وأما الجانب الإيجابي فهو الحياة الروحية النشطة التي فيها التوبة وقرع الصدر والندم والمطانيات ، فيها الصمت والهدوء ، وفيها النسك والتقشف ، فيها فحص النفس والتأمل الباطني وفيها أيضاً التعمق في كل ما يختص بالحياة الداخلية .

إنه من الأيسر للإنسان أن يحول كل ما هو روحي إلى ما هو شكلي ثم يبحث بعد ذلك عن الروحانية وراء الشكليات ، أما الصوم الكبير فهو قوة روحية ونبع فياض لكل من تلامس مع جوهره ومضمونه السري .

إن الكنيسة الكاثوليكية والهيئات البروتستانتية في الغرب اختصروا الصوم ثم تخلصوا منه نهائياً في أماكن كثيرة من العالم وقد نعيب عليهم هذا الضعف والهزال الروحي ، ولكن إذا كانت الأرثوذكسية تفتخر بعدم تعديلها مواعيد الأصوام فإنها تحتاج في هذه الأيام أن تتمم التزام الصوم بجدية وعمق .

إن أخطر ما يهدد الجدية في الصوم المظهرية والشكلية والفريسية والاكتفاء بما هو خارجي دون التعمق في الداخل .

يقول الرب يسوع " وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك لكي لا تظهر للناس صائماً بل لأبيك الذي في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية " (مت ٦ : ١٧ ، ١٨) .

أن نأخذ الصوم بجدية هذا يعنى أن ننظر إليه على أنه تحد روحى يستلزم تهيئة واستعداداً وصلاة ثم فحصاً وعزيمة وتصميماً ثم نضالاً ودأبا وجهاداً للنصرة على أعداء المؤمن الثلاث الشيطان والعالم والذات .

٢ــ بتوبة وتذلل مع فرح داخلى

يقول الوحى على لسان يوئيل النبى " ارجعوا إلىّ بكل قلوبكم وبالصوم وبالبكاء والنوح ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم وارجعوا إلى الرب إلهكم لأنه رؤوف ورحيم " (يوئ ٢ : ١٢ ، ١٣)، ويقول داود النبى " أذللت بالصوم نفسى " (مز ٣٥ : ٢٣) .

وعندما تاب أهل نينوى وقدموا صوماً وتذللاً قبلهم الرب ، وعندما صام آخاب الملك الشرير وقدم توبة وندماً رضى الرب عنه .

فالصوم الكبير هو مجال متسع للتوبة ، لهذا نجد قراءات الكنيسة فى أغلب مناسبات هذا الصوم تقدم نصوصاً وشروحات عن حياة التوبة .

الأسبوع الأول دعوة إلى احتقار أباطيل العالم ورفض لمحبة المال ، والأسبوع الثانى دعوة إلى الصلاة والأمانة وعدم الرياء ومواجهة العدو فى كل تجاربه ، والأسبوع الثالث سيرة الابن الضال كأحسن مثال لحياة التوبة ، أما الأسبوع الرابع فأننا نقابل السامرية التى قدمت توبة مذهلة وتغيرت حياتها بفعل الكلمة وإنجيل الخلاص ، وفى الأسبوع الخامس تبرز لنا الكنيسة أهمية الإيمان فى التجديد وخطورة النكسة الروحية فى التوبة عندما تقدم لنا نموذج المخلع ، وأما أحد التناصير فهو أسبوع توبة ، وأما أحد التناصير فهو أسبوع توبة المعمودية والتوبة المقصودة هنا هى التغير الكامل فى الداخل والأعماق والأهداف .

ويقول اللاهوتى شممان إن أعمق تغير يحدثه الصوم الكبير فى النفس البشرية هو أنه يغير اتجاه الشخص واتجاه الجماعة فبدلاً من أن يكون الخبز ولقمة العيش محور اهتمامهم يصبح الكلمة هو مصدر حياتهم .

ولكن يلزمنا أن نشير إلى أن التوبة فى المسيحية خالية من الحزن المرير وفى هذا يقول المطران جورج خضر : " إن التوبة والتذلل يلزم أن يرفع عنها الحزن المرير لأن المسيح رفع عنا حزن الخطية وعقوبتها ، فالصوم فى المسيحية ليس تكفيراً ولا قصاصاً ولا نحيباً وإنما هو وسيلة وطريقة صلاة واستدعاء للروح وحنين إلى الفردوس ومنطلق من قيامة المسيح ومرتقب لهذه القيامة .

لأجل هذا طلب منا المسيح ألا نكون عابسين بل أن ندهن رؤوسنا ، أن نمتلئ من بهجة الخلاص وفرح الروح ، فرح العريس الذى يحضر مع أبيه بفعل روحه القدوس ، يكفينا فى توبتنا أن نمتلئ فرحاً وعزاء وسلاماً عندما نسمع مع المرأة الخاطئة القول الإلهى " مغفورة لك خطاياك اذهبى بسلام " .

٣ــ باعتكاف وصمت وهدوء وتقشف

الصوم أسلوب حياة ، إنه سعى نحو الحياة الباطنية متخلصة من كل مشتت خارجى ، المجتمع الخارجى يسعى إلى تبديد قوانا الجسمية والنفسية والعقلية والروحية ، والحياة الروحية هى سعى نحو تجميع هذه القوى وإخضاعها للروح ، بدون تفهم ، معنى الصوم الكبير أنه رحلة إلى أعماق الإنسان فإن الصوم يفقد معناه ويبتعد كثيراً عن جوهره الأصيل .

الصوم الكبير مجال واسع للتأمل والتعمق واكتشاف سطحيتنا وزيف علاقاتنا مع الناس والأشياء ، فالابتسامات السطحية والحياة القائمة على " معلهش ، صهين ، كله زى بعضه ، الدنيا ماشيه كده .." وغيرها من الشعارات التى نتبعها فى حياتنا وتشير إلى النفاق والغش والدبلوماسية والخلو من العمق والصدق والالتزام .

هذه كلها لا تتكشف إلا فى الهدوء " بالرجوع والسكون تخلصون ، بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم " (أش ٣٠ : ١٥) .

الصوم الكبير زمن للنسك والتقشف ورفض للمسرات مثل الملاهى والمآدب والزيارات الكثيرة للمجاملات وسعى نحو الانضباط الداخلى لكى تفحص الحياة

الباطنية فحصاً دقيقاً ، ومن خلال هذا الفحص تكتشف كل الصفات وتقدم النفس التوبة وتطلب النعمة للتغير والتحول ، فى الصوم الكبير مجال للسيطرة على كلامنا وثرثرتنا .

إن ألفاظنا فى طوفان الأحاديث قد فقدت معناها وبالتالى قوتها .. المسيحية تعيد إلى الكلمة قدسيتها وسلطانها ، إن الصوم يضبط اللسان حتى لا ندان " بكلامك تتبرر وبكلامك تدان " ، الثرثرة غالباً ما تأتى من العجب والزهو الباطل والرغبة فى مديح الناس ، الثرثرة تفتح أبواب النفس وتجعل الحرارة والخشوع يهربان من القلب " الثرثرة تفتح أبواب النفس وتجعل الحرارة والخشوع يهربان من القلب ، الثرثرة تخرج الإنسان عن نفسه والأحاديث الباطلة تغرس الخصومات والنزاع وتجلب البلادة ، وكثرة الكلام لا تخلو من معصية ، الصمت كما علمنا آباؤنا القديسون هو قوة عظيمة نستعين بها فى محارباتنا الروحية ، هو سلاح للنصرة وعلامة الحكمة الروحية وسر الحياة الباطنية فى الصوم الكبير نتذوق ثمرة الصمت الشهية فنتدرب على التجمع الداخلى وبطلان التمزع والتشتت ، العالم الآن يحتاج إلى شهادة لا بالوعظ والكلام الكثير بل بقديسين يحملون نوراً وفرحاً وعمقاً وجدية وحباً ولهم سر الصمت وقوة الهدوء كدلالة أكيدة على حضور الله فيهم .

٤ــ بعطاء وبذل

تقول مديحة الصوم الكبير الشهيرة " طوبى للرحماء على المساكين ، فإن الرحمة تحل عليهم ، والمسيح يرحمهم فى يوم الدين ويحل بروح قدسه فيهم " وليس غريباً على الصوم أن يقترن بعمل الرحمة ، فى هذا يقول زكريا النبى : " هكذا تكلم رب الجنود قائلاً احكموا حكم الحق واصنعوا الرأفة والمراحم كل إنسان إلى أخيه ، لا تظلموا الأرملة ولا اليتيم ولا الغريب ولا البائس ولا تفكروا شراً الواحد على أخيه " (زك ٧ : ٨) .

وهناك قول رائع لأشعياء النبى وإيضاح جميل لمعنى الصوم وفهم أصيل لارتباطه بالرحمة والبذل : " أليس هذا صوماً أختاره : حل قيود الشر ، فك عقد النير وإطلاق المسحوقين أحراراً وقطع كل نير ؟ أليس أن تكسر للجائع خبزك وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك ، إذا رأيت عريانا أن تكسوه وأن لا تتغاضى عن لحمك " (أش ٥٨ ، ٣ - ٧) .

وقديماً كان آباؤنا يصومون ليعطوا أكثر للفقراء والمحتاجين لأن " الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هى هذه افتقاد اليتامى والأرامل فى ضيقتهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم " (يع ١ : ٢٧) ، والرسول بولس يعبر عن العطاء للفقير بالذبيحة المقبولة إذ يقول : " ولكن لا تنسوا فعل الخير والتوزيع لأن بذبائح مثل هذه يسر الله " (عب ١٣ : ١٦) .

فإذا كان الصوم بذلاً داخلياً فإن الرحمة والعطاء تعبير أكيد عن الحركة الروحية الداخلية الحادثة بفعل الصوم والنسك المسيحى الأصيل .

ماذا يحدث لو لم أصم ؟

المسيحى الحقيقى عضو فى جسد المسيح السرى الذى هو الكنيسة ، وهو لا يشذ عن الجماعة لأن العضو إذا خرج عن الجسد يفسد ويسبب للجسد آلاماً مبرحة، المؤمن يصوم لأن الكنيسة تصوم ، فهو منها ومعها وفيها ، الذى لا يصوم الصوم الأربعينى يخطئ إلى نفسه ويخطئ إلى الكنيسة أيضاً لأن الروحانية الأرثوذكسية ليست روحانية فردية وإنما هى روحانية شركة ، وقديماً كانت كنيسة الرسل تحيا حياة الشركة هذه إذ كان المؤمنون يواظبون على تعليم الرسل،والشركة وكسر الخبز والصلوات ، وإذ هم يكسرون الخبز فى البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب مسبحين الله ولهم نعمة لدى جميع الشعب ، وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس " افرزوا لى برنابا وشاول ولما صلوا نزعزع المكان وامتلأ الجميع من الروح القدس " (أع ٢ ، أع ٤) .

فى هذا يقول المطران جورج خضر " إن الكنيسة بأسرها كجسم واحد يجب أن تكون مصلوبة عن أهواء الجسد عن طريق قمع جموحه وشراسته وأن تأخذ بعين الجد قضية آلام ربها " . ويعلمنا الرسول بولس عن الجماعة فى الجهاد الروحى قائلاً : " فقط عيشوا كما يحق لإنجيل المسيح حتى إذا جئت ورأيتكم أو كنت غائباً أسمع أموركم أنكم تثبتون فى روح واحد مجاهدين معاً بنفس واحدة لإيمان الإنجيل " (فى ١ : ٢٧) .

من هذا المنطلق نستطيع أن نفهم أهمية الشركة فى الصلاة ، والصوم ، والتناول ، والعبادة كلها ، ذلك لأن الاختبار الروحى أرثوذكسياً وإن كان له البعد الشخصى الذى يركز على العلاقة الشخصية بين المؤمن والله ، ألا أنه يتميز بالطابع الكنسى الذى فى إطاره لا يستطيع المؤمن أن يخلع نفسه عن وحدة المؤمنين العابدين الذين يصلون عنه ويصلى هو معهم وعنهم والجميع يلفهم جو روحى وجهاد مشترك .

مفاهيم غريبة عن معنى الصوم

١ــ ليس الصوم إذلالاً للبدن

يظن البعض أن الصوم هو لإهلاك الجسد وإضعافه وسر هذه النظرة الخاطئة عدم تفهم بعض أقوال الكتاب المقدس مثل " أقمع جسدى وأستعبده " ، " الجسد يشتهى ضد الروح والروح يشتهى ضد الجسد " ، والحقيقة أن مفهوم الجسد هنا لايعنى البدن أو الهيكل الجسدى وإنما يعنى الإرادة الفاسدة والإنسان العتيق ، والذى أدخل إلى التصوف المسيحى مفهوم النسك الخاطئ القائم على منهج الثنائية بين الجسد والروح العقيدة الأفلاطونية التى تسربت إلى المسيحية وكانت تنادى بأن العالم المادى ليس من أعمال الله وأن كل ما هو مادى إنما هو حقير وكل ما هو مجرد فهو راقى ، هذا الاتجاه لا يوافق مقاصد الله من الإنسان وإنما هو فكر أفلاطونى ينظر إلى الجسم كسجن للعقل وللجسد كمقبرة للروح ، أما الكتاب المقدس

فهو دائما أبدا يرفض نظرية الثنائية تماما ويؤكد مبدأ وحدة الجسد والنفس " السيكوفسيولوجى " . وقد علمنا الأباء أن النسك لايجب أن ينحرف إلى الدرجة التى نقسو فيها على أجسادنا فتعاق عن تأدية واجبات الحياة بنشاط ، وأن التركيز كله ينبغى أن يكون داخليا موجها إلى الإرادة التى تسوقنا إلى الشهوة والخطية .

إن الصوم ليس نوعا من الكبت والحرمان وليس هو فريضة ثقيلة مفروضة على النفس من الخارج وإنما هو حب وانتعاش للروح وتخلية إرادية عن شهوة الطعام للإعلاء بها نحو حب الله .

الصوم إذا ليس إذلال للبدن وإنما هو إذلالا لشهوة الجسد وليس هو إضعافا للجسد وإنما هو إماتة للجموح والانحراف والإرادة الفاسدة التى تسكن الجسد .

٢ــ ليس الصوم تكفيرا عن الخطايا

يظن البعض أن الصوم تكفيرا عن الخطايا ، وأنه يمحو الذنوب والآثام ، ولكن الحقيقة أنه ليس من وسيلة للغفران إلا دم يسوع المسيح وحده إذ يقول الكتاب " متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله " (رو ٣ : ٢٤ ، ٢٥) ، ويقول أيضا " هذا هو حمل الله الذى يرفع خطيئة العالم " (يو ١ : ٢٩) .

فليس فى المسيحية من وسيلة لمحو الخطيئة إلا دم يسوع المسيح وحده ، ولذلك يلزمنا لكى ننال الغفران أن نتوب ونعترف بخطايانا ثم نتقدم للمذبح لنأكل الجسد المقدس ونشرب الدم الكريم ومن خلال هذا الاتحاد ننال الغفران والخلاص الأبدى .

أما الصوم فهو أحد وسائط النعمة ، إنه واسطة ، إنه وسيلة فقط ، إنه مجال ، إنه مناخ ، إنه تهيئة لكى تنتعش النفس ويتوب القلب وتتدم الإرادة ، الفكرة الشائعة أن الأصوام تمحو الخطايا فكرة غير مسيحية وتتناقض مع عقيدة أساسية هى أنه لا

غفران إلا بدم المسيح وحده . ولكن إن كان الصوم مقترناً بالصلاة والتوبة وعمل الرحمة ومكملاً بسر الأفخارستيا فهنا تكمن المغفرة وترفع عن النفس الدينونة لأن الصوم مهَّد إلى التوبة ، والتوبة مهدت إلى الاتحاد بالمسيح الذى فيه ننال خلاصنا وتبريرنا وتقديسنا وفرحنا وأبديتنا .

٣ـ ليس الصوم للصحة

يرى البعض أن الصوم مفيد للصحة ويرجعون هذا إلى أن البقول أنفع لصحة الأبدان وأدعى لإطالة الأعمار كما يستندون إلى الكتاب المقدس الذى يؤيد أن البقول كانت الطعام الأصلى للإنسان وليس اللحوم (تك ١ : ٢٩) ، وأن متوشالح عاش ٩٦٩ على هذا النوع من الطعام بينما انخفضت الأعمار إلى ١٢٠ عاماً بعد التصريح بأكل اللحم (تك ٩ : ٣) ثم إلى ٨٠ سنة حسب قول مرنم إسرائيل " أيام سنينا هى سبعون سنة وإن كانت مع القوة فثمانون سنة أفخرها تعب وبلية " (مز ٩٠ : ١٠) .

وبالرغم من صحة هذا القول فى جوانب كثيرة إلا أنه يلزمنا أن نشير إلى أمرين : **الأول** هو أن بعض الأجساد حالياً لا تحتمل أكل البقول وخاصة من تعانى من أمراض الجهاز الهضمى ، وأنها تهزل بشدة لو صامت فترة طويلة ، والثانى هو أن الصوم لم يكن هدفه تحسين صحة الأجساد بقدر ما هو مجال لانتعاش الروح وممارسة الفضائل التى سبق ذكرها فى هذا المقال .

أما بالنسبة لضعاف الأجساد فينصح آباء الاعتراف بتحديد معقول لفترات الانقطاع وأن يتعاونوا مع أطباء أتقياء فى تدبير الجسد بأسلوب لا يجعله هزيلاً وفى نفس الوقت لا يعطل طاعتهم لوصية الصوم ، وينصح الآباء المختبرون عدم التطرف فى الأصوام حتى لا يصاب الجسد بالهزال الشديد والأنيميا ويعطون فى نصائحهم نموذجاً للاستنارة والاعتدال شخصية أب الرهبان وكوكب البرية الذى

خرج من اعتكافه الذى دام عشرين عاماً لا هزيلاً من شدة النسك ولا بديناً من الترهل وكثرة الأطعمة والكسل .

إننا عندما نعلل الصوم بالعامل الصحى نفرغ الصوم من جماله الروحى وقوته الخلاقة بهذا التبرير المختلق وننسى أنه متعة ، لأنه عودة إلى الحياة الفردوسية التى فيها عاش آدم لا يأكل لحماً وكانت الحيوانات تخضع له .

مديحة الصوم الكبير

طوبى للرحماء على المساكين — فإن الرحمة تحل عليهم
والمسيح يرحمهم فى يوم الدين — ويحل بروح قدسه فيهم
الصوم الصوم للنفس ثبات — طوبى لمن صام عن الزلات
ودأب على عمل الصالحات — فأنه يرث ملكوت السموات
الصوم الصوم يا شعب يسوع — صوموا صوماً طاهراً بخشوع
ليس الصوم معناه الجوع — بدون التوبة عن الزلات
صوموا يا شعب الله بخضوع — صوماً روحانياً بدموع
كما صام الرب يسوع — وقفوا حسناً فى القداسات

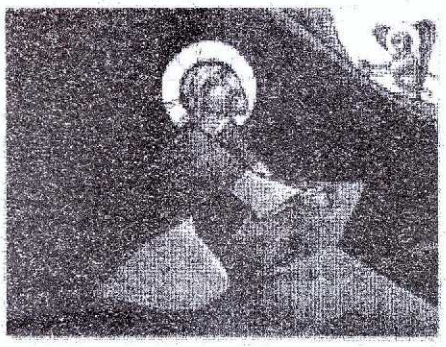

تأملات روحية فى الصوم الكبير

صوماً روحانياً

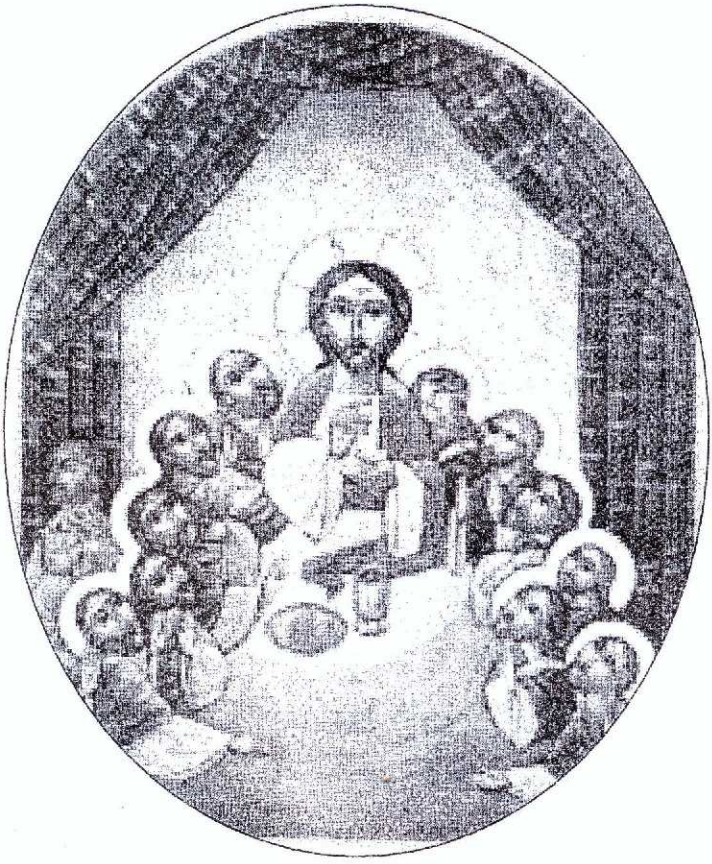

صوماً روحانياً

عندما نتأمل فى موضوع الصوم المقدس وبالأخص الصوم الأربعينى نجد أن هناك أبعاداً ثلاث يحسن أن نعالجها فى اختصار.

أولاً : البعد التاريخى

تبدأ قصة الصوم ببداية خلقة الإنسان فمنذ أن جعل الرب الإله آدم فى الجنة وقد أعطاه وصية الصوم .

إذ أوصى الرب أدم قائلاً : من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت .

وإذ أراد الله أن يجعل وصايا الطاعة والتعفف والاتضاع مرتبطة صميمياً بالصوم ، كان من المتوقع إذن أن يكون كسر وصية الصوم دلالة أكيدة على العصيان والشهوة الجامحة والذاتية المستقلة المتباعدة عن مصدر وجودها الحقيقى .

وكان من نتائج كسر وصية الصوم أن أضحت شهوة الجسد وشهوة العين وتعظم المعيشة هى حروب العدو للإنسان والتى سماها الكتاب فيما بعد محبة العالم.

وبعد أن كان الأكل فى الجنة متعة ووسيطاً لتدعيم حياة الشركة بين الإنسان والله أضحى الأكل مصدراً لمتاعب كثيرة للإنسان منها شهوة البطن وشهوة الحنجرة والزنا والدنس والنجاسة .

بل وأكثر من ذلك ارتبط الأكل بالتعب ، إذ يقول الكتاب . " بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتأكل عشب الحقل، وبعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها " (تك ٣ : ١٧ - ١٩) .

وهكذا انصبت اللعنة على الأرض بسبب سقوط آدم تاج الخليقة الأرضية .

+ فبدلاً من التنعم فى الجنة وجد الشقاء والتعب .

+ وبدلاً من المتعة والفرح المرتبط بالأكل والطعام المعطى من يد الله فى الجنة وجد الملل والسأم والضجر من الحياة كلها وبالأخص من قضية لقمة العيش .

+ وبدلاً من الشكر الذى هو الصدى الحقيقى لنعم الله وعطاياه السخية فى الجنة ظهر التذمر ووجدت الحروب والمنازعات بسبب الطعام والمال على كافة المستويات الفردية والعائلية والقومية والعالمية.

كرهت أنفسنا الطعام السخيف

ويحمل العهد القديم بين طياته تكرار ولو بشكل مبسط لمأساة الإنسان الأول فى الجنة تجاه قضية الأكل والطعام فقد أراد الله أن يخرج شعب إسرائيل من أرض العبودية ليقودهم بنفسه إلى كنعان كإشارة ورمز سرى للخلاص الحقيقى الذى سيحمل مهمته ابن الله الكلمة ليعبر بنا من عبودية الخطيئة إلى حرية مجد أولاد الله.

وقام الرب بمهمته مع الشعب وأخرجهم بيد قوية وذراع رفيعة وضرب ضرباته العشر وصنع المعجزات المذهلة لينتزع شعبه من براثن استعمار فرعون ، وعندما ارتعد إسرائيل من مركبات فرعون التى لاحقته قال موسى للشعب : " لا تخافوا ، قفوا وانظروا خلاص الرب الذى يصنعه لكم اليوم فإنه كما رأيتم المصريين اليوم لا تعودون ترونهم أيضاً إلى الأبد، الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون " (خر ١٤ : ١٢ - ١٤) .

وخلص الرب فى ذلك اليوم إسرائيل من يد المصريين ونظر اسرائيل المصريين أمواتاً على شاطئ البحر ورأوا العمل العظيم الذى صنعه الرب بالمصريين فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وبعبده موسى .

ولكن الإنسان الطبيعى الذى اشتهى ثمرة شجرة المعصية هو هو بعينه الإنسان الذى رأى كل هذه المعجزات وفى الحال بدأ حياة التذمر ولم يمض على المعجزة الكبرى أيام ثلاث ، تذمر الشعب على موسى قائلين : ماذا نشرب ، ثم تذمروا قائلين ليتنا متنا بيد الرب فى أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع .

وتحنن الرب الإله وطمأن الشعب أنهم سيأكلون لحماً في العشية وأعطاهم السلوى ، وفى الصباح أعطاهم المن وعبر عنه موسى قائلاً " هذا هو الخبز الذى أعطاكم الرب لتأكلوا " (خر١٦ : ١٥) .

وكان الله يقصد من إعطاء المن كل صباح أن يوجه أنظار شعبه إلى أنه هو مصدر حياتهم وليس الخبز واللحم .

لأجل هذا كان يعطيهم كل صباح المن جديداً ليكون الاتكال التام على شخصه وقيادته المباركة . وأوصى الرب أن يملأ هرون قسطاً من المن ليبقى شهادة أن الله أعال بنى إسرائيل أربعين سنة في البرية .

والإنسان الطبيعى الساقط لا يريد أن يأكل من يد الله مهما كان الطعام لذيذاً وممتعاً وإنما هو يريد أن يأكل وفق شهوته تماماً كما عمل إسرائيل في البرية عندما بكوا أمام موسى مشتهين قدور اللحم فى أرض العبودية قائلين : " لقد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله مجاناً والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم ، والآن قد يبست أنفسنا " (عد ١١: ٥ - ٦) .

لقد سئمت نفوسنا هذا الطعام السخيف ، طعام العبودية وصف بأنه لذيذ ومجانى والطعام الذى من يد الله وصف بأنه سخيف وممل.

وكانت النتيجة أنه كما حرم آدم من الجنة هكذا أيضاً حرم الشعب كله من دخول أرض الموعد فيما عدا كالب بن يفنة ويشوع بن نون .

أليست هذه هى قضية الطعام !!

كل شجر الجنة لا يصبح لذيذاً ولكن شجرة معرفة الخير والشر هى وحدها التى تصبح شهية للنظر وممتعة للأكل والمعصية .

أليست هذه هى مأساة إسرائيل فى البرية ؟ المن والسلوى طعام سخيف والسمك والقثاء والبصل الممتزج بالذل والعبودية وسياط السخرة يصبح طعاماً مشتهى وموضوعاً للتذمر على الله .

أليست هذه هى أيضاً مشكلة الإنسان من جيل وإلى جيل ، يرفض أن يضع طعامه فى يد الله ليتناوله بشكر وابتهاج قلب ويفضل أن يكرر معصية حواء ومأساة إسرائيل فى البرية .

سمات الصوم فى العهد القديم

كان الصوم فى العهد القديم يتسم بصفات معينة يلحظها كل دارس لأسفار هذا الكتاب بشئ من التدقيق والصفة الأولى هى :

الحزن والبكاء والنوح

يقول يوئيل النبى " ارجعوا إلى بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح ، مزقوا قلوبكم لا ثيابكم " (يؤ ٢: ١٢ - ١٥) .

وفى صوم أهل نينوى نلحظ هذه السمة عندما تابوا وعادوا إلى الله فآمن أهل نينوى بالله ونادوا بصوم ولبسوا مسوحاً من كبيرهم إلى صغيرهم (يون ٣: ٣) .

وداود النبى فى مواضع كثيرة يربط بين الصوم والحزن بقوله : " وأبكيت بصوم نفسى فصار ذلك عاراً علىّ جعلت لباسى مسحاً وصرت لهم مثلاً " (مز ٦٩ : ١٠) ، " ركبتاى ارتعشتا من الصوم ولحمى هزل عن سمن وأنا صرت عاراً عندهم " (مز ١٠٩ : ٢٤) ، " أذللت بالصوم نفسى ، صلاتى إلى حضنى ترجع كمن ينوح على أمه انحنيت حزيناً " (مز ٣٥: ١٣) .

يمكن تفسير هذه السمة إلى إحساس الإنسان فى العهد القديم بثقل الخطية وفظاعة دينونتها ، وأن الصوم عاجز عن التكفير عنها، وكل نفس لم تتبرر بدم المسيح تحمل وزر الخطية وكل ما تعلمه يتسم بالحزن الردئ ووجع القلب .

التذلل والتوبة

ولكن لم يكن كل صوم مقروناً بالحزن المرير، وإنما كان هناك صوم يعبر عن حياة التوبة ورغبة النفس فى العودة إلى الله ، وكلما كان الشعب يخطئ ويبتعد عن الله ولا يوجد من الكهنة والكتبة والفريسيين من ينذر ويوبخ وينادى بالتوبة

الصادقة . كان الله يرسل أنبياءه حاملين رسالة التوبة صارخين فى ضمائر الناس مثلما كان يعمل يوحنا المعمدان آخر أنبياء العهد القديم والذى اختارته السماء ليكون إعداداً لطريق الخلاص ومناداة المسيح بملكوته فى قلوب الناس ، اسمع أشعياء النبى يقول : " ناد بصوت عال ولا تمسك ، ارفع صوتك كبوق واخبر شعبى بتعديهم وبيت يعقوب بخطاياهم ، ها أنكم للخصومة والنزاع تصومون ولتضربوا بلكمة الشر " (أش ٥٨ : ٣) .

إنه صراخ نبوى لتنقية الصوم من أهداف خبيثة ونوايا شريرة ، وبنفس الصراخ نادى نحميا الشعب عندما بدأ بناء سور أورشليم الذى انهدم وأكلت أبوابه النيران .

وبنفس الاتجاه أيضاً قام عزرا يدعو الشعب للتوبة فيقول الكتاب : " وناديت هناك بصوم على نهر أهوا لكى نتذلل أمام إلهنا لنطلب منه طريقاً مستقيماً لنا ولأولادنا ولكل ما لنا " (عز ٨ : ٢١) .

الطلبة والعبادة

وإذا كان الطابع الغالب على أصوام العهد القديم الحزن والتذلل والتوبة بوجع القلب ، فإن هناك قلة كانوا يصومون لأجل العبادة فى حد ذاتها من أجل التقوى والنسك كما كان يعمل يوحنا المعمدان الواقف على عتبة العهد الجديد ، " ومثلما كانت النبية حنة الأرملة نحو أربع وثمانين سنة لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهاراً " (لو ٢: ٣٧) .

وفى حياة عزرا الكاتب نلحظ هذه البادرة فى قوله " فصمنا وطلبنا ذلك من إلهنا فاستجاب لنا " (عز ٨ : ٢٣) .

وما نقوله على عزرا نقوله على أستير وغيرهما من شخصيات قليلة فى الكتاب المقدس فى العهد القديم .

الصوم فى العهد الجديد

إذا كان الرب يسوع قد أعلن عن نفسه أنه ما جاء لكى ينقض بل ليكمل فلابد أن تحولا وتجاوزاً وتقدماً قد حدث فى قضية الصوم ، شأنه شأن كافة أركان العبادة والحياة الروحية عامة .

التحول الأول

لعل أول ما نلحظه من تغيير هو رفع الحزن المرير ووجع القلب عن الصوم وانتزاع المرارة عن هذا الركن الهام من أركان العبادة الحقيقية .

وفى الموعظة على الجبل أعطى الرب توجيهاً أن يكون الصوم من غير عبوس ولا تبرم ولا شكلية وإنما كتعبير عن حياة البذل والحب التى تتميز بها المسيحية ، " ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين فإنهم يغيرون وجوههم لكى يظهروا للناس صائمين ، الحق أقول لكم أنهم قد استوفوا أجرهم " (مت ٦ : ١٦ ، ١٧) .

ومعنى هذا أن السيد أعطى الاهتمام للجوهر دون المظهر وللفعل الباطنى أكثر من الشكل الخارجى .

ولعل فى إجابة السيد المسيح لتلاميذ يوحنا فى (مت ٩ : ١٤) ، ما يبين أنه طالما العريس موجوداً فبنو العرس لا يستطيعون أن ينوحوا لأن العريس معهم ، ولكن ستأتى أيام حين يرفع العريس عنهم حينئذ يصومون .

لعل فى هذه الإجابة لمحة أنه عندما يرفع العريس سيصومون ولكن لم يقل ينوحون، ثم أن العريس وأن ارتفع عنهم إلى المجد عن يمين الآب فهو لا يزال كائن معنا بروحه القدوس وشخصه المبارك ، ومن ثم فالحزن المرير بلا مبرر طالما النفس قد تبررت بالإيمان ونالت نعمة الخلاص وفرح الرجاء ، وحتى دموع التوبة فى العهد الجديد فهى بلا ندامة كما يقول الكتاب : " لأن الحزن الذى بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة ، وأما حزن العالم فينشئ موتاً "

(٢كو ٧: ٢ - ١١) ، لأن الروح الذى يبكت على توبة هو بعينه الذى يعطى عزاء ورجاء وثقة للنفس العائدة إلى الله من كل قلبها .

التحول الثانى

الذى أحدثته المسيحية فى الصوم هو أنه قد أخذ طابعاً إيجابياً وتجاوزاً للسلبيات بمعنى أن الصائم لا يصوم كفرض ولا يمارس الصوم من خلال النجس والطاهر والحرام والحلال ولكن الصوم أصبح فى المسيحية مجالاً إيجابياً لانتعاش الروح (١كو ٧: ٥) ، لأنه على حد تعبير الكتاب ، " إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لا ننقص " (١كو ٨: ٨) . " والذى يأكل فللرب يأكل لأنه يشكر الله والذى لا يأكل فللرب لا يأكل ويشكر الله " (رو ١٤ : ٦) ، " ولا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت " (كو ٢ : ١٦) ، فالصوم لم يصبح فيما بعد فرضاً أو ناموساً أو تكفيراً وإنما حباً وبذلاً ومجالاً مباركاً لنمو العشرة وممارسة سر النصرة والقيامة ..

التحول الثالث

هو أن الرب يسوع أعطى للطعام والجوع مفهوماً أكثر عمقاً من الصورة التى اعتادها الإنسان الطبيعى ، إنه حمل الطعام سراً إلهياً Mystrey ، فالإنسان العادى يأكل من عرق وجهه كما قال الكتاب فى سفر التكوين ولكن الرب يسوع الذى أراد أن يردنا إلى رتبتنا الأولى جعل الطعام ليس مجرد أكل مادى وإنما أعطاه مسحة روحية إذ جعله يوضع فى يده ، ومن خلال شخصه يأكل المؤمن طعام الأرض ، فيشبع ويشكر ويفرح كعربون لفرح الفردوس الآتى .

من أجل هذا أعلن الرب يسوع فى التجربة على الجبل ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله ، وقد طبق الرب يسوع هذا المبدأ فى معجزة إشباع الجموع التى تكررت مرتين فى حياته المباركة على الأرض ، الإنسان يجوع ولكن الرب يأخذ طعاما قليلاً ويضعه على يديه الطاهرتين ويباركه

فيحمل الطعام سر البركة هنا الذى غاب عن الأرض بسبب لعنتها وعصيان تاج خليقتها فى الجنة .

فسر الشبع ليس فى الطعام فى حد ذاته وإنما لأنه من يد الله ، وسر البركة مصدره أن الطعام ليس عملاً بشرياً بحتاً ولكنه وضع فى يدى الله ، من أجل هذا تجد الراهب الحقيقى يأكل خبزاً جافاً ولقمة بسيطة ولكنها تسرى فى جسده لتعطيه قوة وبهجة وفرحاً بسر لا ينطق به .

كما أنه فى ليلة آلام المخلص أخذ الرب خبزاً على يديه الطاهرتين اللتين بلا عيب ولا دنس الطوباويتين المحييتين وشكر وبارك وقدس ثم قسم وهكذا أمسك الكأس ومزج عصير الكرمة بالماء وشكر وبارك وقدس ثم أعطى لتلاميذه بعد أن حول الخبز إلى جسده الحقيقى والخمر إلى دمه الطاهر الزكى الكريم وأعلن لهم أن هذا هو المن الحقيقى ليس كما أعطاه موسى ولكن المن الذى يعطيه الرب كل من يأكل منه ينال حياة أبدية ، ومن هنا جاء ارتباط الصوم والجوع بالتناول من سر الأفخارستيا لأنه إن كان الجوع شبه موت فان التناول من الجسد والدم الأقدسين هو حياة حقيقية تحمى وتقيم موتنا وضعفنا وسقوطنا .

+ فإن كان آدم الأول اشتهى ، فآدم الثانى انتصر وغلب .

+ وإن كان آدم الأول خالف وعصى ، فيسوع على الجبل أطاع مشيئة الآب .

+ وإن كان آدم الأول سعى وراء التأله الكاذب من أكل ثمرة معرفة الخير والشر ، فإن المسيح أعطى للإنسان مفهوم العظمة الحقيقية من خلال الاتضاع والتجرد ورفض السيادة والسجود لأصنام العصر .

التحول الرابع

هو أن المسيحية جعلت الصوم مجالاً للجهاد والتوبة الجماعية، لأن الذى يميز حياة الشركة فى الكنيسة أن كل ما يمارس ليس لفرد أو شخص معين وإنما جميع الأسرار ووسائط النعمة تمارس من خلال حياة الشركة لإنهاض الكنيسة كجماعة ،

كجسد للمسيح الحى كألوية فى جيش تحارب ضد قوات الظلمة والجنس الشرير الذى لا يخرج " إلا بالصلاة والصوم " (مت ١٧ : ٢١) .

لأجل هذا نجد أن كنيسة الرسل كما وصفها معلمنا لوقا البشير فى سفر الأعمال كانت مواظبة كجماعة على أصوام مشتركة محددة معلنة فى الجماعة والحياة الكنسية (أع ٢٧ : ٩) ، يقول السفر " وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس افرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه فصاموا حينئذ وصلوا ثم وضعوا عليهما الأيادى وأطلقوهما " (أع ١٣: ٢ - ٣) .

من هذا المنطلق نستطيع أن نقول أن الكنيسة تستلهم من رأسها ورئيس أحبارها حياة الصوم والجوع ،فكما غلب على جبل التجربة شهوة العيون وشهوة الجسد وتعظم المعيشة هكذا الكنيسة تستمد من هذه القوة المذخرة والطاقة الكامنة فى ضميرها وروحانيتها وأسرارها تستمد روح النصرة والغلبة ، ويشعر بها كل العابدين الذين يصومون الصوم الكبير غير منتظرين من صومهم معجزات كتحويل الحجارة إلى خبز أو الدخول فى تجارب ليست من الله وإنما باقتحام ذاتى ، فالهدف الأول والأخير هو ممارسة حياة الطاعة الفرحة التى يتسلمها المؤمنون فى المناخ الكنسى .

إن الرب صام عنا أربعين يوماً وأربعين ليلة بسر لا ينطق به ، وآباؤنا الرسل أوصونا أن يكون هذا الصوم مكرماً عندنا نؤديه بروح الخشوع والجهاد لنقطف من ثمار النصرة والغلبة التى اقتناها رأس الكنيسة فى ظفره على جبل التجربة .

وإذا كان بولس الرسول قد قدم لنا حياته نموذجاً لممارسة الأصوام الكنسية والأصوام الخاصة (٢كو ١١: ٢٧، أع ٢٧: ٩). فإن الذين يرفضون مبدأ تحديد مواعيد تضعها الكنيسة للصوم الجماعى إنما يعزلون أنفسهم عن حياة الشركة ويعطون ذواتهم فرصاً لأن تكون حريتهم لصالح الجسد وليس لحساب الروح ،

والواقع الملموس أمامنا في العالم الغربي أكبر دليل عندما فرطت الكنائس الكاثوليكية والهيئات البروتستانتيه واختصرت الأصوام إرضاء للناس فإن الحياة النسكية فقدت ، وروح العبادة ضاع ، وفقد الغرب طاقة روحية كبيرة لا تزال الكنيسة الشرقية تحافظ عليها في أصوامها ونسكها وروحانياتها وصلابة أولادها في الصمود ضد تيارات العالم وشهواته وحروبه المتنوعة .

ثانياً : البعد الروحي

الصوم عامة والصوم الكبير بصفة خاصة مجال للفضائل الروحية التي تنبع من حياة المحبة لله، فالحب هو المنطلق الأساسي لجميع الفضائل المسيحية ومن ثم فليست هناك في المسيحية فضيلة سلبية فالعفة ليست امتناعاً عن ممارسات جنسية منحرفة بل تقديم الجسد ذبيحة حب وتكريس الهيكل الجسدي للروح القدس والصوم ليس انقطاعاً عن الطعام بل ذبيحة حب لانطلاق أوسع للنشاط الروحي .

+ فالذي يصوم بخشوع يتعلم ويتدرب على السجود والاتضاع ومسكنة القلب وعدم الانتفاخ .

+ والذي يصوم بنسك يتعلم ويتدرب على العفة وضبط شهوة الجسد وشهوة العين وحب الاقتناء .

+ والذي يصوم بتوبة صادقة يتدرب على النمو في فحص النفس وتمحيصها والتدقيق في معرفة أخطائها وأخذ مواقف واضحة ضدها والاعتراف الصريح أمام الكاهن مع صلب الأهواء والشهوات .

+ والذي يصوم بتعب وجهاد يعطي انطلاقاً لروحه فتطول صلواته وتمتد فترات عبادته واعتكافه وتتعمق أبعاد حياته الباطنية الروحية .

+ والذي يصوم بشكر وفرح داخلي تمتلئ نفسه استنارة وضياء ويعمل الإنجيل في أعماق أعماق حياته حتى تلتصق الوصية بحياته وينحصر في مخافة الله على حد تعبير داود النبي في طلبته " سمر خوفك في لحمي ".

وكلما ازدادت النفس عفة واستنارة وجهاداً كلما امتلأت النفس بروح التحرر وأضحت لا تشتهى شيئاً ولا تخاف شيئاً كما قال المغبوط أوغسطينوس .

ويهمنا أن نركز فى دراستنا لهذا البعد من خلال قراءات أسابيع الصوم وبالأخص أناجيل الآحاد لكى نتعرف على المقاصد الروحية التى تبتغيها الكنيسة من خلال هذه الرحلة الروحية الطويلة التى تستغرق سبعة أسابيع .

١ــ قم استعد للجهاد

فى أحد الرفاع تضع الكنيسة ما يسمى بالأرضية Background ، أو الخلفية العامة التى من منطلقها تفهم معانى العبادة ، فتختار حديث الرب فى الموعظة على الجبل عن أصول الصدقة والصلاة والصوم وكيف أن المسيحية تتجاوز الشكل إلى المضمون وترفض المظهرية والفريسية فى العبادة وتتطلب نمطاً معيناً من العبادة قوامه الصدق وإخلاص القلب ومحبة الله وليس السعى وراء الشهرة والمنصب ومديح الناس ، ثم تبدأ رحلة الصوم المقدس بالأسبوع الأول الذى يسمى بالأسبوع الاستعدادى وجميع قراءاته الكنسية تهدف إلى هذا الغرض وهو الاستعداد للجهاد والعزم على ترك الشر والالتصاق بالخير . اغتسلوا، تنقوا ، اعزلوا شر أفعالكم من أمام عينى ، كفوا عن فعل الشر" (أش ١ : ١٦) وتقول القراءات أيضاً : " أتظن أيها الإنسان الذى تفعل الشرور أنك تنجو من دينونة الله ، أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله ، ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب " (رو ٢ : ٣ ــ ٥) البولس من يوم الاثنين .

" إن الحكم هو بلا رحمة لمن لا يفعل الرحمة " (الكاثيلكون يع ٢ : ١٣) .

وهكذا طيلة الأسبوع الأول تتناغم القراءات حول هذا الاستعداد بصورة أو أخرى ، وفى إنجيل قداس الأحد تتكثف المبادئ وتتبلور بمنهج وأسلوب روحى عجيب إذ تضع الكنيسة من خلاله التداريب الروحية الأساسية للجهاد القانونى .

١ – عدم اكتناز المال وسيطرته على قلب الإنسان وجعله إلهاً وصنماً فى الحياة.

٢ – العين البسيطة النيرة .

٣ – عدم الانزعاج والانشغال بلقمة العيش .

فعلى المؤمن أن يجاهد ويؤدى دوره فى الحياة بكل إخلاص قلب ولكن ليثق أن الله هو الذى يعوله فطيور السماء لا تزرع ولا تجمع إلى مخازن وأبوكم السماوى يقوتها ، ألستم أنتم بالحرى أفضل منها ، وهكذا عشب الحقل يلبسه الله ، فلا ننزعج قائلين ماذا نأكل وماذا نشرب لأن هذه كلها متطلبات الأمم " اطلبوا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم " (مت ٦ : ٣٣) .

فمفهوم الاستعداد عند الكنيسة الأرثوذكسية هو هذا التحول الهام ألا يتعلق القلب بالانشغالات والاهتمامات الأرضية وإنما يرتبط القلب فى عمقه الأصيل بملكوت الله وبره ..

فملكوت الله ليس أكلاً ولا شرباً وإنما هو حضور المسيح فى القلب وتمتع النفس البشرية بتعزيات الروح القدس وشكر الإنسان الآب السماوى على اختياره ودعوته ليس لأعمال صالحة ولكن بالتعطف الأبوى ونعمته المجانية ..

ويمكننا أن نلخص تدريب الكنيسة فى الأسبوع الأول هكذا :

+ أطرد من قلبك محبة المال وهموم الحياة والارتباكات الأرضية واستعد ليتفرغ قلبك للجهاد الروحى الذى إليه دعيت .

٢ ــ تعرف على تجارب العدو وطبيعة حروبه

تخطو بنا الكنيسة خطوة أخرى إلى الأمام إنها تريد بعد أن هيأت تربة القلب أن تبرز ما يلاقيه المؤمن من معاناة وجهاد وحروب ، بعضها من الشيطان وبعضها من العالم والبعض الآخر من الذات ، وهذه كلها ليست من الآب.

فالأسبوع الثانى هو إيضاح وإفصاح عن طبيعة الجهاد القانونى تعرض الكنيسة لعناصره وتطلب من أبنائها أن يتسلحوا بأسلحة الجهاد المقبول من صلاة وصدقة وأمانة وإخلاص قلب .

فإذا كان الصوم يمثل بالجمر الموضوع فى الشورية عند المذبح فالصلاة هى البخور الذى يوضع على هذا الجمر لتتصاعد رائحة ذكية مرضية مقبولة أمام الله.

وهكذا منذ البداية تلح الكنيسة على المؤمنين ان يقرنوا أصوامهم بالصلوات فى المخدع ومع الأسرة وفى الكنيسة لممارسة الليتورجيات .

ولعله من أقوى الصلوات التى تربط الصوم بالصلاة ارتباطاً صميما صلاة القسمة للصوم الأربعينى كله فيها يقول الكاهن :

+ الصوم والصلاة هما اللذان يخرجان الشياطين .
+ الصوم والصلاة هما اللذان رفعا إيليا إلى السماء وخلصا دانيال من جب الأسود .
+ الصوم والصلاة هما اللذان عمل بهما موسى حتى أخذ الناموس والوصايا المكتوبة بأصبع الله.
+ الصوم والصلاة هما اللذان عمل بهما أهل نينوى فرحمهم الله وغفر لهم خطاياهم ورفع غضبه عنهم .
+ الصوم والصلاة هما اللذان عمل بهما الأنبياء وتنبئوا عن مجئ المسيح قبل مجيئه بأجيال كثيرة .
+ الصوم والصلاة هما اللذان عمل بهما الرسل وبشروا ، وهما اللذان عمل بهما الشهداء حتى سفكوا دمائهم ، وهما اللذان عمل بها الأبرار والصديقون ولباس الصليب وسكنوا فى الجبال والبرارى وشقوق الأرض من أجل عظم محبتهم فى الملك المسيح.

ومن قراءات هذا الأسبوع تبرز الكنيسة استجابة الله لصلوات خائفيه (خر٣ : ٦-١٤) ، ورفضه صلاة الأشرار (أش٤ : ٢-٥ : ٧) ، وغضب الله المعلن على تاركى الصلاة (رو١ : ٨-٢٥) .

وأما إنجيل القداس ليوم الاثنين فيشدد على أن تكون الصلاة بلجاجة وإلحاح وتغصب وثقة وإيمان فيورد مثل المرأة وقاضى الظلم (لو١٨ : ١-٨) ، فى هذا

يقول الرب " أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهاراً وليلاً وهو متمهل عليهم أقول لكم إنه ينصفهم سريعاً "

وهكذا طيلة الأسبوع تدور القراءات عن الجهاد ضد العدو والأسلحة التى يجب على المؤمن أن يتسلح بها فى نضاله الروحى كتلك التى أوردها معلمنا بولس فى الإصحاح السادس من رسالة أفسس.

وعندما نأتى إلى قراءات يوم الأحد (أحد التجربة) نشعر أن الكنيسة تبشر جماعة العابدين الذين أعدوا قلوبهم بترك الشر والالتصاق بالخير والذين تسلحوا بالصلاة وكافة أسلحة الجهاد بأن الرب يسوع قد غلب وانتصر وسحق قوة العدو وأنه كقائد مظفر يسوقنا جميعاً فى موكب نصرته كل حين ، فنصرة المسيح على جبل التجربة وفشل العدو فى حروبه الثلاث ، (شهوة الجسد ، شهوة العين ، تعظم المعيشة) ، إنما يرجع هذا إلى أن الابن الذى فى وحدته مع الآب والروح القدس قد وهب البشرية المؤمنة به وإنسانيتنا التى تتحد بجسده ودمه الأقدسين سر النصرة وسر الغلبة على جميع حيل العدو ، وقد يتساءل البعض لماذا لم يحول المسيح له المجد الحجارة خبزا مع أنه حول الماء خمرا فى عرس قانا الجليل ، والإجابة هى أنه يعلمنا أنه لا يتقبل مشيئة الا مشيئة الآب وتحويل الحجارة خبزا كانت مشيئة الشيطان خارجا عن دائرة مقاصد الآب ومشيئته الصالحة.

الرب يسوع جاع لأنه إنسان مثلنا فى كل شىء فيما عدا الخطية وحدها ولكنه لم يصنع ما صنعه آدم وحواء فى الجنة ، انه رفض رغم جوعه أن يأكل من خلال مشيئة العدو وإنما أعلن أنه لا يأكل الإ من خلال الآب إذ هو القائل : " طعامى أن أصنع مشيئة الذى أرسلنى " .. وهذا هو الغذاء الحقيقى طاعة الكلمة طاعة الوصية والتلذذ بها والتغذى روحيا بممارستها " ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله " (مت٤ : ٤) .

والرب يسوع لم يرد أن يطرح نفسه من فوق جناح الهيكل رغم صدق الآية القائلة أنه يوصى ملائكته وعلى أياديهم يحملونك بل أنه يوماً مشى على الماء حتى وصل إلى سفينة التلاميذ ، ومرة أخرى أخرس الرياح بكلمة .. ولكنه لم يرد أن يستجيب لرغبة الشيطان لأنه لا يريد أن يصنع مشيئة إلا مشيئة الآب فقد كان من خطة الخلاص التى دبرها الثالوث القدوس المشى على الماء ، وانتهار الرياح والقيامة من الموت فى اليوم الثالث ولكن ذلك العمل (البهلوانى) الذى أراده الشيطان لإرضاء الذات لم يكن وارداً فى خطة الآب ومقاصده الأزلية لأجل هذا رفضه الرب يسوع ، وهذا الاتجاه هو الذى يمارسه رجال الله القديسون الذين وهبوا أن يخرجوا شياطين ويشفوا مرضى لم يقبل واحد منهم أن يصنع معجزة واحدة استعراضاً لذاته وإظهاراً لمواهبه وإنما كان كل شىء عندهم لحساب مجد الله وحده.

والرب رفض أيضاً أن يأخذ جميع ممالك العالم ومجدها فى التجربة الثالثة لأن الطريق والمنهج الموضوع كى يملك الرب على الأرض كلها لم يكن هو من خلال السجود لإبليس وإنما بالاتضاع والإخلاء والتجسد والتجرد والصلب ثم القيامة ولهذا قال داود بروح النبوة " ملك على خشبة " ، هكذا تريد الكنيسة فى هذا الأسبوع أن تعطينا تدريباً روحياً أن نكون ملتصقين بالرب فى حياة الشركة المقدسة بالصوم والصلاة ، حتى إذا ما حاربنا العدو فى مجالات شهوة العين أو شهوة الجسد أو تعظم المعيشة فإن ملائكة الله تحمينا وتحرسنا والذى خرج غالباً لا يزال يعمل فى كنيسته بروحه القدوس ليغلب فى قلوب جميع أولاد الله .

٣ـ لنقدم توبة صادقة

ثم تخطو الكنيسة معنا فى مسيرة هذه الرحلة المقدسة لتقدم لنا فى الأسبوع الثالث من الصوم ركناً هاماً من أركان الحياة التقوية التعبدية وهو حياة التوبة الصادقة ، تقول مديحة الصوم الشهيرة :

الصـــوم الصـــوم للنفـــس ثبـــات طوبـــى لمـــن صـــام عـــن الـــزلات
ودأب علـــى عمـــــل الصالحـــــات فإنـــه يـــرث ملكـــوت الســـموات
الصـــوم الصـــــوم ياشـــعب يســـوع صومـــوا صومـــا طـــاهرا بخشـــوع
ليـــس الصـــوم معنـــــاه الجـــوع بدون التوبـــــة عـــن الـــزلات

ولنقتطف من قراءات هـذا الأسـبوع مـا يوضـح لنـا المقـاصد الروحيـة لـهذا الأسبوع ، ففى نبؤات الاثنين تحث الكنيســة الجميـع علـى التوبـة وتنـذر المتـهاونين بالقول : " إلى متى أيها الجُـهال تحبـون الجـهل والمسـتهزئون يسـرون بالاسـتهزاء والحمقى يبغضون العلم ارجعـوا عنـد توبيخـى " (أم١ : ٢٠-٢٢) .

ومن نبؤات يوم الخميس من هذا الأسبوع تنـذر الكنيسـة كـل جماعـة لا تتـوب أن مصيرها سيكون كسدوم وعمورة ، لكن الأبرار التـائبين وحدهـم هـم الذيـن ينقذهـم الرب من القصاص كما حـدث مـع إبراهيـم الـذى أخـرج لـوط مـن هـلاك هـاتين المدينتين (تك ١٨، ١٩) ، وفـى نبـؤات يـوم الجمعـة تحـذر الكنيسـة مـن الكبريـاء كمعطل رئيســى للتوبة و" أعاقب المسكونة على شـــرها والمنـافقين علـــى إثمـهم وأبـطل تعظـم المستكبرين وأضـع تجـبر العتـاة " (أش١٣ : ٢-١٣) .

وتقدم فى إنجيل قداس يوم الجمعة المجنون الأعمى الأخـرس الـذى شـفاه الـرب وكأنها بأسلوب سرى تشير إلى أن غير التـائب هـو المجنـون البعيـد عـن حكمـة الله والأعمى الذى لم تكحل عيناه بكحل النعمة ولم تستنر بنـور الحيـاة الأبديـة والأخـرس هو الذى سد فمه عن أن ينطـق بتسـبيح الله .

وأما إنجيل يوم الأحد فهو عـن قبـول رب المجـد المخلـص للتـائبين ومزمـوره فيه استرحام وتناغم مـع قصـة الابـن الضـال إذ يقـول " لا تذكـر آثامنـا الأولـى ، فلتدركنا مراحمك سريعاً لأننا قد افتقرنا جداً ، أعنـا يـا الله مخلصنـا مـن أجـل مجـد اسمك (مـز٧٨ : ٧ ، ٨) .

وأما قصة الابن الضال فهى إحدى المحاور الرئيسية لقراءات الصوم الكبير وأهدافه فليس الابن الضال سوى أنا وأنت وكل من ترك الأحضان الأبوية وبركات التنعم بالحياة المباركة لكى يذهب إلى الكورة البعيدة حيث الجوع لأن لذات الحياة ومتع الدنيا مهما تنوعت فهى موجودات تزيد النفس عزلة وفراغاً ، من أجل هذا يحتاج الإنسان إلى المن السماوى وغذاء الحياة الحقيقية ، وستظل حقول الخنازير التى تشير إلى النجاسة والقذارة وفشلها فى إعطاء الانسان طعاماً مشبعاً ستظل هى هى بعينها حقول الشهوات واللذات الجسدية التى يرتع فيها أهل العالم مملؤين فجراً ودعارة ونجاسة وتمرغاً فى حمأة الدنس .

ولكن الآب الحنون لا يزال فاتحاً ذراعيه ولا يزال منتظراً عودة الابن إلى أبيه ، وهذا لن يحدث إلا إذا أيقن الضال أنه لم يجن من الكورة البعيدة الا الموت " فأى ثمر كان لكم حينئذ من الأمور التى تستحون بها الآن . لأن نهاية تلك الأمور هى الموت " (رو٦ : ٢١) .

والآن نحن فى زمان التوبة ، وكل منا قد ضل طريقه وكلنا كغنم ضللنا والجميع زاغو وفسدوا وأعوزهم مجد الله ، هلم نرجع إلى أنفسنا كما فعل الابن الشاطر ، هلم نلقى بأنفسنا عند أقدام المصلوب فى تسليم كامل وتوبة كاملة ، ولنقم سريعاً ونأخذ الموقف الصريح المحدد ألا يكون لنا مع العالم نصيب فيما بعد . وطالما القلب توجع والنفس اهتاجت والحياة كلها سلمت ولم يبق ظلف للعالم فلنسع إلى أب الاعتراف فى الكنيسة نعلن له توبتنا وندمنا وعودتنا ، ولنقل مع الابن الشاطر " أيها الآب السماوى أخطأنا إلى السماء وقدامك ولسنا مستحقين أن ندعى لك أبناء " والرب قد وعد أنه إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم (١يو١ : ٩).

وأما الأب الذى أخرج الحلة الأولى وألبسها لابنه ووضع الخاتم فى يده وحذاء فى رجليه وذبح له العجل المسمن وابتدأ يفرح لأن ابنه كان ميتاً فعاش وكان

ضالاً فوجد هو الآب الذى لا يزال يعمل فى الكنيسة عندما تتوب النفس وتعترف بخطاياها وتأخذ الحل من الكاهن وتتناول من الأسرار المقدسة ، إنها تهتف مع أشعياء " فرحاً أفرح بالرب تبتهج نفسى بإلهى لأنه قد ألبسنى ثياب الخلاص كسانى رداء البر مثل عريس يتزين بعمامة ومثل عروس تتزين بحليها " (أش٦١ : ١٠) ، والحلة هى ثوب البر ، والخاتم هو خاتم البنوة وعربون الحياة الأبدية ، والحذاء هو التدبير الروحى والسعى نحو إنجيل السلام ، والعجل المسمن يشير إلى جسد الرب ودمه الأقدسين ، وباختصار كل شئ قد صار جديداً حسب وعده : " ها أنا أصنع كل شئ جديداً " (رؤ٢١ : ٥) ، مبارك أيها الرب يسوع يا مخلص الخطاة وقابل التائبين يا من أحببتنا وغسلتنا من خطايانا بدمك وبعد أن كنا فى كورة الخنازير فى عرى وخزى جعلتنا ملوكاً وكهنة لله أبيك لك المجد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين (رؤ١ : ٦) .

٤ ـ لنستجب للإنجيل ونتادى به

وفى منتصف الصوم تعرض لنا الكنيسة مائدة روحية دسمة كل أطعمتها عن سلام الإنجيل وقوته والإيمان بفاعليته والتطبيق العملى له والاعتزاز به .

وخلال قراءات هذا الأسبوع يمكننا أن نشير إلى أهم شروط الاستجابة للإنجيل والمناداة به.

+ ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله (إنجيل قداس الثلاثاء).

+ أتريد أن تبصر الاستنارة بالإنجيل فقال له يسوع أبصر إيمانك قد خلصك (إنجيل قداس الخميس).

+ وما تعلمتموه وتسلمتموه وسمعتموه ورأيتموه فىّ فهذا افعلوا والله السلام يكون معكم (البولس يوم السبت).

+ من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء إلى حياة أبدية (إنجيل الأحد يو ٤ : ١ ــ ٤٢).

+ ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول إنها قد ابيضت للحصاد .

+ فآمن كثيرون من السامريين بسبب كلام المرأة التى كانت تشهد أنه قال لى كل ما فعلت ، ومكث كثير من السامريين مع الرب يومين فآمنوا به أكثر جداً بسبب كلامه.

٥ ــ لنتشدد بالإيمان

وما أن يأتى الأسبوع الخامس ويكون المؤمنون قد مارسوا تداريب روحية كالاستعداد للجهاد والتعرف على تجارب العدو وحمل الأسلحة الروحية التى تحدث عنها بولس الرسول فى الإصحاح السادس من رسالة أفسس وعاشوا فى اختبار التوبة الحقيقية وأخذوا مواقف حاسمة فى حياتهم كتلك التى أخذها الابن الضال عندما ترك كورة الخنازير وعاد إلى أحضان الأبوة الحانية.

بعد هذا كله تقدم الكنيسة تدريباً روحياً عن تدعيم الإيمان والتشدد به والاتكال الإيمانى الكامل على الله وضرورة التألم من أجل الإيمان ، ونقتطف بعض القراءات التى تدور حول هذا المحور الهام من حياة أولاد الله ، " وأما أنت يا إسرائيل عبدى، يا يعقوب الذى اخترته لا تخف لأنى معك ، لا تخف ، أنا أعينك " (أش٤١ : ٤-١٤) (نبوات الأربعاء).

وإذ يحمل الإيمان الرجاء الذى لا يخزى يطالعنا إنجيل الأربعاء من هذا الأسبوع : " فقال للكرام هوذا ثلاث سنين آتى أطلب ثمراً فى هذه التينة ولم أجد أقطعها . لماذا تبطل الأرض أيضاً فأجاب وقال له يا سيد اتركها هذه السنة أيضاً حتى أنقب حولها وأضع زبلاً فإن صنعت ثمراً وإلا ففيما بعد تقطعها " (لو١٣ : ٦ ــ ٩) ، وفى قوة الإيمان وفاعليته تأتى نبوءة أشعياء " (٤٢ : ٥ ــ ١٦)

وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم لتفتح عيون العمى لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين فى الظلمة " (نبوات الخميس) .

وأما الذين لا يؤمنون فإنجيل قداس الجمعة ينذر بهلاكهم " إن لم تؤمنوا أنى أنا هو تموتون فى خطاياكم " (يو ٨ : ٢١ ــ ٢٧).

وفى إنجيل أحد المخلع يتضح بجلاء كل هدف تدريب هذا الأسبوع عندما تقدم الكنيسة نموذجاً للإيمان الإعجازى فالمخلع عند بركة بيت صيدا ثمان وثلاثين عاماً والرب يقيمه فى الحال بل ويعطيه قدرة أن يحمل سريره ويمشى (مت٩ : ٦) ، (يو ٥ : ١ ــ ١٨) ولكن الإيمان كقوة ونعمة لها التزام وهو ضرورة الحفاظ عليها وتنميتها وكما أن النكسة فى المرض الجسدى ذات خطورة جسيمة هكذا أيضاً فى الحياة الروحية ، تحذرنا الكنيسة من أنه " إن أخطأنا باختيارنا بعد ما أخذنا معرفة الحق لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا بل قبول دينونة مخيف " (عب١٠ : ٢٦) . " وإن الذين استنيروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتى وسقطوا لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه (عب ٦: ٤ - ٧) .

ياللخطورة إذاً بعد أن نكون قد أخذنا المواهب وذقنا حلاوة العشرة واستنارت أذهاننا ثم نضرب بهذا كله عرض الحائط ونلتفت إلى سدوم وعمورة مع امرأة لوط المسكينة ، ليحمنا الرب مقاومة الإيمان ورفض التوبة لتستنير عيون أذهاننا بعمل المعمودية .

ولا يكاد الصوم يطوى أسابيعه والأيام تجرى سراعاً حتى قبل أن تعطى الكنيسة إنذارها النهائى يوم جمعة ختام الصوم بقولها الرهيب . " يا أورشليم يا قاتلة راجمة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها ، هوذا بيتكم يترك لكم خراباً " (يو ١٣ : ٣١ ــ ٣٥) ، قبل الإنذار النهائى الذى يختم رحلة الصوم توضح لنا الكنيسة قوة فاعلية المعمودية فى حياتنا وتذكرنا بجحد الشيطان ومحو الخطية وقوة الميلاد

الثانى . أنا أنا هو الماحى ذنوبك لأجل نفسى وخطاياك لا أذكرها (من نبوات الاثنين من الأسبوع السادس أش ٤٣ : ٢٥) .

وان جحد الشيطان وممارسة المعمودية ليست طقساً فقط وإنما هى ميلاد جديد وحياة كلها توبة ومسيرة ملحة نحو ملكوت السموات وفى هذا يقول الرب : " أتظنون إن هؤلاء الجليليين كانوا خطاة أكثر من كل الجليليين لأنهم كابدوا مثل هذا، كلا أقول لكم أن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون" (إنجيل الاثنين لو١٣: ١ ــ ٥) .

وفى إنجيل قداس الخميس يتحدث الرب عن غذاء أبناء المعمودية الذين أعطوا ظهورهم للعالم وصار الرب يسوع حياتهم وفرحهم وقوتهم ، " الحق الحق أقول لكم من يؤمن بى فله حياة أبدية ، أنا هو خبز الحياة ، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد " (يو ٦) ، ولا يستطيع أحد أن يدرك قيمة هذه الأسرار الإلهية إلا إذا كانت له البصيرة التى تجعله يعرف الحق ويحب الحق ويؤمن بالحق، مهما كان الكلام صعباً ومعثراً عند أهل العالم والرب غير مستعد أن يقبل مفاوضات وجهالة وحلول وسط . فكثيرون من تلاميذه لم يعودوا يمشون معه بسبب صعوبة تقبل سر الأفخارستيا ، أما هو فقال للإثنى عشر " ألعلكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا فأجابه سمعان بطرس يارب إلى من نذهب . كلام الحياة الأبدية عندك ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحى " (يو ٦ : ٦٦-٦٩) ، وهذه هى سمات الاستنارة ، الإيمان الحى والعامل والفعال بكلمة الرب وبالحياة الأبدية التى فى شخصه .

وتؤكد الكنيسة فى هذا الأسبوع تدريب الاستنارة ، فإنجيل قداس السبت عن بارتيماوس الأعمى الذى قال للسيد أنه يريد أن يبصر فقال له يسوع اذهب إيمانك قد خلصك فللوقت أبصر وتبع يسوع فى الطريق .

وفى إنجيل قداس الأحد يتكلم الكتاب عن إنارة المخلص لبصائر المعتمدين " لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون " (يو ٩ : ٣٩).

يالعظمة اختبار هذا الأعمى الذى عندما حاوره الفريسيون المراءون عميان القلوب رغم انفتاح عيون أجسادهم ، " إنما أعلم شيئاً واحداً أنى كنت أعمى الآن أبصر " ، وكانت نتيجة انفتاح البصيرة السجود عند اللقيا ، " قال له يسوع الذى يتكلم معك هو هو فقال أؤمن يا سيد وسجد له ".

وأما الأسبوع السابع والأخير من الصوم فهو سيمفونية الخلاص ، تدربنا الكنيسة فيه عن المخلص الذى ظفر ودخل أورشليم كملك راكباً على جحش وأتان .

ولكنها عند ختام الصوم وقبل الدخول فى أسبوع البصخة المقدسة تلقى بإنذارها النهائى ودينونة الذين لم يستجيبوا لنداء الكنيسة طيلة هذه الأسابيع كلها ، فتقول فى مزمور القداس " الجبال تبتهج أمام وجه الرب لأنه أتى ليدين الأرض ، يدين المسكونة بالعدل والشعوب بالاستقامة " ، وفى البولس يتحدث الرسول عن يسوع المسيح العتيد أن يدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته .

وأما هيرودس الثعلب فليبقى فى مدينة الهلاك يراوغ مع جماعة الفريسيين ودينونة الرفض لكل من يشترك معهم ، ومع أورشليم قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها ، ان الدينونة صارمة ، والعقاب أبدى، والبيت يترك خراباً ، ومن له أذنان للسمع فليسمع .

ثالثاً : البعد الكنسى

يعتبر الصوم الكبير بحق ربيع الكنيسة، فهو موسم ازدهارها وتجليها البهى ، فيه تبدو أمنا البيعة الأرثوذكسية متزينة بأحلى ما عندها من طقوس وألحان وقراءات وممارسات روحية ، وما كتاب القطمارس الخاص بالصوم الكبير الذى يحوى قراءات من الكتاب المقدس بترتيب خاص مذهل " كما سبق شرحه " أو كتاب

الإبصاليات والطروحات الخاصة بتسبحة نصف الليل أو كتاب المدائح الذى يحوى القطع التى ترتل فى تسبحة عشية ، أو ألحان القداس العديدة وصلوات القسمة الخاصة بالصوم ماهى إلا أطعمة روحية تعدها الأم لأولادها الأمناء العابدين الذين حرموا نفوسهم بإرادتهم من طعام الأرض البائد وأغلقوا أفواههم وحواسهم عن كل لذة ترابية وعكفوا ملازمين البيعة نهاراً وليلاً بنسك وتقوى ملتمسين خبز الروح الباقى والمن السماوى شبع النفوس الحقيقى .

وكأن الكنيسة تريد أن تقدم لنا مبدأ روحياً هاماً أنه لا معنى لأى عمل نسكى أو حرمان جسدى إن لم يصحبه عبادة بالقلب ولذة فى الروح ودخول فى عشرة مع المسيح .

فكما أن عمل الكنيسة دائماً تحويل المبادئ الروحية إلى ممارسة عملية ومجال سلوكى فى متناول كل مؤمن ليحيا فيه وبه، هكذا فعلت أيضاً فى الصوم الكبير وهذا ما نريد أن نوضحه فى هذا البعد حتى ما يتبين كيف مزجت الكنيسة مبادئ الصوم الروحية لتقدمها لمؤمنيها بالألحان والتسابيح والطقوس والممارسات العملية، وسنحاول تقديم نماذج من نصوص التسابيح الكنسية لنبين مدى حرص الكنيسة أن تقدم لأولادها المجال والمناخ الملائم لصيام روحى مقبول أمام الله ولا سيما أن كثيراً من هذه التسابيح تبدو ككنوز مدفونة لا يتمتع بجمال ترتيلها إلا القلة القليلة .

القداسات المتأخرة

فعلى رأس ما يقدمه النظام الكنسى فى الصوم الكبير هو سر التناول الأقدس، فالقداسات التى تمتد حتى الساعة التاسعة التى توازى الثالثة بعد الظهر وأحياناً كثيرة حتى الخامسة مساء تسود الكنيسة فيها مسحة من الهدوء الروحى مع بخور صلوات ذات رائحة ذكية خارجة من نفوس قد تروحنت أجسادها بعد أن خف ثقل المادة عنها.

هذه الصورة هى أحلى تعبير عن الصوم بل إن الأفواه المفتوحة التى تتقدم للمذبح لتأخذ غذاءها من يد الكاهن بعد أن رفضت أن تمد يدها لتأخذ خبزها بنفسها هذه تمثل بالحقيقة الصوم فى معناه اللاهوتى والكنسى العميق .

" ونحن أيضاً فلنصم عن كل شر بطهارة وبر ونتقدم إلى هذه الذبيحة المقدسة ونتناول منها بشكر ".

" وكان مع الوحوش لما صام فى البرية، لكى نصنع مثله فى زمن وحدتنا ، الجسد والدم اللذان لك هما لمغفرة الخطايا مع العهد الجديد الذى أعطيته لتلاميذك ، الآن تناولنا من جسدك ودمك الحقيقيين تجديداً لقلوبنا وغفراناً لخطايانا " (من قطعة تقال فى توزيع سبوت وآحاد الصوم المقدس).

فالبناء الكنسى فى مفهومه اللاهوتى هو جسد واحد يجمع كل المؤمنين على امتداد الزمن ويأخذ فيه المسيح دور الرأس ، وبدون الرأس لا يوجد معنى بالمرة لدور الأعضاء مهما كانوا ، ولذلك فإن أى عبادة لا تقدم من خلال المسيح غير مقبولة بتاتاً، والكنيسة حريصة أن تشهد لرأسها بأن تُذكّر أولادها بأن صومهم مهما بلغ من القوة أو الضعف فما هو إلا اشتراك الأعضاء بنصيبهم فيما قام به الرأس من أجلهم ، " أكمل نقائص شدائد المسيح فى جسمى لأجل جسده الذى هو الكنيسة " (كو ١ : ٢٤).

ولذلك فإننا لا نجد جملة تتكرر فى صلوات وتسابيح الصوم الكبير مثل هذه الجملة التى هى غاية فى البساطة وغاية فى العمق " يسوع المسيح صام عنا أربعين يوماً وأربعين ليلة ".

ما أعمق كلمة (عنا) أنها تعزى كل من يشعر بضعفه وعدم كمال صومه، كما هى أيضاً تكسر حدة كبرياء كل فريسى يفتخر ببره الذاتى ، ولهذا فإن هذه الجملة تبدو كالإيقاع الثابت للحن كله أو خيط العقد الذى يمر من خلال حبات جهادنا كلها ليربطها معا ويعطيها المكانة اللائقة والمعنى العميق .

فنحن بصومنا إنما نشترك كأعضاء فى جسد ذاك الذى قضى فى البرية أربعين يوماً وأربعين ليلة كفدية وكفارة عن جميعنا ، إننا نقدم نسكنا وجهادنا فى الصوم الكبير الذى هو بمثابة ذبيحة أجسادنا التى تجد قبولها مرتبطة بالذبيحة الكاملة التى للمسيح .

بل أن الكنيسة تقودنا إلى خطوة لاهوتية أعمق عندما تقدم لنا المسيح ككاهن يرفع هذه الذبيحة إلى الأقداس السماوية ، فهو الذبيحة وهو الكاهن معاً ، فهو رأس الجسد عندما تقدم أمامنا ليقدم ذاته ذبيحة نسك وطاعة للآب السماوى هناك فى برية الأردن ، وهو أيضاً فى نفس الوقت رأس الجسد عندما دخل كرئيس كهنة إلى داخل الحجال السماوى ليقدم ذبيحة الجسد كله أمام الله الآب ، أليس هذا ما تقصده الكنيسة عندما تقدم لحن (ميغالو) هذا اللحن العميق الذى يبدأ بهزات رصينة ثم يعلو بجمال فائق، إنه يعنى باللغة العربية " رئيس الكهنة الأعظم إلى الآباد الطاهر قدوس الله "، وكأن الكنيسة تحمل على هزات اللحن ثقل جهادها كله ليجتاز به كاهنها القدوس وحده الحجاب السماوى .

وفى نفس الخط اللاهوتى يدخل أيضاً لحن مرد الإبركسيس فى أيام الصوم " يرفع الله هناك خطايا الشعب من قبل المحرقات ورائحة البخور " .

وهنا يأتى دور العذراء مريم المكرمة من الكنيسة والتى يعطيها النظام الكنسى مكانتها فى كل مجال ، إنها هى المجمرة التى فاح منها بخور الذبيحة فى أرضنا ليصل عطره إلى الأقداس السماوية .

+ " أنت هى المجمرة الذهب النقى الحاملة جمر النار المبارك " (لحن يقال أثناء رفع بخور البولس أيام الصوم المقدس).

والكنيسة حريصة أيضاً أن تضم فى جسمها جهاد كل أولادها منذ آدم حتى نهاية الدهور ولذلك فهى تتكلم كثيراً فى الأربعين المقدسة عن صوم كل رجالها من أدم إلى اسحق إلى موسى إلى ايليا إلى دانيال إلى أهل نينوى ، (فالكنيسة تضم

التائبين من الأمم أيضاً) ، إلى الرسل إلى النساك ولباس الصليب والذين سكنوا البرارى فى كل عصر من أجل عظم محبتهم فى الملك المسيح ، وهكذا يندمج جهادنا مع جهاد آبائنا كلهم فى مجمرة واحدة هى الكنيسة ليتصاعد بخوراً واحداً مغطى تماماً برائحة الصليب ومرفوعاً بيد رئيس كهنتنا الأعظم أمام الآب السماوى.

وهكذا تصنع الكنيسة عجباً لكل مؤمن أنها تستلم جسده الصائم مهما بلغ من نقص وقصور لتقدسه فى سر الأفخارستيا المقدم على مذبحها كل يوم الذى هو جسد ابن الله ذاته فيسرى الدم الحى فى العروق الميتة فينتشى المؤمن حياة وحباً ويكتشف كيانه الجديد كعضو بين الأعضاء، لقد اتحد جسده الصائم بجسد المسيح الغالب . وهذا هو البعد اللاهوتى والكنسى العميق الذى تهبه الكنيسة لصوم أولادها فى الأربعين المقدسة .

قراءات دسمة ونبوات من العهد القديم

ثم تقدم لنا الكنيسة فى الصوم برنامجاً روحياً من القراءات فى الكتاب المقدس مرتبة بخط روحى خاص كما سبق وبينا ، ومن الملاحظات الهامة أن الصوم الكبير أحد المواسم القليلة للغاية التى تقدم فيها الكنيسة أجزاء من العهد القديم تقرأ كنبوءات فى صلاة رفع بخور باكر من كل قداس ، وكأن الكنيسة كأم ماهرة تعلمت بحذق كيف تعد غذاء أبنائها بنفسها تمد يدها لتقطف من هنا وهناك من كلمة الله عبر الدهور لتعد وجبة شهية لأولادها الجائعين والجالسين بإنصات أمام المنجلية يغتذون بفرح من طعام الروح .

التسبيح

ومن أهم عناصر العبادة الكنسية عنصر التسبيح وهكذا تعلمنا الكنيسة أن النسك المسيحى يقترن بالبهجة والفرح الروحى .

فهناك كثير من قطع التسابيح تضاف إلى التسبحة السنوية فى أيام الصوم ، فيوجد تسعة قطع باللغة العربية ترتل مع تذاكية السبت فى عشية الأحد ، وهذه

القطع يغلب عليها الطابع التفسيرى والتعليمى ، (كما تعود الطقس الكنسى كثيراً أن يقدم التعليم منغماً ليضمن وصوله إلى وجدان الشخص) ، وهى تربط الصوم بأفعال الفضيلة المختلفة كما تحث الصائمين على العبادة الطاهرة الروحية وذلك كله بكلمات بسيطة ومباشرة وذات طابع كتابى ، وفيها أيضاً تفسيرات لبعض من فصول أناجيل الآحاد .

وهذه القطع تشبه إلى حد كبير مدائح أخرى مرتبة لكى ترتل فى رفع بخور عشية وفى التوزيع أثناء القداسات .

اقصدوا الكنائس واكثروا الصلاة ... واضرعوا بابتهال فى القداسات

وتحابوا فمن لا يحب أخاه ... فهو كائن وسط الظلمات

ثم هناك أيضاً إضافات رائعة فى تسبحة نصف الليل ، اذ تبدأ فى الصوم الكبير بهوس خاص وهو عبارة عن تجميع من المزامير يناسب التوبة وطلب مراحم الله ، ثم تتلو ذلك إبصاليات خاصة تسبق قطع التسبحة السنوية ، وهذه الإبصاليات تعد من أجمل وأعمق صلوات التوبة فى الترتيب الكنسى كله ، وهكذا يقضى المؤمن الصائم جزءاً كبيراً من ساعات يومه فى لذة روحية ومشاعر ترتفع بسهولة أمام عرش المسيح .

" تعالوا فلنسبح مع الملائكة ونمجد ربنا يسوع المسيح ، فلنصم صوماً نقياً ونصلى بقلب منسحق ، وأيضاً تعروا من الإنسان العتيق وطقسه الشرير وأعماله الرديئة، والبسوا الإنسان الجديد وصلوا الآن بعظم قوة، الصلاة والصوم يطهران نفوسنا بالوقوف فى الصلاة ، فلنشكر ربنا يسوع لكى ينقل قلوبنا إلى السماء ". (إبصالية آدام على ثيوطوكية الأحد للصوم الكبير) .

الصلاة بالليل تنير العقول ، " اسهروا فى الطلبات بلا ملل ، وأحبوا النشاط والزهد، لنكون مستيقظين بالصلاة والصوم " . (أبصاليا واطس على القطعة السابعة من ثيئوطوكية الأحد) .

وأخيراً فإن الكنيسة أيضاً تقدم من جعبتها ومن أروع ألحانها فى قداسات الصوم الكبير الشئ الوفير، فهناك ألحان خاصة بالسيد المسيح وبالعذراء مريم ، وهناك لحن كيرياليسون " يارب ارحم " فى صلاة رفع بخور باكر، ولحن الليلويا فى توزيع القداس الإلهى ، وهى كلها ألحان غاية فى العمق تسودها مسحة من الرصانة والخشوع وتخرج هزاتها محملة بمشاعر الانسحاق واستمطار مراحم الرب .

المطانيات بانسحاق وسجود

فالصوم الكبير (كما بينا سابقاً) هو موسم التوبة والرجوع لله بانسحاق شديد وتوبة حارة، والكنيسة تعلمنا ذلك عملياً عندما تحرص على طقس المطانيات (مطانية كلمة يونانية تعنى تغيير الاتجاه أى التوبة) ، وهى إحناء الركب على الأرض علامة طلب الرحمة وذلك فى صلاة رفع بخور باكر.

فيقول الكاهن "تحنى ركبنا" ، ويرد الشعب "ارحمنا يا الله الآب ضابط الكل" ، ثم يقول " نقف ونحنى ركبنا " ، فيقول الشعب " ارحمنا يا الله مخلصنا " ، ثم تتكرر الطلبة مرة ثالثة " ثم نقف ونحنى ركبنا " فيقول الشعب " ارحمنا يا لله ثم ارحمنا " ، وأخيراً " يارب ارحم " .

وكثيراً ما يمارس المؤمنون المطانيات بالمنزل بكثرة فى هذا الصوم خشوعاً وسجوداً وإشاعة لروح النسك والمسكنة أمام الله طيلة هذا الصوم المقدس .

التقشف والعطاء للمساكين

فليس الصوم مجرد تغيير أطعمة أو انقطاع فترة من الزمن عن تناول الطعام ، وإنما الصوم هو حياة فيها التوبة الجماعية من الكنيسة كلها المتذللة للرب المصلوبة عن الأهواء والشهوات المتضرعة إلى الله تطلب الرحمة والغفران . ففيها التقشف والنسك وعدم إقامة المآدب وخاصة الفاخرة المليئة بأنواع الأطعمة ، لأن هذه الاتجاهات تفسد مناخ الصوم التقشفى ، والمسيحيون

الأوائل كانوا يأكلون طعاماً بسيطاً لكى يتوفر لهم مالاً يعطونه للفقير والمسكين ، وهنا ارتباط الصوم بالرحمة كما تقول المديحة :

طوبى للرحماء على المساكين فإن الرحمة تحل عليهم

والمسيح يرحمهم يوم الدين ويحل بروح قدسه فيهم

والكنيسة الحية التى تعرف أصالة الصوم كما ترفض الموائد والاحتفالات والمسرات والأفراح أيام الصوم الكبير ترفض أيضاً الثرثرة وضياع الوقت فى الكلام الذى لا يبنى ، لهذا يُؤثر المؤمنون الاعتكاف والصمت حتى يتيسر وقت لفحص الذات والتوبة والاعتراف وضبط اللسان والحواس ، والكنيسة تعلمنا ذلك فى تسابيحها عندما تقول لأولادها " تمسكوا بالصوم والصلاة معاً وقوموهما بالطهارة التى للقديسين ، أحبوا النشاط والبتولية " (إبصاليه آدام على ثيئوطوكية الأحد).

" ما هو فرح هذا العالم ، وما هى الأموال والكنوز التى لا نفع فيها ولا فائدة منها، هذه التى تصيد العقول وتخطف الأفهام وتظلم العيون من أجل أعمال هذا العالم . فإن كنوز الغنى تزول وتفسد، وأما السالكون فى ناموس الرب فيكون لهم الحياة والنجاة ، اسمعوا أيها الأحباء قول السيد المسيح وتعاليمه المحيية ، لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض ، وأن تصيروا واحداً مع المسيح فى ملكوته ، أبغضوا العيون المتعظمة ، واتركوا القلوب البهيمية ، واطلبوا الطعام السماوى واللباس البهى ، واحفظوا أجسادكم من النميمة لتكون مباركة لأنها هيكلاً للرب ، واحرسوا نفوسكم من الاختلاط الهيولى فإنه هو الشرك الأول الذى يصيد الإنسان (من طرح واطس للأحد الأول من الصوم الكبير).

طلبة ختامية

ياربى يسوع المسيح مخلصى الصالح يا من صمت عنا أربعين يوماً وأربعين ليلة بسر لا ينطق به ، اقبل صومنا ودموعنا وتوبتنا وانسحاق قلوبنا ومسكنتنا

وسجودنا أمامك ، واسمح لروحك القدوس أن يلف الكنيسة كلها بروح الجهاد القانونى والتوبة الصادقة وأعمال الرحمة الطاهرة الخالية من كل غش ورياء .

حبيبنا ومخلصنا عندما يتقدم أولادك للمائدة المقدسة على المذبح اسكب فيهم بروحك القدوس سر النصرة والغلبة على كل ما ليس من الأب لتكون ذبيحة حياتنا كلنا مقبولة ومرضية أمامك ، لك المجد والعز والسلطان فى كنيستك آمين .

إذا كانت وصية الصوم من أقدم الوصايا التى أعطيت للإنسان فى العهد القديم، فان الصوم الكبير بالذات يعتبر موسم التوبة وانتعاش الحياة الروحية فى الكنيسة كلها .

وهذا الكتاب عالج موضوع الصوم فى ثلاثة أبعاد فى تركيز وبساطة معا :

+ البعد التاريخى . + البعد الروحى . + البعد الكنسى.

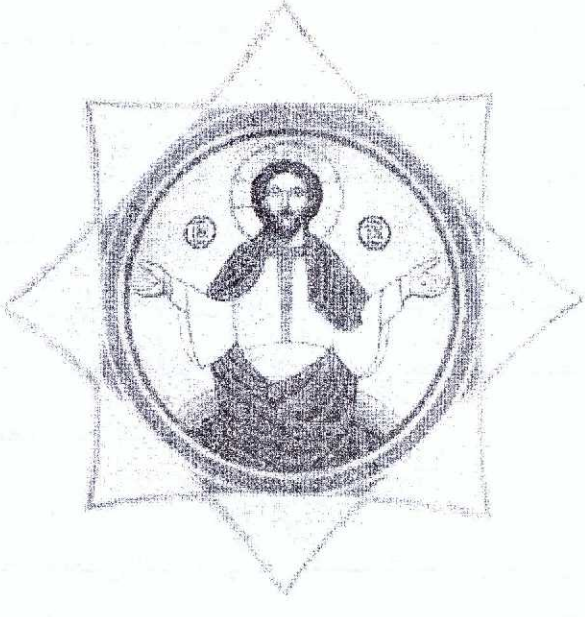

التجسد الإلهي

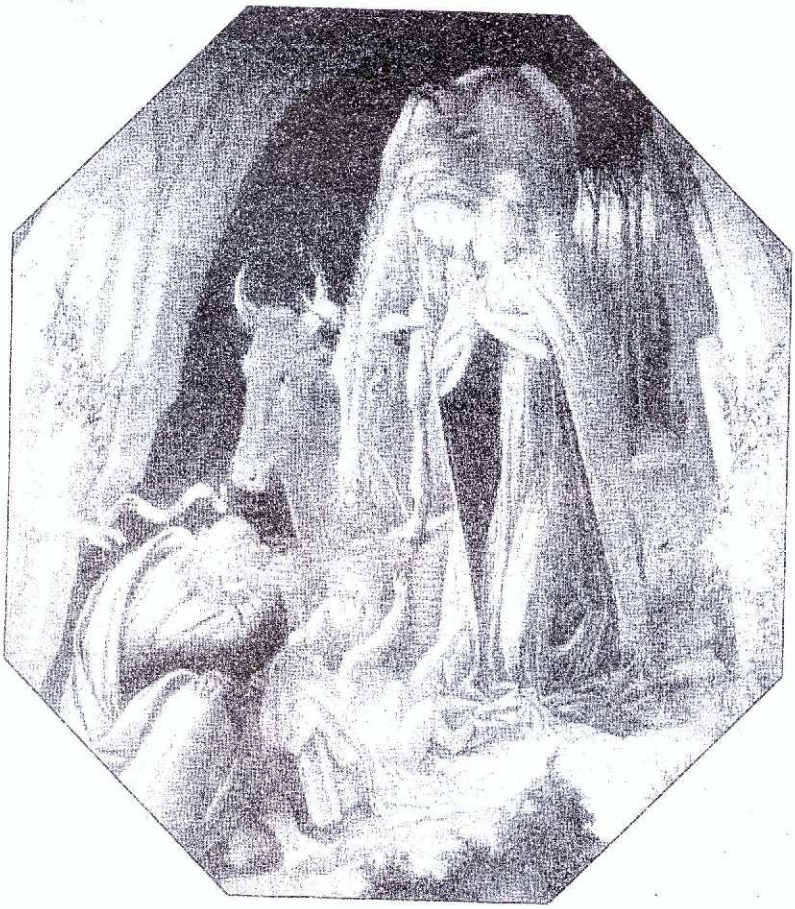

التجسد الإلهى
لاهوتياً ــ روحياً كنسياً ــ عصرياً

الكلمة صار جسد

إذا زار أحد العظماء إنسانا فقيراً ودخل بيته وجلس معه اعتبر هذا شرفاً كبيراً وتقديراً عظيما للرجل المسكين ! كم يكون الأمر متناهياً فى الحب والعطف إذا كان هذا الفقير قد أخطأ فى حق الرجل العظيم من ذى قبل .

ونحن الآن أمام قضية تفوق هذا الموقف تقديراً وأهمية . فأدم قد أخطأ فى حق الله وخالف وصيته وصار الموت عاقبة العصيان ، إذ يقول الرسول بولس " من أجل ذلك كإنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت ، وهكذا اجتاز الموت جميع الناس إذ أخطأ الجميع " (روميه ٥ : ١٢) .

ولقد لعنت الأرض كما جاء فى الإصحاح الثالث من سفر التكوين ، وصار الإنسان شقياً ، بعرق وجهه يأكل الخبز ، وإلى الأرض التى أخذ منها يعود لأنه تراب وإلى تراب يعود .

فإذا كان الله فى العهد القديم يعطى لشعبه الناموس والوصايا ويرسل لهم الأنبياء ويظهر ويتخاطب الرب مع مختاريه : مرة فى شكل ثلاثة ملائكة ، ومرة فى شكل ملاك ، ومرة فى شكل لهيب فى عليقة ، إلا أنه بعدما كلم آباءنا قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى إبنه الذى جعله وارثاً لكل شئ الذى به أيضاً عمل العالمين (عب١: ١ ــ ٢) .

فالله فى العهد الجديد لا يعطى ناموساً ولا يقدم وصية ، ولكنه يقدم نفسه إنساناً مثلنا فى كل شئ فيما عدا الخطية وحدها .

وفى تذاكية الاثنين من التسبحة تعلمنا الكنيسة قائلة : آدم فيما هو حزين القلب سر الرب أن يرده إلى رئاسته ، أشرق جسدياً متجسداً من العذراء بغير ذرع بشرى حتى خلصنا.

يسوع المسيح الكلمة الذى تجسد وحل فينا ورأينا مجده مثل مجد ابن وحيد لأبيه قد سر أن يخلصنا : أشرق جسدياً .

الكائن الذى كان الذى أتى وأيضاً يأتى ، يسوع المسيح الكلمة الذى تجسد بغير تغيير وصار إنسان كاملا ، لم يمتزج ولم يختلط ولم يفترق بأى شئ من الأنواع من بعد الاتحاد ، بل طبيعة واحدة وأقنوم واحد وشخص واحد لله الكلمة . أشرق جسديا ..

السلام لبيت لحم مدينة الأنبياء التى وُلد فيها المسيح آدم الثانى ، لكى يرد آدم الإنسان الأول الذى من التراب إلى الفردوس ، ويحل حكم الموت إذ قال يا آدم إنك من التراب وإلى التراب تعود ، لأنه حيث كثرت الخطية فهناك تزايدت نعمة المسيح . أشرق متجسداً .

كل الأنفس تفرح وترتل مع الملائكة مسبحين الملك المسيح ، صارخين قائلين المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وفى الناس المسرة ، لأنه نقض الحاجز المتوسط وقتل العداوة بالكمال ، ومزق كتاب يد العبودية الذى لآدم وحواء وحررهما . الذى وُلد لنا فى مدينة داود كقول الملاك ، مخلصنا يسوع . أشرق متجسداً .

نور هو الله وكائن فى النور ، وملائكته نورانيو ن يسبحون له ، النور أشرق من مريم ، واليصابات ولدت السابق ، الروح القدس أيقظ داود قائلا : قم رتل لان النور قد أشرق ، فقام داود المرتل القديس وأخذ قيثارته الروحية ، ومضى إلى الكنيسة بيت الملائكة وسبح ورتل للثالوث المقدوس قائلا : بنورك يارب نعاين النور ، فلتأت رحمتك للذين يعرفونك ، أيها النور الحقيقى الذى يضئ لكل إنسان أت إلى العالم ، أتيت إلى العالم بمحبتك للبشر وكل الخليقة تتهلل بمجيئك ، خلصت آدم من الغواية وعتقت حواء من طلقات الموت ، أعطيتنا روح البنوة نسبحك ونباركك مع الملائكة : أشرق متجسداً من العذراء بغير زرع بشر حتى خلصنا .

ولنا أن نتأمل فى هذه الحقائق اللاهوتية المجيدة فى إطار ذكر مقاصد الله وفاعلية التجسد فى الإنسان والكنيسة والمادة .

التجسد مقاصد الله

تقول التسبحة " افرح وتهلل يا جنس البشر لأن هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل ابنه الحبيب عن المؤمنين به ليحيوا إلى الأبد لأنه غلب من تحننه وأرسل لنا ذراعه العالى . أشرق متجسداً .

فالتجسد الإلهى مرتبط ارتباطاً شديداً بمحبة الآب السماوى . ولقد أعلن لنا الرسول بولس عن العطش الشديد الذى ملأ قلب الآب حباً حتى بذل ابنه الحبيب ليكون إنساناً وفادياً ومخلصاً لأدم وبنيه ، ففى رسالته إلى أهل أفسس يقول " إذ عرفنا بسر مشيئته حسب مسرته التى قصدها فى نفسه لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شئ فى المسيح ما فى السموات وما على الارض . " وإذ يوضح أن هذه المشيئة كانت من سابق الدهور يقول أيضاً " كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة إذ سبق فعيننا للتبنى بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته " (أفسس ١ : ٤ و ٥ ــ ١٠) .

يا لعظم هذه المشيئة التى امتلأت حباً !! هذه التى جعلت بعض آباء الكنيسة يقولون أن العالم لم يخلق إلا بغية أن يصبح كنيسة . وأن قصد الآب من تجسد ابنه لم ينحصر فى فداء آدم وبنيه فحسب ، ولكن حبه امتد لكى يشرك الإنسان فى الحياة الإلهية . حياة الثالوث القدوس الفائق الغنى .

فلذة الله هى فى بنى البشر ، ومحبة الله للإنسان تفوق كل تصور . وتجسد ابن الله وصيرورته إنساناً ، لأعظم برهان على محبة الله لنا ، وأصدق دليل على تدبيرات الله المقدسة الأزلية لأجل إعلان حبه للإنسان المخلوق على صورته كشبهه .

وإذا كان الصليب يكشف لنا عن الحب الشديد الذى يمتلئ به قلب الرب يسوع المسيح ، فإن سر التجسد يعلن لنا أيضاً الحب العجيب الذى يمتلئ به قلب الآب السماوى الذى ارتضى أن يتجسد ابنه فى أحشاء عذراء بتول اسمها مريم .

ألا تؤسر قلوبنا محبة الآب الغامرة فتجعلنا نتجه إليه بالشكر والتسبيح ونتقدم إليه بذبيحة حياتنا وتكريس إرادتنا وحبنا لشخصه المبارك ؟!

يا ليت عيوننا الشاخصة إلى الناصرة ، حيث العذراء الوديعة مندوبة البشرية فى تقبل بشرى الخلاص ترتفع إلى فوق حيث ينحدر حب الله الآب مشرقاً على البشرية الجالسة فى ظلال الموت طالبين منه بإخلاص أن نتحد به كما اتحد بنا وأن يعطينا ما له كما أخذ ما لنا .. إن الحركة الإلهية الهابطة من السماء تستوجب صدى طبيعى وهو حركة التكريس القلبى نحو الآب السماوى واتجاه الإنسان إليه بكل قدرته وفكره ومشاعره .

إن التجسد الإلهى يكشف لنا شيئاً عن طبيعة الله .. إنه يتعالى ويتنازل ، دون أن يكون تعاليه بعداً ، وتنازله اضمحلالاً كما يقول أحد الآباء المعاصرين .

أن المسيحيين يؤمنون أن تجسد الله لم يحدث فى جوهره المقدس حدثاً أو تغييراً فى زمان ومكان معينين ، إن المسيحيين لا يخشون على الله أن يتغير فيما لو تجسد ، لأن الذى يؤمن أن الله خلق الإنسان من طين من بقعة محدودة وفى زمان محدود ، يؤمن أيضاً أن تجسد الله فى زمان معين وفى حيز محدود لا يجعله محدوداً ولا يحدث فيه حدثا ولا تغيير لأنه قادر على كل شئ ولا يعسر عليه أمر لأن غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله .

" هوذا الرب خرج منك أيتها المباركة الكاملة ليخلص العالم الذى خلقه حسب كثرة رأفته ومحبته لنسبحه ونمجده ونزيده علوا كصالح ومحب للبشر . ارحمنا كعظيم رحمتك .."

التجسد والإنسان

لقد سقطت الطبيعة البشرية فى جنة عدن وتلوثت الخليقة المادية كلها عندما سقط تاجها وكاهنها فى العصيان . وإذا كان البعض من غير المسيحيين يرى أن التوبة كانت كافية لإعادة آدم إلى مركزه الأول فإن أثناسيوس الرسولى يرى " أن التوبة لا تستطيع أن توفى مطالب الله العادل ،لأنه إن لم يظل الإنسان فى قبضة الموت يكون الله غير صادق . هذا بالإضافة إلى أن التوبة تعجز عن أن تغير طبيعة الإنسان لأن كل ما تفعله هو أنها تقف حائلاً بينه وبين ارتكاب الخطيئة مرة أخرى .. وهكذا لو كان ما ارتكبه الإنسان لم يتبعه الفساد لكانت التوبة كافية ، أما الآن وقد أصبح الفساد طبيعة آدم وحرم من تلك النعمة التى سبق أن أعطيت له ، لم يبق غير أن يتقدم كلمة الله الذى خلق كل شئ من العدم ليرد إلى آدم نعمته السليبة .

وفى هذا الصدد يقول حامى الإيمان " وإذ رأى الكلمة أن ناموس فساد البشرية لا يمكن إبطاله إلا بالموت وأنه مستحيل أن يتحمل الكلمة الموت لأنه خالد باق غير خاضع لناموس الموت .. أخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت حتى باتحاده بالكلمة يكون جديراً أن يموت نيابة عن الجميع ، وهذا عين ما قاله الرسول بولس : " لأنه كما فى آدم يموت الجميع هكذا فى المسيح سيحيا الجميع " (١ كو ١٥ : ٢٢)، وفى موضع آخر يقول : " فإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية " (عب ٢ : ١٤ و ١٥).

إن الموت لم يكن خارجاً عن جسد آدم حتى تأتيه الحياة من خارجه .. أما وقد صار الموت ممتزجاً بالجسد أيضاً وسائداً عليه ، فكان مطلوباً أن تمتزج الحياة بالجسد حتى إذا ما لبس الجسد الحياة نزع منه الموت .

وإذا انحط فكر البشر نهائياً إلى الأمور الحسية فقد استتر الكلمة بظهوره فى الجسد لكى يستطيع كإنسان أن ينقل البشر إلى ذاته ويركز احساساتهم فى شخصه .

أليس هذا هو ما عناه بولس الرسول بقوله " وأنتم متأصلون ومتأسسون فى المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكى تمتلئوا إلى كل ملء الله" (أف٣ : ١٨و١٩).

أن الله بتجسده أعطى للإنسان إمكانية أن يوجد الله فيه لا أن يبقى الله بعيداً عنه كما كان فى العهد القديم .. لهذا يقول السيد المسيح له المجد فى صلاته الشفاعية الأخيرة : " أنا فيهم وأنت فىّ ليكونوا مكملين إلى واحد وليعلم العالم أنك أرسلتنى وأحببتهم كما أحببتنى " (يو ١٧ : ٢٣) .

وفى نفس الصلاة يقول : " عرفتهم اسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به وأكون أنا فيهم " (يو ١٧ : ٢٦) .

إن الله بتجسده قد أوجد الإنسان حسب النموذج الكامل الذى كان فى قصده ، وفى هذا نذكر قول بيلاطس عن المسيح عندما قدم للمحاكمة أمامه . "هوذا الإنسان" (يو ١٩ : ٥) .

الإنسان بمعناه الإنسانى الحقيقى ، الإنسان فى نموذجيته ومثاليته الواقعية العملية.. الإنسان فى رقته وحزمه ، فى لطفه وصرامته ، فى وداعته وشدته ، فى اتضاعه وعظمته ، فى بعده الداخلى وبعده الخارجى ، فى روحه وجسده معاً .

فالإنسان بعد المسيح قد صار حاضراً أمام الله الآب كل حين ، وأضحى المسيح شفيعاً وحيداً ووسيطاً وحيداً لدخول الإنسان إلى أقداس الآب .. الإنسان بعد المسيح قد تجاوز الألم لأن المسيح حمل أوجاعنا وامتص بصليبه وموته غصة الألم ليجعله شركة حب وهبة تمنح للمختارين .

الإنسان بعد المسيح قد تجاوز مشكلة العزلة والفراغ لأن المسيح قد صار له كل الملء وكل الشبع وكل الراحة والسلام .

الإنسان فى المسيح قد تجاوز مشكلة الموت لأن المسيح قد داس بموته شوكة الموت والذين فى القبور أنعم لهم بالحياة الأبدية .

الإنسان فى المسيح قد صار مدعواً إلى التألـــه كمـــا قـــال أثناســيوس الرســولى فقد أخذ الله إنسانيتنا ليهبنا مجـــده الإلـــهى .

التجسد والكنيسة

لو لم يتجسد المسيح ما كان للكنيسة وجـــود .. أليســـت الكنيســـة هـــى جســـده ، إن الرب يسوع أرسل الروح القدس المعزى لكى يعمل فـــى الكنيســـة بعـــد صعـــوده ، حتـــى يتم ما عمله أثناء وجوده بالجســـد .

إن كان الرب يسوع قد شـــفى المرضـــى وأمـــر بالعمـــاد وأعطـــى الجســـد والـــدم الأقدسين فإن الكنيسة تمارس أعماله المجيدة فـــى وســـائط النعمـــة .

وإن كان يسوع قد تألم مجرباً فإن الكنيســـة تكمـــل نقـــائص شـــدائده فـــى أبنائـــها الشاهدين للحق عبر كل العصور والأجيـــال .. إن عقيـــدة التجســـد تشـــرح لنـــا رســـالة الكنيسة ودورها فى التـــاريخ .

إن الكنيسة من خلال التجسد ليســـت مؤسســـة اجتماعيـــة ولا تنظيمـــاً طائفيـــاً ولا رباطاً عاطفياً وإنما هى وعاء الإيمـــان .. إنـــها ثلاثـــة أكيـــال مـــن دقيـــق بـــها خمـــير الخلاص الحية الفعالـــة .

وكل فهم للكنيسة على المســـتوى الاجتمـــاعى البحـــت أو علـــى الصعيـــد الطـــائفى القومى يفسد معناها الحى الذى قصده الـــرب بتجســـده الطـــاهر .

إن الكنيسة هى جسد المسيح السرى ، فكل ابن مـــن أبنائـــها يســـتمد مـــن الـــرأس حياته وكيانه ومواهبه ورسالته ، فلا كيان لجماعـــة عنـــد المســـيح يســـوع مـــهما ادعـــت أنها مسيحية نشطة إن لم يكن الحق محور ارتكازهـــا ، وعمـــل النعمـــة وفعـــل الخـــلاص حجر زاويتها .. إن الكنيسة هى عمود الحق وقاعدته ، فـــإن تخلـــت عـــن الحـــق لأجـــل أساليب ملتوية وطرق معوجة فإنـــها تســـتقبل مـــن كيانـــها وتتنـــازل عـــن رســـالتها .. والكنيسة من خلال التجســـد ، لا تســـتطيع أن تشـــهد للحـــق إلا بنعمـــة المســـيح وعمـــل روحه القدوس ، لهذا تطلب الكنيسة كل حين الـــروح القـــدس أن يضطـــرم فـــى أحشـــائها

" روحك القدوس يارب الذى أرسلته على تلاميذك القديسين ورسلك المكرمين فى الساعة الثالثة هذا لا تنزعه منا أيها الصالح لكن جدده فى أحشائنا .. روحاً مستقيماً جدد فى أحشائنا . روحاً محيياً .. روح النبوة والعفة .. روح القداسة والعدالة والسلطة " .. وتتوسل الكنيسة للروح القدس قائلة : " هلم تفضل وحل فينا وطهرنا من كل دنس أيها الصالح وخلص نفوسنا " .

فالمسيح بتجسده أسس الكنيسة لتكون جسده السرى . والروح القدس يعمل بفاعليته ومواهبه على استكمال هذا الجسد من خلال شركة وعضوية جماعة المؤمنين .. ويوم أن يستكمل الجسد أعضاءه ينهى الرب الزمان لأن التاريخ قائم لهذا الهدف الأوحد وهو إعداد الجسد السرى واستكمال أعضائه.

والروح القدس يجمع الأعضاء ويوحد الأشخاص ويؤلف بين المواهب . لأن الكنيسة هى شركة " نحن " وليست مجموعة " أنا " المتباينة المتضاربة ، إن الكنيسة فى صورتها الحقيقية هى التى كانت فى العلية وقت حلول الروح القدس يوم الخمسين..لقد كانوا مجتمعين معاً بروح واحد وفكر واحد وقلب واحد مصلين عابدين خاضعين لمشيئة الرب .. وهذا هو مفهوم الكنيسة الحقيقى .

والروح القدوس يستخدم مواهبه لوحدة الجسد وتكامله كما يقول الرسول : "ولكن هذه المواهب كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هى جسد واحد ، كذلك المسيح أيضاً لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنا أم يونانيين ... فالآن أعضاء كثيرة ولكن جسد واحد" (١كو ١٢ : ١١ ــ ٢٠) .

من هذا المنطلق نستطيع أن ندرك حرص الكنيسة فى صلوات الليتورجيا على طلبة وحدانية القلب التى للمحبة لكى تتأصل فى جميع الأعضاء .

ومن خلال القداس الإلهى يتمكن كل عضو أن يغير طبيعته فالأنا المنغلقة والذات المتحجرة تتحول من خلال التناول من الجسد والدم الأقدسين إلى عضو حساس منفتح باذل محب متناغم ومنسجم مع الآخرين لتكون شركة القديسين أى الكنيسة .

ما أعجبك أيها الرب الإله ! فإنك أنت وحدك الذى استطعت أن تجعل الكثيرين واحداً وأنت الذى من خلال تجسدك قد جمعت العظام الجافة والنتنة والمبعثرة وأسست بها كنيسة حية نامية تسكب عليها حبك ودمك وروحك المعزى .

ما أمجدك أيتها الكنيسة العروس الإلهى ! أنت جنة مغلقة وعين مقفلة وينبوع مختوم . أنت سوداء ولكنك جميلة ، لقد سبيت قلب الآب ورآك فى المسيح جميلة ليس فيك عيب ، جميلة كالقمر طاهرة كالشمس ، مرهبة كجيش ذى ألوية .

التجسد والمادة

فى إحدى أقوال الفيلسوف الملحد المادى فيورباخ يقول " الإنسان لا يزيد فى تكونيه عن المواد التى يأكلها " وقد أراد بعبارته هذه أن يضع نهاية المبادئ التى تنادى بروحانية الطبيعة البشرية .

وقبل فيورباخ بقرون كثيرة ورد هذا التعريف للإنسان فى الكتاب المقدس فقصة الخليقة تصور الإنسان كائناً جائعاً قدم الله له العالم ليكون له طعاماً ، فلكى يكثر الإنسان ويسود على الأرض علمه الله أن يأكل منها (تك ١ : ٢٩) . وتشبيه العالم بالوليمة ورد مراراً فى الكتاب المقدس فهو صورة الحياة فى بدايتها وهو صورتها فى نهايتها "لكى تأكلوا وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى " .

فحقيقة التجسد قد أعطت للمادة معنى جديداً . لم تعد المادة نجسة ولا عادت الأرض بفاسدة ، فإن المسيح قد طهر الكون بتجسده . لقد أعطى المسيح بتجسده إمكانية تقديس المادة . لقد أخذ الرب إلى السماء مادة عالمنا بأكملها إلى أعمق

أعماق الحقيقة الإلهية ، لقد أصبح الله حاضراً فى العالم وليس مشاركاً لتاريخه فقط بل لجوهره أيضا على حد تعبير أحد المعاصرين .

لقد أخذ ابن الله الجسد الإنسانى إلى الأبد . والطبيعة البشرية لا يمكن فصلها عن شخص المسيح . من أجل هذا حرمت الكنيسة نسطور المبتدع لأنه فصل الطبيعة الإلهية عن الطبيعة الناسوتية وشجبت أوطاخيا المبتدع الذى نادى بذوبان الإنسانى فى الإلهى عند المسيح .

ومن هذا المنطلق نستطيع أن نفهم استخدام المادة مثل الخبز والخمر والزيت والماء فى ممارسة الأسرار الإلهية . إن الأرض الملعونة هى التى تخرج الخبز ونتاج الكرمة اللذين صارا جسد الرب ودمه فى الأفخارستيا . فكما أن العذراء هيأت للرب جسداً من دمائها ، هكذا الطبيعة والخليقة المادية كلها تهيئ له القربان والخمر ليحوله إلى جسده ودمه كحياة أبدية لمن يتناول منهما . فالمادة سواء كانت الجسد فى الكيان الإنسانى أو فى الإطار الخارجى لم تعد نجسة ولا ملعونة فالمسيح فى تجسده وميلاده تلاقت فيه المادة واللاهوت واتحدت فيه الناسوتية والإلهية ، وفى المذود تلاقت الأنفاس الأرضية بالأنفاس السمائية ، والغرائز الإنسانية التى أصابها الجموح والتمرد بسبب خطية العصيان الآدمية تعود من خلال الاتحاد بالأفخارستيا إلى وضعها الأصيل . فالغريزة الجنسية لا تكون دافعاً للإستيلائية والتملك والسيطرة ، وإنما مجال مبارك عند المسيحى الحقيقى للانطلاق نحو الآخر فى إطار الحب وصعيد الشركة المقدسة .

والطعام المادى لم يصبح مثار لعنة ومجال سقوط لأن المؤمن الحقيقى يتناوله بروح الصلاة والنسك والقناعة والشكر من يد الله الذى بارك وقدس وقسم وأعطى فى القديم ، ولا يزال يبارك ويقدس ويعطى فى كنيسته بروحه القدوس . فمجال الأكل المادى لم يصبح للنهم والتلذذ فى حد ذاته بل مجال شكر وعطاء وشركة

أخوة إذ يقول الكتاب . "وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب . مسبحين الله ولهم نعمة لدى جميع الشعب" (أعمال٢ :٤٦، ٤٧) .

وهكذا جميع تدبيراتنا الجسدية تتقدس من خلال سر التقوى وسر الشركة والصلاة.

إن المادة لم يلحقها تغير كياني بعد التجسد فلا تزال الأرض أرضاً ، والغريزة غريزة ، والمادة مادة ، ولكن الذى صنعه التجسد الإلهى أنه أعطاها معنى جديداً ورؤية جديدة كعربون مسبق للأرض الجديدة التى تنتظرها عند مجئ الرب الأمين .

منذ أن استنار العالم بنور الكلمة ، ومنذ أن أخذنا نتأمل العالم بعيون متجددة نقية فإنه يحق لنا أن نقول إن الإله المتجسد قد غير وجه هذا العالم .

لقد غير الرب الزمان عندما أدخل التجسد فيه إذ أعطى شرحاً ومعنى وتفسيراً للتاريخ .

وغير الكيان المادى عندما جعل البدن هيكلاً للروح القدس ، وصار الماء والزيت والخبز والخمر مجالات اتحاد بين الله والمادة . فيها يهب روح الله القدوس نعما فعالة فى أسرار لا ينطق بها .

+ مبارك الله الآب الذى بذل ابنه ليوجد بيننا كعبد ليحرر كل المأسورين بعبودية إبليس والموت .

+ ومبارك الله الإبن الكلمة الذى أحبنا وأخذ طبيعتنا ليعطينا طبيعته .

+ ومبارك الروح القدس العامل فى كنيسة الله فى كل زمان ومكان ليتمم قصد التجسد الإلهى ويكمل رسالته الكنسية .

+ ومطوب كل مؤمن مدعو مختار نال بالنعمة الأسرار العالية وأبصر بعينيه مقاصد الله الأزلية المكتومة منذ سابق الدهور ولكنها أعلنت للملائكة من خلال

الكنيسة . هذه الأمور التى اشتهت الملائكة والأنبياء فى القديم أن يروها ولكنهم لم يروا ، وأن يسمعوها ولكنهم لم يسمعوا .

+ أما نحن فطوبى لأعيننا لأنها تبصر ولآذاننا لأنها تسمع ، فلنستحق أيها الرب أن نسمع ونعمل بإنجيلك المقدس ونتمم تدبيرك العظيم ، ونكمل فى كنيستك بروحك القدوس عملك الإلهى الذى على الأرض نوراً وسلاماً وخلاصاً أبدياً .

أهداف التجسد
كما ذكرها أثناسيوس الرسولى

+ هو الكلمة وحده الذى يليق بطبيعته أن يجدد خلقة كل شئ ، وأن يتحمل الآلام عوضاً عن الجميع ، وأن يكون نائباً وشفيعاً عن الجميع لدى الآب .

+ لكى يبطل الناموس الذى كان يقضى بهلاك البشر إذ مات الكل فيه ، ولكى يعيد البشر إلي عدم الفساد ويحييهم من الموت بجسده وبنعمة القيامة .

+ لإمكان تقديم ذبيحة عن الأجساد أخذ الكلمة جسداً مشابها " اشترك هو أيضا فى اللحم والدم لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس " فبذبيحة جسده وضع حداً لحكم الموت الذى كان قائماً ضدنا .

+ ليعرفهم شخص الآب السماوى لأن الإنسان بعد سقوطه هوى إلى العبادة الوثنية واتبع السحر والشعوذة .

+ بتجسده جدد الخليقة التى كانت فى صورة الله .

+ إذا انحط فكر البشر نهائياً إلى الأمور الحسية فقد توارى الكلمة بظهوره فى الجسد لكى يستطيع كإنسان أن ينقل البشر إلى ذاته ويركز احساساتهم فى شخصه .

+ أنى ليحمل عنا اللعنة الموضوعة علينا . وبموته صار كفارة عن الجميع ونقض حائط السياج المتوسط وإذ رفع جسده على خشبة الصليب طهر الهواء من خبث الشيطان .

+ ليحقق النبوءات التى ملأت الكتب الإلهية عن ميـــلاده وآلامـــه وموتـــه .

+ جاء فى شكل بشرى وليس فى شكل اسمى لأنـــه جـــاء ليخلـــص ، لا ليبـــهر الأنظـــار ويؤثر على الألباب ، ولأن الانسان وحده هو الـــذى أخطـــأ دون ســـائر المخلوقـــات .

" لا يقصد إن نكون الها فى الجوهر أو الأقنوم وإنمـــا إن يكـــون لنـــا إمكانيـــة مشـــاركته فى طبيعة مجده وفرحه وحبه الإلـــهى المجيـــد " .

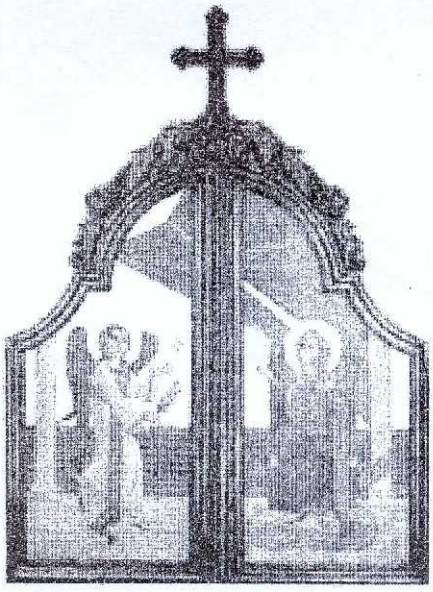

مجد وسلام ومسرة

مقال ميلادى (مجد وسلام ومسرة)

" وكان فى تلك الكورة رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم ، وإذا ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضاء حولهم فخافوا خوفاً عظيماً . فقال لهم الملاك لا تخافوا . فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب . أنه ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب . وهذه لكم العلامة تجدون طفلاً مقمطاً مضجعاً فى مذود . وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوى مسبحين الله وقائلين المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة " (لو ٢ : ٨ ــ ١٤) .

المجد لله فى الأعالى

الابن هو بهاء مجد الآب ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته . هو الذى كلمنا فيه فى الأيام الأخيرة . بعد أن كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة . ففى القديم تكلم فى مجد العليقة مع موسى عندما دعاه للخدمة . وتكلم معه أيضاً على جبل سيناء فى جبل ملموس مضطرم بالنار وضباب وظلام وزوبعة وهتاف بوق . وكان المنظر مخيفاً حتى قال موسى أنا مرتعب ومرتعد .

وتكلم مع هارون ورؤساء الكهنة فى خيمة العهد فى الشكينة بين الكاروبين . وكان مجد الله يغطى الخيمة كلها .

وتكلم مع سليمان وكان مجده يغطى الهيكل كله . ولكن فى هذه جميعها ما اهتزت السماء بالصورة المفرحة المبهجة المشرقة التى رأيناها فى بشارتها للرعاة .

" **ها أنا أبشركم بفرح عظيم** " . ومع رئيس جند الرب ظهر جمهور من الجند السماوى مسبحين الله قائلين المجد لله فى الأعالى .

حقا أن الله مجده يفوق الأعالى وسماء السموات . فالمجد والجلال قدامه ، العز والجمال فى قدسه (مز ٩٦ : ٦) ، لقد ارتفع عظم جلالك يارب فوق السموات،

وإلى الملائكة تنسب حماقة ، وليس شيء طاهر قدامك . فأنت وحدك القدوس المملوء مجداً .

ولكن يلزمنا أن نشير هنا إلى أنه هناك سر من أعظم الأسرار الإلهية . فإن اتضاع الرب العجيب وإخلاءه لذاته ليصير إنساناً مثلنا فى كل شئ فيما عدا الخطية وحدها . هذا التنازل الإلهى المذهل هو الذى جعل السموات غير قادرة أن تحتمل السكوت والصمت فأسرعت تعلن للبشرية عظم مجد الإله المتجسد الذى قبل عارنا ومسكنتنا ومذلتنا ، وصار مثلنا جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً لابن وحيد مملوء نعمة وحقاً .

وفى صلاة الرب الشفاعية الأخيرة بيّن المخلص أن تجسده وتنازله العجيب إنما كان لكى يعطينا مجده . إذ يقول : " **وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحدا . كما أننا نحن واحد . أنا فيهم وأنت فى ليكونوا مكملين إلى واحد وليعلم العالم أنك أرسلتنى ، وأحببتهم كما أحببتنى . أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى يكونون معى حيث أكون أنا لينظروا مجدى الذى أعطيتنى لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم** "(يو ١٧ : ٢٢ ــ ٢٤) .

فحركة التنازل الإلهى كان لابد أن يقابلها من الطغمات السمائية حركة تسبيح وتمجيد تليق بكرامة الوليد " سبحوه ــ مجدوه ــ زيدوه علوا " .

والإنجيل فى بشارته وأحاديثه عن رب المجد يقرن بين المجد والصليب كما وحدت بشارة الملاك بين المجد السماوى والإخلاء والبذل والتجسد الفائق الإدراك .

فعندما يقول الكتاب ان الرب يسوع لم " يتمجد بعد " يعنى إنه لم يصلب بعد . وداود يكشف هذه الحقيقة فى مزموره " **أن الرب ملك على خشبة** " .

حقا أن الرب غيور على مجده " **أنا الرب هذا اسمى ومجدى لا أعطيه لآخر**" (أش ٤٢ : ٨) ، ولكنه فى حبه وبذله أعطى للكنيسة مجد ميراثه واستودعه فى القديسين كما يقول بولس الرسول : " **لتعلموا ما هو رجاء دعوته وغنى مجد**

ميراثه فى القديسين " والقديسون إذ يهبهم وهم على الأرض عربون هذا الميراث يزدادون فى الاتضاع والمسكنة والسجود تحت قدميه "ليس لنا يارب . ليس لنا . لكن لاسمك أعط مجداً " (مز ١١٥ : ١) .

على أن مجد الميلاد قد كشف لنا عن أمجاد للابن عاينها الرسل القديسون وسطرها لنا الوحى الإلهى فهو مجد يتلوه مجد .

فمجد التجلى على جبل طابور يقول عنه الوحى : " وفيما هو يصلى صارت هيئة وجهه متغيرة ولباسه مبيضا لامعا . وإذا رجلان يتكلمان معه وهما موسى وإيليا اللذان ظهرا بمجد وتكلما عن خروجه الذى كان عتيداً أن يكمله فى أورشليم.. التحفوا بالسحاب وصار صوت منها قائلا : " **هذا هو ابنى الحبيب . له اسمعوا** " (لو ٩ : ٢٨ ــ ٣٦) ، والعجيب أيضا إن هذا المجد لم يعلن إلا عندما تكلم يسوع مع تلاميذه عن آلامه المزمع تذوقها . وحين ثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم مدينة المؤامرات والأعداء المتربصين .

ومجد الميلاد هو الذى أعطانا مجد الصليب . فلولا تجسده وتأنسه ما قدم الرب ذبيحة نفسه ، وما جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة .. فهو الذى دخل الأقداس مرة واحدة فوجد فداء أبديا ، وصار دمه الذى قدم بروح أزلى يطهر ضمائرنا جميعاً من كل أعمال ميتة لنخدم الله الحى .

فمن ثم يقدر أن يخلص أيضا إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الآب إذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم .. هو قدوس انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات وحصل على خدمة أفضل بمقدار ما هو وسيط أيضا لعهد أعظم قد تثبت على مواعيد أفضل .

ومجد الميلاد الذى وهبنا مجد التجلى والصليب أعطانا أيضاً مجد القيامة والصعود . ففى بشارة الميلاد رئيس الملائكة ومعه جند سماوى يبشرون الأرض بفرح عظيم ويعلنون عظمة مجد الله فى الأعالى ، وفى القيامة رئيس الملائكة ينزل

ويدحرج الحجر ليبشر النسوة الخائفات والحزانى أن يسوع قد قام بالحقيقة قد قام . فحوّل أحزان الكنيسة الى أفراح مبهجة ، وضعف التلاميذ والمؤمنين إلى قوة مذهلة ، وأعلن يسوع بمجده أنه حطم متاريس الجحيم وكسر شوكة الموت وأدخل إلى عالمنا المائت روح القيامة وإذ بالعظام الجافة والنتنة جداً قد تحققت فيها النبوة وصار منها جيش عظيم جداً جداً (حز٣٧) ، وعنده صعوده المجيد إلتحف الرب بالسحاب وأرتفع إلى مجده السماوى وأخذته سحابة عن أعين تلاميذه . وجاءت الملائكة تبشر وتعلن أن يسوع هذا الذى أرتفع عنكم إلى السماء سيأتى هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء .

فيسوع رب المجد بعدما قدم مرة لكى يحمل خطايا كثيرين سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه .

يارب مجد ميلادك الذى من الأعالى سكب على الارض أمجاداً لا يحسها إلا المؤمنون ، وأعطى عربون المجد العتيد الآتى لكل من ينالله من المفديين .

" هؤلاء هم الذين وهبوا أن يرنموا أمام عرشك الممجد ترنيمة جديدة ويتبعونك حيثما تذهب .. هؤلاء اشتروا من بين الناس باكورة لله وللخروف . وفى أفواههم لم يوجد غش لأنهم بلا عيب قدام عرشك العظيم " (رؤ ١٤ : ٣ ــ ٥) .

يارب أن مجرد وصف يوحنا الرائى لأمجادك السمائية يملأ قلوبنا فرحاً ورعدة معاً .. فأربعة وعشرون عرشاً .. وأربعة وعشرون متسربلين بثياب بيض وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب ، وأمام العرش سبعة مصابيح نار متقدة هى سبعة أرواح الله . والأربعة الحيوانات غير المتجسدين مملوءة عيوناً قائلة ليلاً ونهاراً " قدوس قدوس قدوس الرب الإله القادر على كل شئ الذى كان والكائن والذى يأتى " .. ويسجد الجميع أمام عرشك العظيم ويطرحون أكاليلهم أمام العرش قائلين: " أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة لأنك أنت خلقت كل

الأشياء " مستحق كل كرامة لأنك أحببتنا وصرت إنساناً مثلنا وغسلتنا من خطايانا بدمك وجعلتنا ملوكاً وكهنة لله أبيك ، لك المجد والسلطان الى أبد الآبدين أمين .

سلام على الأرض

يقول داود النبى : " بالآثام حبل بى وبالخطايا ولدتنى أمى " والرسول بولس يشرح هذا بقوله : " الجميع زاغوا وفسدوا معاً . ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد .. أرجلهم سريعة الى سفك الدم . فى طريقهم اغتصاب وسحق وطريق السلام لم يعرفوه . ليس خوف الله قدام عيونهم .. لكى يستد كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله " (رو٣ : ١٢ ــ ٢٠) .

وأما الآن فقط ظهر بر الله بدون الناموس مشهوداً له من الناموس والأنبياء ، بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون .

فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح الذى به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون (رو ٥ : ١) .

لقد كنا أعداء بسبب الخطية وصار الحجاب بيننا وبين السماء . وفى هذا يشرح القديس بولس حالة البشرية قبل ميلاد المسيح بقوله : " وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا التى سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية . الذين نحن أيضا جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم فى شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضا . الله الذى هو غنى فى الرحمة من أجل محبته الكثيرة التى أحبنا بها ، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح بالنعمة أنتم مخلصون (أفس ٢ : ١ - ٥) .

فميلاد المسيح غيّر العلاقة التى بين الأرض والسماء إذ أبطل العداوة . والذين كانوا غرباء عن عهود الموعد بلا رجاء وبلا إله فى العالم .. هؤلاء جميعاً فى المسيح يسوع صاروا قريبين بدم المسيح . لأنه هو سلامنا الذى جعل الاثنين

واحداً ونقض حائط السياج المتوسط أى العداوة مبطلا بجسده ناموس الوصايا فى فرائض لكى يخلق الإثنين فى نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً ، ويصالح الاثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به ، فجاء وبشرنا بسلام نحن البعدين والقريبين . لأن به لنا كلينا قدوماً فى روح واحد إلى الآب ، فلسنا إذاً بعد غرباء ونزلاء بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله . (أفس ٢ : ١٣ - ١٩) .

فالمسيح إلهنا أوجد السلام بين السماء والأرض .. ذلك لأن الله الآب صار ينظر إلى المسيح فيجد الإنسان ، والإنسان صار ينظر إلى المسيح فيرى مجد الآب .. المسيح إذاً هو وحدة الإنسان فى الله واتحاد اللاهوت بالبشرية .. فما عادت البشرية تحت اللعنة والغضب لأن لها شفيع ووسيط واحد قدام الآب إذ هو حى كل حين يشفع فيها .

والمسيح إلهنا أوجد السلام بين اليهود أهل الختان وبين الأمم أهل الغرلة ، ذلك لأن العداوة التى كانت بينهم كانت بسبب الناموس الذى كان يحكم على الأممى بأنه نجس .. ولكن لما جاء المسيح لم يعد هناك يهودى ولا يونانى ليس عبد ولا حر ، ليس ذكر وأنثى لأن الجميع صار واحداً فى المسيح يسوع .. فكل من يؤمن بالمسيح مولود بيت لحم إنه يسوع المخلص والمسيا المنتظر هو ابن لإبراهيم الآن وهو وريث للمواعيد والعهود والإشتراع ، بل هو رعية مع القديسين وأهل بيت الله .. وقد حارب بولس الرسول وحوشاً فى أفسس من أجل هذا الإيمان ،ولاقى الصعاب من الأخوة الكذبة لأنه كرس نفسه للتبشير بأن الخلاص ليس بأعمال الناموس ، وإنما بالإيمان بالمسيح يسوع .. وإن الأمم شركاء فى الميراث والجسد ونوال موعده فى المسيح بالإنجيل .

فمبارك مولود بيت لحم الذى جمع فى شخصه السموات والأرض ، وألف ووحد السامريين مع العبرانيين واليونانيين مع أسباط إسرائيل . وهكذا بالحقيقة

صار بين الجميع سلام .. ليس كما يعطى العالم ولكنه سلام إلهى يفوق كل عقل يحفظ أفكار الجميع فى المسيح يسوع ..

وجاء يسوع سلاماً للإنسان أيضاً مع نفسه .. فالوحدة التى كانت بين قوى الإنسان الداخلية قبل السقوط صارت عرضة للتمزع بسبب الخطيئة والعصيان .. ومن ثم ظهرت الأمراض الجسمية والنفسية والعقلية والخلقية والسلوكية والاجتماعية .. هذه كلها عالجها يسوع بميلاده المجيد . إذ جاء الإنسان كما أراده الآب فى نموذجه الذى كان فى قصده من سابق الدهور ومن خلال الشركة مع ابن الإنسان نستطيع أن نحيا فى سلام مع أنفسنا فالإنسان الروحى قواه متجمعة .. ليس إنساناً مبعثراً مشتتاً .. الروح القدس يوحد قواه ويعطيه تكامل الشخصية على حد تعبير علماء النفس .. أما الشيطنة فهى التشتت بعينه ، لهذا لما سُئل الشيطان عن اسمه قال لجئون أى كثيرون . أما المسيح فقال أنا والآب واحد .

حقيقة أن المؤمن قد يتعرض لبعض الأمراض بحكم وقوع الجسد تحت نواميس الطبيعة التى لم تفتد بعد ولكن النعمة تعطيه الغلبة والنصرة والارتفاع فوق كل ضعفات هذه الأمراض .. ففى الجسم آلام .. ولكن فى القلب سلام .

ميلاد المسيح على أرضنا أعطى سلاماً للإنسان مع الله وللإنسان مع أخيه وللإنسان مع نفسه .

على أن نوعية السلام الذى أعطاه الرب للبشرية بميلاده المجيد ليس كالنوع السياسى أو الدبلوماسى ولكنه نوع آخر روحى . سلام فى إطار الحب والحق معاً . فالمسيحى حريص على أن يعكف على ما هو للسلام وما هو للبنيان كما أوصى الرسول فى رسالته إلى (رومية ١٤ : ١٩) وأن يتبع السلام مع الجميع والقداسة التى بدونها لن يرى احد الرب (عب ١٢ : ١٤) . ولكنه حريص على الحق كل الحرص فهو لا يستطيع أن يتجاوز الحق من أجل سلام زائف هو فى الحقيقة هروب من

الإلتزام وأخذ المواقف . يقول أشعياء النبى الإنجيلى " **لا سلام قال الرب للأشرار . ليس سلام قال إلهى للأشرار**" (اش ٤٨ : ٢٢ ، اش ٥٧ : ٢١) .

وهذه النبوة أوضحها الرب فى تعاليمه عندما قال " **لا تظن أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض ــ مع أنه دُعى رئيس السلام ــ ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً، فإنى جئت أفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها** " .

وأثبت التاريخ حقيقة هذا الأمر إذ وقفت القديسة دميانة ضد والدها والمطوبة بربارة ضد أبيها ومارجرجس المصرى ضد خاله وألوف من سحابة الشهود التى حولنا كان ألد أعدائهم أهل بيتهم .

أنه يوم الميلاد المجيد اليوم الذى فيه الرحمة والحق تلاقيا . والبر والسلام تلاثما ، قد صار خلاص الرب قريباً من خائفيه ، واستمع داود بروح النبوة إلى ما يتكلم به الرب الإله . أنه يتكلم بالسلام لشعبه ولقديسيه وحدهم .

فأنوار الميلاد أشرقت إلى البسطاء والمساكين والحملان طيبى القلوب والذين عاشوا على الرجاء ولكنهم كانوا جالسين فى الظلمة وظلال الموت فأضاء نور الميلاد إلى هؤلاء جميعاً لكى يهدى أقدامهم فى طريق السلام . (لو ١ : ٧٩) .

وأما الفريسيون والمراءون والكتبة والمعلمون الذين امتلأوا صلافة وغروراً وكبرياء ، فإن نجم المولود لم يظهر لهم . وبشير الرعاة لم يتراءى عندهم ، وهذه هى مقاصد الله العجيبة إنه اختار جهلاء العالم لكى يخزى بهم حكمة الحكماء وأختار البسطاء والضعفاء لكى يخجل بهم المنتفخين والمتعالين والمترفعين عن المساكين والخطاة .

ولا نعجب إذاً عندما يقف سمعان الشيخ فى الهيكل ويتنبأ عن الصبى يسوع الذى أدخل إلى الهيكل ليصنع له حسب عادة الناموس . أنه يقول لمريم أمه "**ها إن هذا قد وضع لسقوط وقيام كثيرين فى إسرائيل ولعلامة تقاوم . وأنتِ أيضا يجوز فى نفسك سيف لتُعلن أفكار من قلوب كثيرة** " (لو ٢ : ٣٤ ــ ٣٥) .

فمنذ ولادة الرب انقسمت البشرية إلى نوعين . نوع وديع روحى يفرح بخلاص الرب ويمجد وليد المذود ولا يحتقر الساكن فى بيت يوسف النجار ولا يعثر من الصليب لأن العين الروحية كشفت إنه وإن كان فى مذود إلا أنه ملك المجد الذى يجلس على عرش السماء وعلى قلوب الودعاء ، وإن كان فقيراً مقمطاً بلفائف ممزقة ولكنه كان عند البسطاء واهب الحياة الذى له وحده يحق السجود والإكرام والتسبيح .

فالمجوس قدموا ذهباً لأن الحق كشف عن عيونهم مُلكِه ومجده ، وقدموا لباناً لأن بصيرتهم الروحية أوضحت لهم رئاسة كهنوته وكيف أنه قدوس انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات .. وقدموا له مراً لأن تجربتهم الروحية كشفت لهم عن نبوته وعمق آلامه المزمع أن يذوقها من أجل الخطاة والبعيدين والضالين . هذا هو السلام الذى فى إطار الحق .

أما هيرودس الذى طلب أن يعرف من المجوس مكانه ، وكذلك حنانيا وقيافا والكتبة فكان سلامهم غشاً وتحياتهم كذباً وحوارهم مع الرب خبثاً وتصيُّداً .

وهكذا من جيل إلى جيل ستظل كلمات سمعان الشيخ عن المسيح هى المعيار الذى يكشف نوعية السلام وصدق أصالته . فالخبثاء والأشرار والهالكون قد وُضع المسيح لسقوطهم .. والودعاء والبسطاء والخطاة المترجون خلاص الرب قد وُضع الرب لقيامهم .

وأنا وأنت يا أخى أيضاً لا نستطيع أن نتمتع بالسلام الذى يفوق كل عقل ويحفظ أفكارنا وقلوبنا فى المسيح يسوع إلا إذا كنا على استعداد أن نسير مع الرب فى نفس الدرب والمسار الذى سلكه .. نسالم الجميع قدر طاقتنا . ولكن ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس . ومن أحب أباً أو أماً أو أخاً أو أختاً أو أولاداً أو حقولاً أكثر من الرب فإنه لا يستحقه . مسكين الذى يحيا فى عبودية البشر وأسر الناس

مهما كان نفوذهم ومراكزهم .. إن سلامه زائف واختباره غاش لأن **النعمة والحق معا** بيسوع صارا .

ربى لقد أعطيت بميلادك للبشرية سلاما يُدخل القلب أعتاب الأبدية .. لقد تحققت به نبؤة حزقيال : " **وأقطع معهم عهد سلام وأنزع الوحوش الرديئة من الأرض (الغرائز البشرية المنحرفة) فيسكنون فى البرية مطمئنين وينامون فى الوعور . يكونون آمنين فى أرضهم ويعلمون إنى أنا الرب عند تكسيرى ربط نيرهم** " (حز ٣٤ : ٢٥ - ٢٧) .

نعم استيقظى استيقظى إلبسى عزك يا صهيون . إلبسى ثياب جمالك يا أورشليم المدينة المقدسة لأنه لا يعود يدخلك فى ما بعد نجس .. ما أجمل على الجبال قدمى المبشر المخبر بالسلام ، المبشر بالخير المخبر بالخلاص القائل **لصهيون** قد ملك إلهك (أش ٥٢ : ١ و ٧) .

آه يا فرحة قلوبنا بمجيئك إلى عالمنا يا رب ، يا بهجة نفوسنا بتجسدك واتحادك بطبيعتنا ، يا سلام حياتنا بميلادك .. فلتفرح يا أشعياء لأن نبؤتك قد تحققت ولحن الفرح الذى كنت تعزفه ولا تفهم له معنى قد فهمته البشرية ، عرفه الرعاة المتبدون وتفهمه المجوس الحكماء ، وتهللت له جنود السمائيين وتعيد له نفوسنا مع بيت لحم الصغرى والتى صارت العظمى فى كل مدن التاريخ .. قل يا أشعياء عزوا عزوا شعبى يقول إلهكم . طيبوا قلب أورشليم . نادوا بأن جهادها قد كمُل إن إثمها قد عُفى عنه إنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها .. الأودية تمتلئ والأكمة تنخفض والشعاب تستقيم ويبصر كل إنسان خلاص الرب العجيب (أش ٤٠) .

وبالناس المسرة

المسرة التى قصدها الكتاب المقدس مسرة روحية تملأ القلب فرحاً ونعيماً .. أنها من ثمار عمل النعمة ، أنها فاعلية الروح القدس فى القلب ، أنها نتيجة حتمية للسلام القلبى الداخلى ..

والمسرة الحقيقية هى التى بين الآب والابن فى وحدة علاقة الأقانيم الفائقة المعرفة . " **نعم أيها الآب لأن هكذا صارت المسرة أمامك . كل شئ قد دفع إلىَّ من أبى . وليس أحد يعرف الابن إلا الآب** " (مت ١١ : ٢٦) .

وهذه المسرة هى التى ملأت قلب الابن والتى جعلته يحتمل الصليب مستهيناً بالخزى . وفى هذا يقول بولس الرسول كاتب العبرانيين " **ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذى من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزى فجلس فى يمين عرش الله** " (عب ١٢ : ٢) .

ومن ينبوع هذه المسرة ارتشف الشهداء . فاحتملوا التعذيب والإضطهادات .. وكانت كلها دافعاً إلى مزيد من السرور حتى أن الرسول بولس أصبحت آلام الخدمة واضطهاداتها هى موضوع سروره وفخره فى كتاباته وحياته " وأما أنا فبكل سرور انفق وانفق لأجل أنفسكم (٢ كو ١٢ : ١٥) .

ومن ينبوع هذه المسرة ارتشف أيضاً النساك والسواح والعباد والمتوحدون . ومن شدة حبهم وفرحهم بالمسيح نسوا البشر والبشريات على حد تعبير الشيخ الروحانى .. ضمرت أجسادهم ونسوا كل ما هو ضرورى لقوام الحياة ولم يتبق لهم سوى حبهم وفرحهم ومسرة قلبهم بذاك الذى أحبهم ومات لأجلهم وقام .

والناس ــ وبالأخص فى الغرب ــ حولوا المسرة الروحية إلى مسرات جسدية ونفسية .. فعيد الميلاد فى الغرب لا تلحظ فيه إلا بابا نويل والهدايا وبطاقات المعايدات وشرب الخمر فى الحانات والفنادق . وشراء أفخر المأكولات وإقامة أعظم الاحتفالات . واختفى مولود بيت لحم فى وسط هذه المظاهر الكاذبة حتى إنه يخيل لى أن مريم العذراء لو وقفت به بخرقه البالية أمام الكاتدرائيات الفاخرة لما سمح لهما أن يدخلا حتى لا يشوها جمال الاحتفالات .. ولو وعظ القادة وكبار رجال الدين فى ليلة العيد لما تكلموا إلا على عظمة الإنسان الذى تألله لأن الإله قد صار إنساناً !!

صار وليد المذود غريباً ، وصارت مسرته لجماعة قليلة ولفئة صغيرة فى العالم تعرفه حق المعرفة ، وتلحظ حضوره فى القلب وفى الكنيسة . عارياً من كل أبهة عالمية بل وظل الصليب واقع عليه منذ ميلاده وعداء الأشرار متربص به منذ وضعته العذراء مريم فى المذود وهذا ما عناه الرب عندما قال : " **لدينونة أتيت إلى العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون** " (يو ٩ : ٣٩) .

ولأجل هذا فإن الترجمة السليمة لأنشودة جوقة الملائكة المبشرة بالميلاد هى " **المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض والسلام لمن سر بهم ويعملون ما يرضيه** " .

أى أن السلام والمسرة هما للذين ارتضوا به مخلصاً ومنهجاً وطريقاً للحياة ، ولكل الذين أحبوا وأطاعوا مشيئته كما أحب وأطاع هو مشيئة أبيه .. فمسرتهم كانت فى الضيق كما فى الرحب . فى الألم كما فى الراحة ، فى السجن والتشريد كما فى الكرازة ونجاح الخدمة ..

ولكن المسيحية وإن كان فيها الخارج يفنى إلا أن الداخل يتجدد . والرب وعده صادق وأمين : " **أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول إلى فرح .. عندكم الآن حزن ولكنى سأراكم أيضا فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم .. اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً .. فى العالم سيكون لكم ضيق ولكل ثقوا أنا قد غلبت العالم** " (يو١٦)

كيف تمارس الكنيسة الأنشودة عملياً

الكنيسة تحيا وتمارس أنشودة الفرح فى حياتها ودورات عباداتها اليومية والأسبوعية والسنوية .. ففى كل يوم تمارس التسبحة اليومية وكلها تمجيد لاسم الله العظيم القدوس فى ميلاده وتجسده وفدائه وقيامته .. وفى التسبحة الكيهكية مثلاً تمتلئ الصلوات والتسابيح بالفرح والتمجيد لاسم الله القدوس ..

عجيب هو الله فى قديسيه إله إسرائيل هو يعطى قوة وعزة لشعبة يفرحون ويتهللون أمام الله ويتنعمون بسرور مبارك .

فليفرح الأبرار بالفرح والصديقون صرخوا إلى الرب فسمع لهم ونجاهم من جميع شدائدهم .

قريب الرب من مستقيمى القلوب والمتواضعى الأرواح يخلصهم .. نور أشرق للصديقين وفرح لمستقيمى القلوب . افرحوا بالرب أيها الصديقون واعترفوا لذكر قدسه هلليلويا .

الأم صهيون تقول أن إنساناً وإنساناً حل فيها ، وهو العلى الذى أسسها إلى الأبد هلليلويا .

وفى تذاكيات الأيام ترنم الكنيسة فرحه

يسوع المسيح الكلمة الذى تجسد وحل فينا ورأينا مجده مثل مجد ابن وحيد لأبيه قد سر أن يخلصنا .. أشرق جسداً .

الكائن والذى أتى وأيضا يأتى .يسوع المسيح الكلمة الذى تجسد بغير تغيير صار إنساناً كاملاً . لم يمتزج ولم يختلط ولم يفترق بأى شئ من الأنواع من بعد الاتحاد . لكن طبيعة واحدة وأقنوم واحد وشخص واحد لله الكلمة أشرق جسدياً ..

السلام لبيت لحم مدينة الأنبياء التى ولد فيها المسيح آدم الثانى لكى يرد آدم الإنسان الأول الذى من التراب إلى الفردوس . ويحل حكم الموت إذ قال يا آدم إنك من تراب وإلى التراب تعود ، لأنه حيث كثُرت الخطية فهناك تزايدت نعمة المسيح .. أشرق جسدياً .

جميع الطغمات السمائية ينطقون بطوباويتك أيتها العذراء لأنك أنتِ هى السماء الثانية على الأرض . باب المشارق هى مريم العذراء .. الآب تطلع من السماء فلم يجد من يشبهك . أرسل وحيده . أتى وتجسد منك .

عيد بتولى يدعو لساننا اليوم لكى نمدح والدة الإله مريم . من أجل الذى ولد لنا فى مدينة داود مخلصنا يسوع المسيح الرب .. السلام للعبدة والأم العذراء والسماء التى حملت جسديا الذى على الكاروبيم . بهذا نفرح ونرتل مع الملائكة

القديسين بتهليل قائلين " **المجد لله فى الأعالى . وعلى الأرض السلام وفى الناس المسرة** " لأنه سر بكِ الذى له المجد الى الأبد . هو أخذ الذى لنا وأعطانا الذى له.. لنسبحه ونمجده ونزيده علوا .

وفى ليتورجيا الأفخارستيا نمجد ميلاد الحمل ونقدم الشكر لله الآب خلال ابنه وفى طقس اختيار الحمل إشارات وطقوس تمجد الميلاد الإلهى ويعتبر سر الأفخارستيا هو التذكار الحى المتجدد الدائم لهذا الميلاد فى الكنيسة وتحمل القداسات صلوات كثيرة فى هذا الصدد فيقول القداس الباسيلى : " يا الله العظيم الأبدى الذى جبل الإنسان على غير فساد والموت الذى دخل إلى العالم بحسد إبليس **هدمته بالظهور المحيى** الذى لابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح **وملأت الأرض من السلام** السمائى الذى تمجده الملائكة قائلين : " **المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة** " .

والقديس اغريغوريوس فى قداسه يقول " هذا الذى سقط بغواية العدو ومخالفة وصيتك المقدسة ، وعندما أردت أن تجدده وترده إلى رتبته الأولى ، لا ملاك ولا رئيس ملائكة ولا رئيس آباء ولا نبى ائتمنته على خلاصنا بل **أنت وحدك تجسدت وتأنست** وشابهتنا فى كل شئ ما خلا الخطية وحدها وصرت لنا وسيطاً لدى الآب ، والحجاب الفاصل نزعته ، والعداوة القديمة هدمتها ، وأصلحت السمائيين مع الارضيين ، وجعلت الاثنين واحداً .

وإذا كانت الكنيسة تحقق أنشودة السمائيين فى الليتورجيات ، فهى تسعى أيضاً لتحقيقها فى حياة الشركة والمحبة والألفة التى بين الإكليروس والشعب وبين أعضاء الكنيسة بعضهم بعضا حتى يكون مجال الكنيسة مجال فرح وسلام ومسرة وتحقق قصد الله من إنشائها أن تكون أرضا فى السماء أو مجالاً لهبوط السماء واستقرارها على الأرض .

لأجل هذا تحرص على وحدانية القلب التى للمحبة وتصلى من أجل هذا بإلحاح فى صلوات كثيرة ، وتلح فى الطلبة من أجل الجميع الكبير والصغير من أجل البعيدين والقريبين ، من أجل الأعداء والمحبين لكى يملك سلام الله على قلوب المؤمنين داعية قائلة " **املأ قلوبنا فرحاً ونعيماً إذ يكون لنا الكفاف فى كل شئ فى كل حين نزداد فى كل عمل صالح** " .

والكنيسة فى وظيفة الدياكونية كما فى الليتورجيا والكينونيا (الشركة) تسعى إلى تحقيق أنشودة الميلاد فهى تكرز وتخدم المعدمين والفلاحين كما تبشر الحكماء والمجوس . تنادى بسنة مقبولة للرب ، داعية ومنذرة أن الوقت مقبول واليوم يوم خلاص ساعية نحو مصالحة الناس مع الله ، ومصالحتهم مع الآخرين ، ومصالحتهم مع أنفسهم منادية للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق ، لتعزى كل النائحين لتعطيهم بيسوع الحبيب جمالاً عوضا عن الرماد ودهن فرح عوضا عن النوح ورداء تسبيح عوضا عن الروح اليائسة .

+ يا نفس كل إنسان حزين ساقط .

+ يا قلب كل شاب يائس منطرح .

+ يا حياة كل فرد لا يزال يعيش فى الكورة البعيدة فى عبودية الخطية ودينونة الناموس

+ اسمعوا . استيقظوا . قوموا واستنيروا .

استيقظى استيقظى البسى عزك يا صهيون فيسوع قد ولد اليوم فى بيت لحم نورا للأمم وخلاصا لإسرائيل . قومى البسى ثياب جمالك يا أورشليم المدينة المقدسة . انتفضى من التراب . انحلى من ربط عنقك أيتها المسبية ابنة صهيون .

قومى استنيرى لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك .

+ مبارك أيها الآب الحبيب يا من بذلت ابنك وأعطيتنا اياه وليدا حبيبا يولد فى مذود قلوبنا فيحيل ظلمتها الى أنوار أبدية .

+ وممجد أيها الابن المبارك يسوع يا من أعطيتنا بتجسدك وبميلادك أن نكون شركاء للطبيعة الإلهية .

+ ومسبح أيها الروح القدس الذى يقدس الى التمام ليهيئ شعبا مستعدا لمجئ العريس القادم الآتى سريعا ليأخذ العروس .

لك كل مجد أيها الثالوث القدوس آمين .

ذهب ولباناً ومراً

ذهباً لباناً مرا

عندما جاء المجوس ، حكماء المشرق ، عابرين بلاد الفرس وصحراء فلسطين يقودهم النجم الهادى ، حملوا بإرشاد من الروح ، ذهباً ولباناً مراً ، هدية للمولود العجيب ملك اليهود ..

ذهبـــاً

الذهب إشارة إلى أن الوليد ملك عظيم .. وبالرغم من أن جميع الملابسات والظروف فى بيت لحم لا تنبئ بهذا ، إلا أن المجوس عرفوا بالروح أنهم أمام ملك اليهود فانحنوا وسجدوا وقدموا الذهب ..

وكما كان الرب فى ميلاده فقيراً لا يملك مسكناً ولا جاهاً ، إلا أن تخليه وفقره وتجرده وشدة اتضاعه أعطته أن يملك على القلوب البسيطة المتضعة المحبة للسلام .. ومع أن دماء داود تجرى فى عروقه إلا أنه لم يأخذ ملكه بتسلسل وراثى ، ولكنه استحق رياسة الكنيسة بتقواه وطاعته واحتماله وصلب وبذل نفسه لأجلها ..

وهكذا كان الصليب هو السلم الذى ارتقاه الرب يسوع إلى العرش ، وهو بعينه ما تنبأ عنه داود النبى بالروح أن المسيح قد ملك على خشبة (مز ٩٥) ..

ولقد كانت حياة السيد المسيح له المجد عثرة لليهود الطالبين ملكاً أرضياً والطامحين فى فاتح مغوار يسترد لهم ملكهم ووطنهم الجغرافى من الغاصب المحتل ، أما يسوع فقد أعلن أن مملكته ليست من هذا العالم ، وعندما أرادوا أن يضعوا على رأسه تاجاً ويجعلوه ملكا مضى من وسطهم وانصرف (يو ٦ : ١٥) .. وحتى يوم ظفره العظيم عندما استقبله الجماهير بتهليل وترنيم وكان قد ثبت وجهه نحوها وعزم على أن يصلب عند تخومها .. حتى فى هذا اليوم الكبير كان يسوع وديعاً راكباً على جحش ابن أتان وكان المصطفون لتكريمه الصغار والفقراء والبسطاء .. وإذا كان هدف المسيح من مجيئه هو إعادة المجد لآدم وبنيه .. ذاك الذى فقد فى الجنة بسبب العصيان احتمل الرب الخزى والعار وكلل بالشوك

لكى يعطينا بموته الحياة ، وبخزيه المجد ، وبصليبه الملك والمجد الذى لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل ..

ومنذ أن تجسد الرب يسوع وحل بيننا وصار إنساناً انفتحت السماء وهللت للمجد الذى أعطى لآدم وبنيه وأعلنت عن هذا المجد الذى لله فى الأعالى والذى انسكب بغنى على الإنسان معطياً إياه السلام والمسرة .. لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد فبالأولى كثيرا الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون فى الحياة بالواحد يسوع المسيح .. فإذا كما بخطية واحد صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة .. وكما ملكت الخطية فى الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا (رو ٥ : ١٧ - ٢١) .

وعلى الرغم من أن المعجزات العظيمة التى صنعها يسوع مثل إقامة لعازر ، وتهدئة الرياح ، والسير على الماء ، وتفتيح عينى المولود أعمى تشهد له بأنه ملك الملوك ورب الأرباب إلا أن الرب يسوع صنع مملكته على الأرض بموته المحيى وقيامته المجيدة وإرسال روحه العزى .. وهكذا أعطى لكل من يؤمن به أن ينال معه المجد الذى له والكرامة التى له ، والسلطان والميراث الذى صار له فى مجد الأب .

وكما ورث المسيح فنحن أيضاً ورثة معه ، وكما ملك المسيح فنحن أيضاً سنملك معه .. والرب بنفسه وعد ، عند صعوده ، أن يعد لنا مكاناً حتى حيث يكون هو نكون نحن أيضاً معه لأن أورشليم السمائية معدة للعريس والعروس معاً ..

مبارك الرب إلهنا الذى جعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه له المجد والسلطان إلى أبد الأبدين آمين (رؤ ١ : ٦) .

كيف نملك معه ؟

إذا كان ملك المسيح ملكاً روحياً فإن الذين يملكون معه هم الجماعة الروحانية التى عاشت مدققة فى طاعة وصاياه حريصة على أن تبيع كل شئ لتشترى الكنز الثمين واللؤلؤة الغالية الثمن ..

فالرب يسوع عندما كان يبشر فى الجليل والناصرة كان يعلن عن اقتراب ملكوت الله ، بل كان يقول لتلاميذه ها ملكوت الله داخلكم .. وهذا يعنى أننا هنا نأخذ عربون الحياة الأبدية . والنفس التى خبأت المجد فى الداخل واختزنت الفرح والبر فى القلب سوف يكشف الرب نورها ومجدها وبرها ، ويقول لها يوم مجيئه قومى واستنيرى وألبسى عزك لأن العريس أقبل وجاء أوان الزفاف ..

وطالما كان الصليب هو الوسيلة التى حقق بها الرب ملكوته على الأرض وتأسيس كنيسته فى العالم فإن كل مؤمن يريد أن يملك مع سيده لابد أن يدخل من نفس الطريق .

يقول الكتاب المقدس إن كنا نتألم معه سنتمجد معه . إن كنا نصبر فسنملك معه .. وهذا يعنى أنه كما أخذ المسيح مركزه كرأس للكنيسة بالصليب والآلام ، فنحن أيضاً سنجلس معه ونملك معه إن اصطبغنا بهذه الصبغة أى أن كنا نعيش وظل الصليب على حياتنا وأفكارنا وسلوكنا وتطلعاتنا . سنملك معه إن عشنا كما عاش فقيراً محتملاً صابراً محباً متعففاً ..

فالشاب الذى يرفض الشهوات الجسدية وينكر المتع الأرضية المنحرفة متحكماً فى غرائزه مسيطراً على دوافعه هذا سيملك مع الرب الذى قال كلمة الملك الحر " رئيس العالم يأتى وليس له فى شئ " (يو ١٤ : ٣٠) .

وبقدر ما يستوحى المسيحى إرادة المسيح ويسهم فى تنفيذها يشارك رأس الكنيسة فى حكم العالم . فلقد كان القديسون عبر العصور والأجيال أذرعاً وأيادياً وأفواهاً وقلوباً تعمل بشركة تامة مع مقاصد الرأس الملكية . فليفهم كل واحد منا مهمته وبدلا من أن نتقاعس عن تتميم مشيئة الرأس مهما كانت شاقة ، علينا أن نتقبل الرسالة الموضوعة بحماس وهمة متطلعين إلى إكليل البر المعد لنا مع جميع القديسين . وإذا كان الرب قد أعطى لبعض المختارين سلطانا على الطبيعة وتحكما ضخماً على نواميس الكون فى هذا الزمان وسمعنا عن السواح الذين كانوا يسيرون فوق الأنهار والجبال ويخترقون الحواجز المادية بأجسامهم التى نالت شفافية عجيبة ، وإذا كنا نسمع عن متوحدين نالوا سلطاناً ضخماً على الحيوانات

فى البرية واخضعوا طبيعة الحيوان لهم ، وإذا كنا قد رأينا قديسين وأنبياء يتكلمون فتستجيب الشمس والأرض لكل أوامرهم فإن هذا كله عربون الملك الذى أعده الله لنا وفى مجيئه الثانى المخوف المملوء مجداً سوف ندخل معه إلى ملكه الذى لا نهاية له وسوف نسجد له مع الأربعة والأربعين ألفاً قائلين مستحق أن تأخذ القدرة والمجد والكرامة وسنعيش ونملك معه إلى الأبد .

ليت الله يكشف عن عيوننا فنرى ولو بصيصاً من ملكه ومجده حتى تستهين نفوسنا بالأمجاد الأرضية الزائلة وتتعلق قلوبنا بالأكاليل المعدة لنا من قبل تأسيس العالم .

لباناً

واللبان إشارة إلى كهنوته .. فقد قيل عنه على لسان داود النبى " أقسم الرب ولن يندم إنك كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق " (مز ١١٠ : ٤) ، وإذا فهمنا معنى الكاهن بأنه وسيط ، فنحن لنا إذاً وسيط عظيم ابن الله الحى الذى اجتاز السموات وفتح الأقداس لكى يكون شفيعاً عن كل الجنس البشرى حتى إذا ما تقدمنا للآب السماوى نتقدم بثقة أمام عرش النعمة لنجد نعمة وعوناً فى حينه ، والكهنوت فى العهد القديم كان رمزاً وإشارة إلى الكهنوت الحقيقى الذى فى شخص ربنا ومخلصنا يسوع المسيح . فلم تكن خيمة الاجتماع إلا إشارة ورمزاً للسمويات عينها التى يخدم فيها الكاهن بذبيحة نفسه .. ولم تكن ثياب هرون العظيمة إلا رمزاً لثوب البر وحلة المجد التى التحف بها رئيس كهنتنا الأعظم ، وقد كتب أسماءنا فى قلبه كما كانت أسماء الأسباط على صدر سترة هرون .

ولم تكن ذبائح المحرقة والخطية والاثم والسلامة إلا رموزاً لذبيحة الصليب التى فيها وحدها وفى الابن حق العدل الالهى وقدم ذبيحة نفسه مرة واحدة فوجدت قبولا ورضى أمام الآب ونالت فداء أبدياً ..

وإذا كان الكهنوت اللاوى فى العهد القديم ينتهى بإنتهاء العمر الزمنى فإن لنا رئيس كهنة حى إلى الأبد يشفع فينا (عب ٧) وإذا كان كل رئيس كهنة فى القديم يقدم ذبيحة عن خطاياه قبل أن يقدم ذبائح عن جهالات الشعب فإن كاهننا الأعظم لم يكن فى إحتياج إلى أن

يقدم ذبيحة عن نفسه لأنه هو القدوس البار .. وإذا كانت الذبائح فى القديم تستمد قوتها من إنها تمارس كطاعة للأوامر الإلهية فإن ذبيحة الطاعة الحقة هى التى ملأت قلب الآب بالسرور والرضا عندما أكمل الابن كل مقاصد الآب وتممها بالتمام يوم أن اسلم نفسه وسيق كشاة إلى الذبح وكم يفتح فاه . وإذ تحمل بالآلام صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدى ..

وإذا كان الكهنة قديماً فى الخيمة وهيكل سليمان يخدمون شبه السماويات فإن يسوع حصل على خدمة أفضل بمقدار ما هو وسيط لعهد أعظم لأنه لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بين أشباه الحقيقة بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا .. وإذا كان كهنوت العهد القديم يؤخذ بالتوارث الجسدى فإن مسيحنا أخذ وظيفته بقسم من الأب " أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق .. " مبارك الله إلهنا الذى تألم مجربا ليقدر أن يعين المجربين والذى شابهنا فى كل شئ فيما خلا الخطية وحدها ليكون رئيس كهنة أمينا فيما لله ، وإذ لنا رئيس كهنة رحيم قادر أن يرثى لضعفاتنا يعطينا الدالة والجرأة أن نتقدم به إلى الأقداس الإلهية وأمجاد الآب بلا خوف أو انطراح فى الدينونة .

كيف نمارس كهنوتنا ؟

إن المسحة التى جعلت يسوع كاهناً تفيض على جميع أعضاء جسده المبارك وتتحدر على كل المؤمنين لتقدسهم وتكرسهم لمجد الآب كما ينحدر الطيب النازل من الرأس على لحية هرون وعلى جيب قميصه .. هناك أمر الرب بالحياة إلى الأبد (مز ١٣٢) .. وإذا كان الكتاب يعلن لنا إننا فى المسيح ملوك وكهنة لله الآب إلا أن هذا لا يعنى أننا كلنا خدام للأسرار الإلهية فقد رتب الرب يسوع فى كنيسته أن يضع الآباء الرسل وممن بعدهم الأساقفة الأيدى على أشخاص يخصصون لخدمة المذبح والكلمة .. هؤلاء هم الاكليروس بالمعنى المعروف لنا ولكننا نحن جميعا أعضاء جسد المسيح لنا شركة فى كهنوته بمعنى أننا جميعا مكرسون للرب وليس للعالم نصيب فينا .. فالحياة كلها فى كيانها العميق ذبيحة مقدمة للآب كما يقول الرسول " قدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة " (رو ١٢ : ١) ويقول العلامة

أوريجانوس إن أنا تركت كل ما أملك وأن حملت صليبى خلف المسيح فقد قدمت تقدمة على المذبح ، وإن أنا أحببت أخوتى إلى حد بذل نفسى عنهم ، وإن جاهدت حتى الموت من أجل البر وإن صلبت العالم لى وأنا للعالم ، فأننى أرفع تقدمة على مذبح الله وأصبح الكاهن لذبيحتى النفسية .

ويمارس المؤمنون كهنوتهم أيضا ليس بتقديم حياة التكريس فقط وإنما أيضا بتقديم ذبيحة التسبيح والعبادة العقلية ، والرسول بولس يعتبر التسبيح والعبادة ذبيحة حية مقدمة إلى الآب (عب ١٣ : ١٥) ..

وأما ذاك الذى يخطف من الهلاك إنساناً فإنه يقدم للرب ذبيحة مسمنة . وفى يوم مجيء الرب العظيم سوف تتلألأ تيجان الخدام والمبشرين والعاملين فى حقل الرب عندما يكشف السيد عن الدرر الغالية التى انتشلت من الحمأة لتكون جواهر غالية ترصع بها الكنيسة إكليلها عند زفافها للعريس يوم اختطافها " والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور " (دا ١٢ : ٣) .

مـــرا

والمر يشير إلى أنه نبى سيقدم ذبيحة كما تساق الشاة إلى الذبح ، وكما يشوى الخروف على أعشاب مرة ليلة الفصح اليهودى . لقد كان الرب يسوع على الجلجثة كاهنا وذبيحة معا .. كان ذبيحة كاملة إذ قال على الصليب لقد أكمل .. نال فى قلبه افظع الطعنات وتحمل فى مشاعره أقسى الخيانات والجحود واحتمل فى جسده أشد الضربات والجلدات .. ولكن هذه كلها تهون فإن الشهداء فى كل العصور احتملوا الآماً مثلما احتمل يسوع ، ولكن المر الحقيقى الذى لم يذقه إنسان ولا يستطيع أحد أن يقترب منه هو ما عاناه المخلص على الصليب عندما حمل خطايانا على كتفه ، وسر الآب أن يسحقه بالحزن وحجب وجهه عنه ..

نعم لقد أتمت الرأس كل الآلام ونالت أقسى التعاذيب ولكن أعضاء الجسد لا يزال أمامها المجال مفتوحا لكى تختبر ما اختبرته الرأس . وهذه هى وظيفة الزمان فى الكنيسة ، وقد شرح الرسول بولس الملهم بالروح عن نصيبه فى آلام الكنيسة بقوله " الآن أفرح فى

آلامى لأجلكم وأكمل نقائص شدائد المسيح فى جسمى لأجل جسده الذى هو الكنيسة " (كو ١ : ٢٤) .

كيف نتألم معه ؟

إن الشهادة للحق عذاب ومرار ، والعالم لا يطيق الذين يحبون الحق ويعيشون للحق ولكن الرب علمنا قائلا : " طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين . افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم فى السموات " (مت ٥ : ١١) .

ونحن نتألم معه أيضاً عندما نرفض مشيئتنا الخاصة ونجحد ذواتنا وننكر إرادتنا البشرية ، وقد يكون هذا أكثر الآلام صعوبة فى حياة الإنسان ولكن ذبيحة الطاعة وإن كانت مرة فى بداية اختبارها إلا إنها تصبح عذبة كلما انساق المؤمن فى تيار الروح ، وتمرست إرادته فى الخضوع لمشيئة الله وقصده المبارك .

ونحن نشترك مع المسيح فى آلامه عندما نتناول من جسده ودمه الأقدسين فباشتراكنا فى ذبيحة القداس نتحد بالمسيح المتألم إذ نتناول جسداً ذبيحاً ودماً مسفوكاً .. وبهذا الاتحاد تكون جميع شدائدنا مجدية نافعة إذ تتصل بآلام الرأس وتتحد مع الذى ذاقته ذبيحة الجلجثة ..

هناك مخطوطة من القرن السادس لا تحمل أسماً جاء فيها " نحن ملوك بتحكمنا فى شهواتنا " . " وكهنة بتقدمة ذواتنا قرباناً روحياً " . " وأنبياء بالآلام القاسية التى نجوزها والإعلانات والأسرار التى استنارت بها قلوبنا " .

ليعطنا الرب أن نقدم له مع المجوس ذبيحة التسبيح وقربان الطاعة وليهب حياة مشتعلة غيرة على خلاص الآخرين كى نملك معه ونتمجد معه عند مجيئه الآتى سريعاً ،،

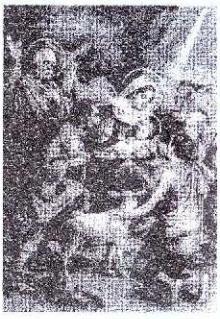

الميلاد الثاني

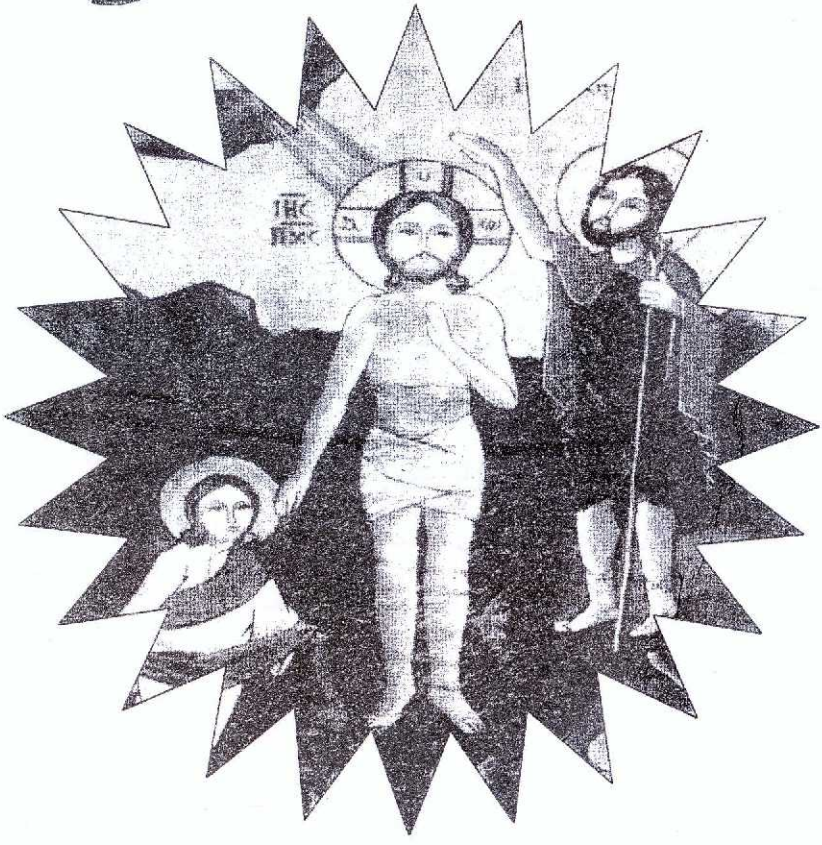

الميلاد الثانى

المعمودية أمر الهى

كما أمر الرب بتأسيس سر الشكر ، عندما قال لتلاميذه : " خذوا كلوا هذا هو جسدى .. اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى " (مت ٢٦ - ٢٨) ، " جسدى مأكل حق ، ودمى مشرب حق " (يو ٦ : ٥٥) ، هكذا أيضا أمر بتأسيس سر المعمودية اذ قال : " دفع إلى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض ، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت ٢٨ : ١٨ ، ١٩) من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يدن (مر ١٦ : ١٦) .

فالمعمودية إذاً أمر إلهى لازم التنفيذ ، يسرى على جميع البشر كباراً وصغاراً على السواء ، تلتزم به الكنيسة فى كل زمان ومكان ، وبدونه لا يتم الخلاص للإنسان مهما كان بره الشخصى وحسن خلقياته .

والسؤال المطروح الآن هو : لماذا جعل الرب المعمودية أمراً محتماً ؟

المعروف أن المعمودية لازمة لأنها تخلصنا من الخطيئة الأصلية ، خطيئة أبوينا الأولين آدم وحواء ، فداود النبى يقول : " بالآثام حبل بى ، وبالخطايا اشتهتنى أمى .." ، وبولس الرسول يقول " الجميع زاغوا وفسدوا معا . ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد .. إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله " (رو ٣ : ١٢ ، ٢٣) .

ونحن نريد أن نتعمق هذا المفهوم أكثر ، فخطيئة آدم الأول لم تكن العصيان فقط ، ولكنها كانت انحرافا أيضا عن النموذج الذى وضعه الرب فى الجنة من حيث علاقة الإنسان بالله ، وعلاقته بنفسه ، وعلاقته بالآخرين ، وعلاقته بالكون .

فالعلاقة التى أرادها الثالوث القدوس لآدم هى حياة الشركة ، حياة الحب والفرح والمجد الذى يحيا فيه الله .

أنه يريد لآدم أن يحيا متجها نحو الله ، فينال بالهبة الإلهية أن يحتفظ بالصورة التى خلق عليها من حرية وقداسة وإبداع .

ويريد له أيضا أن يحيا فى وحدة مع نفسه متمتعا بكل القدرات الروحية والفكرية والنفسية والجسدية التى وهبه الله إياها ، أى أن يحيا إنسانيته بكل ما لهذه الكلمة من معنى .

ويريد له أيضا أن يحيا فى شركة مع الآخر ، هى شركة الحب والألفة..فيكون مع حواء والنسل الذى يأتى منهما فى وحدة الحب على شبه وحدة الحب التى بين الأقانيم الثلاثة هذه الوحدة الفريدة التى لا تعرف الانقسام أو الانفصال أو التباعد.

ويريد له حياة التعامل مع الكون والمادة من خلال محبة الله وفيض عطاياه ، ليكون كاهن الخليقة المادية كلها .. ينوب عنها فى تقديم التسبيح والشكر لله ، ويسود عليها ويسميها بأسماء ، ويأكل من كل الشجر فيما عدا شجرة معرفة الخير والشر أى أنه يريد أن تكون معرفته من خلال الطاعة للوصية ، لا أن يحيا فى ذاته عارفا الخير والشر ، فيسقط حتما فى الشر وينفصل عن الله ، لأن الله لا يسكنه شر أبدا إذ هو نور لا يدنى منه ، ولا تستطيع الظلمة أن تدركه .

فالله بارك العالم ، وبارك الإنسان ، وبارك اليوم السابع ، وهذا معناه أنه ملأ كل الكائنات بمحبته وصلاحه ، وخلق كل شئ حسنا ، فالاستجابة الطبيعية للإنسان الذى أعطاه الله هذا العالم المبارك ، هو أن يبارك الله بدوره ويشكره ويرى العالم كما يراه الله .. فكل القدرات الفكرية والروحية التى ميزت الإنسان عن سائر المخلوقات تتركز وتبلغ غايتها فى هذه الإمكانية التى هى أن يبارك الله ويشكره ، ويمارس عمله الكهنوتى فى تقبل العالم من الله وتقديمه إليه .. ولكن الإنسان الطبيعى الساقط يرى العالم هدفا فى حد ذاته ، والعالم لا معنى له إلا متى كان سرا لحضرة الله ، والكون متى انعزل عن مصدر الحياة أصبح مائتا ، والحياة بعيدا عن

الله إنما هى مجرد مظهر للحياة ، والطعام الذى يظن الإنسان الجسدى أنه قوام حياته ينتهى به إلى التراب " لأنك من التراب وإلى التراب تعود" فقد فقد الإنسان الحياة الأفخارستية ، فقد جوهر الحياة ذاتها والسلطة على تحويل العلاقة مع العالم إلى حياة ، فانتفى كونه كاهنا للعالم وأصبح عبدا له . فالسقوط ليس فى أن الإنسان فضّل العالم على الله فقط ، بل أنه جعل العالم ماديا فى حين أنه كان يجب أن يحوله إلى حياة شركة مع الله ويملأ معنى وروحا .

وهكذا كان من نتائج الخطيئة والعصيان أن تمزعت الشركة التى بين الإنسان والله ، فصار الإنسان خائفا من المواجهة ، فى الجنة ، والخوف علامة ضياع الثقة ودلالة فقدان الحب . وتمزعت العلاقة بين الإنسان ونفسه ، فصار نهبا للأمراض النفسية والاجتماعية والجسدية ، وتمزعت العلاقة بينه وبين الآخرين ، فأضحت علاقته مع حواء علاقة سيطرة الرجل على المرأة ، وتخوف المرأة من الرجل مع اشتهائه والسعى نحوه . وأما علاقته مع الكون والمادة ، فقد تغيرت تماما إذ صار الكون سببا لشقائه ، ومادة الطعام أضحت عنصراً أساسيا فى تعبه وأوجاعه وأمراضه ولكن الله من محبته الكثيرة لنا ، ونحن خطاة نعيش فى علاقات منحرفة عن مجراها الأصيل ، أراد أن يعيد لنا ما وضعه من نموذج فى الجنة ، فتجسد وصار إنساناً مثلنا فى كل شئ ، ما عدا الخطية وحدها ، وعاش فى وحدة الحب مع الآب طائعاً لمشيئته ، وعاش فى ألفة مع نفسه هى وحدة الحق الذى يمارسه ويعلنه، وعاش فى حب مع الجميع حتى الذين أبغضوه بلا سبب وصلبوه بلا مبرر ، وتعامل مع المادة من خلال طاعة الآب ومحبته وشكره على عطاياه .. فقد رفض أن يحول الحجر خبزاً لكى يأكل من يد الشيطان وتحت إغرائه ، بينما أكل مع الجموع عندما بارك الخمس خبزات والسمكتين ، وشكر وقسم وأعطى التلاميذ ليعطوا الآخرين الذين زاد عددهم عن خمسة آلاف .

وعندما أسس سر الأفخارستيا ، أخذ خبزاً وعصير الكرمة ورفع عينيه إلى فوق ، وشكر ، وبارك ، وقسم وذاق ، وأعطى بعد أن حول الخبز إلى جسده الطاهر ، والخمر إلى دمه الكريم وهكذا أصبح التعامل مع المادة من خلال حياة الشكر وحياة البركة وحياة الشركة مع الله .

هذه العلاقة الجديدة سواء بالنسبة للإنسان مع الله ، أو بالنسبة للإنسان مع نفسه ، أو بالنسبة للإنسان مع الآخرين ومع المادة والكون تحتاج إلى إنسان جديد إلى بنيان جديد ، إلى حياة جديدة ، إلى طبيعة جديدة ، ليست كالطبيعة القديمة الساقطة الممركزة فى الذات ، والتى تدور حول الشهوة والغضب ، والتى لا تمجد الله ولا تشكره ، وإنما تحيا فى تمجيد الأنا بالسبح الباطل ، وبالتذمر والقلق لعدم وجود استقرار داخلى وسلام باطنى .

من أجل هذا الإنسان الجديد ، والطبيعة الجديدة وضع الرب يسوع سر المعمودية .

يلزمنا إذاً أن نفهم أن تحرر الإنسان من الخطيئة الأصلية ليس ذا معنى ضيق وفردى ، وإنما هو يشمل حياة الإنسان كله فى علاقته مع الله ، ومع الناس ، ومع الكون .

فالمعمودية بشكلها وعناصرها بالذات .. الماء وجرن المعمودية والميرون ستوجهنا بالضرورة إلى المادة ، وإلى العالم ، وإلى الكون . إن المعمودية موت وقيامة مع المسيح لكى يحيا المعمد حياة النصرة والغلبة ، ويمارس سر الفصح فى حياته الخاصة ، فى حياته مع الآخرين ومع العالم .. فالمعمودية إذاً هى ولادة الطبيعة الجديدة فى حياة الإنسان الساقط ليستطيع أن يمارس سر النصرة على ذاته ، ويعيد العلاقة السابقة وهى حياة الحب والطاعة والتسبيح والشكر لله ، وحياة الألفة مع الآخرين ، وحياة التعامل مع المادة والكون من خلال تفهم مقاصد الله

وشكره على إحساناته ، وتحويل كل الأمور المادية بالصلاة والشكر إلى قربان وذبيحة تسبيح .

فإذا كانت المعمودية هي الولادة الثانية ، وهي الإنسان الجديد الذى له الاستنارة فى التعرف على مقاصد الله من نحو الإنسان والكون ، فلابد للكنيسة أن تعمد الجميع صغاراً وكباراً ، رجالا ونساء ، وبذلك تحقق الأمر الإلهى " اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم " لتوجد البشر المتجددين الذين يعيشون ليس حسب الجسد بل حسب الروح ، المولودين ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل ولكن من الله وُلدوا . هؤلاء هم وحدهم الذين يحققون مشيئة الله من تجسده وموته وقيامته ، لأنهم يعيشون بعيدا عن وهم الشيطان وخداعه القائل أن الأكل والمادة هى قوام الحياة ، وعليها تبنى جميع معارف الإنسان وعلومه ، بل وكل مظاهر حياته ، انهم هم الذين بحياتهم يقولون مع الرب "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله " .

المعمودية جحد لقوى الشيطنة

إذا ما رجعنا إلى ليتورجية المعمودية ، وجدنا أن عنصرا أساسيا فيها هو جحد الشيطان وقوته وأعماله الخبيثة مرات ثلاث ، بل أن الصلوات على مياه المعمودية تلح كثيراً على طرد كل روح شرير من المياه ، وهذا يؤكد أن الشيطان ليس رمزاً أو معنى مجرداً ، وإنما هو كيان وليس أسطورة .. والكنيسة إذ تعرف أن الشيطان وسر الإثم يسرى فى هذا العالم الساقط تواجه هذه القوة فى المعمودية ، وتأمر الشرير بالطرد عن المياه وعن الإنسان المتقدم للمعمودية .. وبما لها من قوة الصليب والقيامة وفعل الروح القدس تطلب تقديسا وتطهيراً للمياه وللمعمد فيها .

والكنيسة تعرف أن أبواب الجحيم قد انكسرت ، وأن قوة أخرى قد دخلت العالم ، وطالبت به لصاحبه الأصيل ، وهذه المطالبة ليست بالنفوس وحدها ، لكن بالحياة فى شمولها وبالعالم كله .. وفى سر المعمودية تعلن الكنيسة هذه المطالبة .

ففى الطقس ينظر المتعمدون إلى الغـــرب ، وأياديـــهم اليمنـــى مرفوعـــة ويقولـــون (وان كانوا أطفـــالاً صغـــاراً فليقـــل عنـــهم والديـــهم أو أشـــابينهم) ، " أجحـــدك أيـــها الشيطان وكل أعمالك النجسة ، وكل جنودك الشـــريرة وكـــل شـــياطينك الرديئـــة ، وكـــل قوتك ، وكل عبادتك المرذولة ، وكل حيلك الرديئـــة والمضلـــة ، وكـــل جيشـــك ، وكـــل سلطانك وكل بقية نفاقك ، أجحدك . أجحـــدك . أحجـــدك " .

وهكذا تبدأ الحياة الجديدة بالنضال واعلان الحـــرب علـــى العـــدو . وهنـــا يلزمنـــا أن نشير إلي أن المســـيحى المعـــاصر لا يكـــترث كثـــيرا بـــالقوى الشـــريرة لا إيمانـــا ، وإنما إهمالا ولا مبالاة بينما العدو يدخـــل فـــى صميـــم حياتنـــا المعـــاصرة فـــى صـــورة الموائمة بين الأسود والأبيض ، حتى لا يكون الحق هو حياتنـــا ، وإنمـــا تصبـــح القـــدرة على التكيف والتلاعب والمهارة فى محاولة الجمع بين الحـــق والبـــاطل وتقديـــم أنصـــاف الحلول وخاصة فى الحياة الروحية والإيمانية هى القـــاعدة التـــى نبنـــى عليـــها حياتنـــا . هذا الأمر الذى لم يعرفه آباؤنـــا الأولـــون إذ حرصـــوا علـــى أن يستشـــهدوا مـــن أجـــل الحفاظ على الحق سليما لتستلمه الأجيال فيما بعد نقيا طـــاهرا بـــلا غـــش أو التـــواء .

وجحد الشـــيطان معنـــاه مواجهـــة الشـــر والإقـــرار بواقعيتـــه وإدراك ســـلطانه ، والإعلان بأن قوة الله تســـحقه ..

الجحد يعلن أن المعمودية المزمع إتمامها هـــى عمـــل انتصـــارى .. فـــأول عمـــل فى الحياة المسيحية هو جحد وانكار ، هو مواجهة وقتال علنـــى ضـــد القـــوى الشـــريرة. ضد رئيس هذا العالم وســـلطان الـــهواء وقـــوات الظلمـــة .. وســـتظل الحيـــاة الروحيـــة للمؤمن امتدادا لهذا الإنكار والنضـــال . " ألبســـوا ســـلاح الله الكـــامل لكـــى تقـــدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس ، فإن مصارعتنا ليســـت مـــع دم ولحـــم بـــل مـــع الرؤســـاء مـــع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمـــة هـــذا الدهـــر ، مـــع أجنـــاد الشـــر الروحيـــة فـــى الســـماويات " (أف ٦ : ١١ ، ١٢).

وكل تعليم ينادى بأن هدف الحياة الروحية هو تحسين خلقيات الإنسان الساقط بالتداريب الاجتماعية والجهود الذاتية البشرية مغفلا أن الخلاص الحقيقى هو الخلاص من الإنسان العتيق والفساد الذى فى طبيعتنا ، والنضال ضد العدو الكائن فينا وخارجنا .. إنما هو تعليم منحرف عن روح الكتاب ومقاصد الله وفهم الكنيسة الأصيل للحياة الروحانية ..

وترتبط عملية جحد الشيطان بالاعتراف بالثالوث القدوس وتمجيده .. وهذا يعنى أن الحياة الروحية منذ بدايتها ليست عملا سلبيا وإنما هى عمل إيجابى ، فهى تفريغ وامتلاء ، هى رفض وأخذ ، هى جحد وتمجيد ، هى رفض للغرب وقبول للشرق ، أى ابتعاد عن الظلمة وقبول الحياة فى النور . لهذا يحول المتعمدون إلى الشرق وأياديهم مرفوعة إلى فوق ويقولون : " أعترف لك أيها المسيح إلهى ، وكل نواميسك المخلصة ، وكل خدمتك المحيية ، وكل أعمالك المعطية الحياة ، أؤمن بالله واحد الآب ضابط الكل ، وابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا ، والروح القدس المحيى وقيامة الجسد ، والكنيسة الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية آمين آمين آمين .

وهذا الاعتراف يتضمن

١ــ قبول الرب يسوع إلها وملكا شخصيا .

٢ــ اعتراف بقدرته الإلهية وأنه وحده مصدر الحياة الحقيقية .

٣ــ اعتراف بالثالوث القدوس ، ثالوث الحب والحياة والحق ..

٤ــ اعتراف بالكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية ، وقبول تام للاتحاد بها ، والانتماء إليها ، وخدمتها كعضو من أعضائها .

وهكذا يوحد العضو الجديد حياته مع الرأس الذى فى السماء ، ومع الجسد الذى على الأرض الساعى نحو امتداد الملكوت وخدمة رسالة الخلاص للجميع ..

الدهن بزيت الغلاليون (الزيت المقدس)

يطلب الكاهن من الرب يسوع أن يضئ أفهام المتقدمين للسر بنور معرفته ، وأن يطرد كل سحر وكل فعل شيطانى ، ويهيئ أنفسهم لكى يقبلوا الروح القدس ويستحقوا حميم الميلاد الجديد ، واللباس الغير الفاسد وغفران الخطايا .. وعندما يقول : " أدهنك يا فلان بدهن الفرح مضادا لكل أفعال المضاد لتغرس فى شجرة الزيتون اللذيذة . فى المقدسة الجامعة الرسولية كنيسة الله آمين . ونحن نصرخ نحو اسمك القدوس المبارك لكى تفتش وتطرد كل القوات المضادة ، عندما نطلب إليك يا سيدنا بجميع قديسيك . فتش قلوب عبيدك الذين تقدموا إلى حميم نعمتك ، وإن كان شر الشيطان مخفيا فيهم اكشفه ، وليعلن ، واطرده من نفوس وأجسام عبيدك المؤمنين باسمك القدوس ، وجدد حياتهم ، واجعلهم أهلا بغير عيب وبطهارة أن يقبلوا إليهم النور وخاتم مسيحك وموهبة روحك القدوس المساوى لك ، ويصيروا حلة نورانية ويلبسوا لباس الخلاص وسلاح الإيمان الذى لا يُغلب ، الذى لا يُقاوم من المضادين ، وليصيروا خرافا لقطيعك وبنينا لخدرك السماوى ، ووارثين لملكوتك الغير الفاسد الأبدى ..

والزيت له معانى روحية هامة فى اللاهوت الليتورجى

+ كان قديما يستعمل كدواء ، ولعلنا نذكر مثل السامرى الصالح الذى سكب زيتا على جراح من صار نهبا للصوص ..

+ كان رمزا للسلام والمصالحة ، وفى هذا نذكر نوح ، وكيف جلبت له الحمامة غصن زيتون هذا الذى يصنع منه الزيت .

+ وكان للإضاءة ، ومثل العذارى الحكيمات يحتفظ بفائدة الزيت فى إضاءة مصابيحهن .

+ كان للبهجة .. ومزامير داود مليئة بالترنيم بزيت البهجة والخلاص والسلام . وأشعياء يتنبأ عن دهن فرح عوضا عن الروح اليائسة .

فالكنيسة عندما تدهن المعمد بالزيت ، وعندما تضعه على الماء المقدس ، إنما تعنى شفاء لنفس المعمد وروحه من جراحات إبليس ، وتقصد صلحا وسلاما بينه وبين السمائيين ، وتطلب نورا وبهجة ومسرة فى حياته الجديدة الموهوبة بالنعمة من خلال هذا السر العظيم .

وتظل الكنيسة ملحة فى صلواتها قبل تغطيس المتعمد فى جرن المعمودية أن يتفضل روح الله وينزع من قلوب المتقدمين كل الأرواح النجسة ، والروح الخبيث الذى يقلق القلوب ، وروح الضلالة وكل خبث .. ويجعلهم خرافا للقطيع المقدس أعضاء نقية للبيعة الجامعة ، وأوانى طاهرة ، وأبناء نور وارثين الملكوت حافظين اللباس البهى بغير اضمحلال ..

وفى إحدى الصلوات السرية يقول : ادع عبيدك يا سيدى إلى نورك الطاهر ، واجعلهم مستحقين هذه النعمة العظيمة التى للعماد المقدس .. عرهم من الإنسان العتيق وجدد ميلادهم بالحياة الأبدية ، املأهم من قوة روحك القدوس بمعرفة مسيحك لكى لا يصيروا بعد أبناء الجسد بل أبناء الملكوت .

البعد الإنجيلى للسر

تختار الكنيسة قراءات هامة من الكتاب المقدس تدور كلها حول الميلاد الجديد وفعل الروح القدس فى هذا السر ..

فبعد أن يصلى الكاهن صلاة الشكر ويرفع البخور يقرأ البولس من رسالة (تى ٢ : ١١ - ٣ : ٨) ، وفى هذه الرسالة يتحدث الرسول عن نعمة الله التى ظهرت مخلصة جميع الناس من الشهوات العالمية لنعيش بالعفاف والبر والتقوى فى هذا الدهر الحاضر " وأنه لما ظهر لطف الله مخلصنا ومحبته للبشر ليس بأعمال صالحة عملناها ، بل برحمته أنقذنا بحميم الميلاد الجديد وتجديد الروح القدس ، هذا الذى سكبه علينا بغنى بيسوع المسيح مخلصنا لكى نتبرر بنعمته ونكون وراثين لرجاء الحياة الأبدية " .

وأما الكاثوليكون فهو من يوحنا الأولى إصحاح ٥ وفيه أن يسوع المسيح هو ابن الله الذى جاء بالماء والدم والروح ، والروح هو الذى يشهد لأن الروح هو الحق ، لأن الشهود ثلاثة الروح والماء والدم .. والثلاثة هم فى واحد . فإن كنا نقبل شهادة الناس فشهادة الله أعظم " ..

أما الأبركسيس فهو من أعمال الرسل إصحاح ٨ وفيه كيف عمد فليبس خصى كنداكة ، وفيما هما ماشيان فى الطريق أقبلا على ماء فقال الخصى لفليبس ها هوذا ماء فما يمنعنى من العماد ، فأمر أن توقف المركبة ونزل إثناهما إلى الماء وعمد فيلبس الخصى . ولما صعدا من الماء اختطف روح الرب فيلبس .. "

أما الإنجيل فهو من يوحنا إصحاح ٣ الذى يسرد لنا لقاء الرب يسوع مع نيقوديموس ، وفيه تكلم الرب عن العماد قائلا : " إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله ، المولود من الجسد جسد هو ، والمولود من الروح هو روح " ..

وإننا نستطيع أن نلحظ بسهولة الاتفاق والانسجام والتناغم بين القراءات الكتابية التى تُتلى فى ممارسة هذا السر إذ كلها تؤكد أهمية المعمودية بالماء والروح كولادة ثانية جديدة ، وأنها لازمة لدخول ملكوت الله ، وأنه لابد من استخدام الماء فيها ، وإنها غسل ليس للجسد بل وللروح أيضا ، أنها هبة مجانية لكى نؤهل أن نكون وارثين الحياة الأبدية .

البعد الكونى للسر

الماء هو العنصر الأساسى لخلقة العالم ، وهو الرمز الطبيعى للحياة ، إذ لا حياة من غير ماء ، ولكن المياه أيضا هى رمز للخراب والموت ، فنجد فى سفر التكوين أن المياه كانت زاحفة على اليابسة ، ولم تكن هناك حياة ، ولذلك عندما أراد الله أن يوجد الحياة فصل الماء عن اليابسة ، وبدأت تظهر الحياة .. وفى سفر

التكوين أيضا نجد المياه عنصرا فى هلاك الإنسان كما هو واضح أيام نوح البار ، وكيف أهلك الفيضان البشرية جمعاء فيما عدا الكارز وبنيه وما معه فى الفلك ..

وهكذا تنظر الكنيسة إلى الماء قبل مجيء الرب يسوع من خلال أبعاد ثلاث :

+ أنه أساس الحياة وقد بدأ هذا واضحا فى مطلع سفر التكوين .
+ أنه أساس الموت والخراب كما اتضح فى الطوفان وفى غرق مركبات فرعون فى بحر سوف .
+ ثم أنه عنصر التطهير والغسل كما بدأ واضحا فى الأردن الذى وقف عليه النبى الناري يوحنا المعمدان السابق الصابغ .. وعندما جاء الرب يسوع إلى عالمنا ، أراد أن يبارك المياه كما بارك طبيعتنا البشرية التى اتحد بها ، لقد باركها فى مياه الأردن عندما نزل إليها ليقتبل العماد من يوحنا .. ولذلك تحتفظ الكنيسة فى صلوات ليتورجية العماد بهذه القطعة : " تهلل مثل الحملان أيها الأردن وبريته ، لأنه قد أتى إليك الحمل حامل خطية العالم هلليلويا هلليلويا هلليلويا . يسوع المسيح ابن الله اعتمد فى نهر الأردن . ارحمنا كعظيم رحمتك .

فبتقبل المسيح معمودية يوحنا قدس المياه وباركها وجعلها مياه التطهير والمصالحة مع الله . وعندما صعد من المياه حدث الإستعلان الإلهى وظهر روح الله بشكل حمامة ليعلن أنه هو الذى كان يرف على وجه الغمر عندما كانت الأرض خربة وخاوية . أنه كما بدأ حياة الخليقة المادية ، يبدأ أيضا الخليقة الجديدة التى ننالها بالمعمودية ..

والكنيسة العارفة بمقاصد الله هذه تقدم للرب الشكر والبركة ، وتطلب من أجل تقديس المياه لتقدمها لله فى حركة أفخارستية شاملة تعنى افتداء المادة كما تعنى افتداء الإنسان أيضا .

وبسهولة نلمح فى تقديس المياه فى ليتورجية العماد الجوانب الثلاث الآتية :

١ــ الجانب الأول وهو **الكونى** : لأن سر المياه هو سر الخليقة الجديدة .

٢ــ الجانب الثانى وهو **الكنسى** : لأن تقديس المياه هو سر الكنيسة وبدء الميلاد الجديد والعضوية الجديدة .

٣ــ الجانب الثالث وهو **الإسكاتولوجى** : لأن المعمودية تفتح الباب للحياة الأبدية ، فهو سر الملكوت المرتقب .

إن اللاهوت الأرثوذكسى يركز دائما على فداء الإنسان مع الكون وليس فداؤه من الكون .. وأغلب الليتورجيات الكنسية فيها صلوات لتقديس الإنسان ، وفيها طلبات لتقديس مادة الكون أيضا .

فالمعمودية فيها صلوات لتقديس الإنسان وولادته الولادة الجديدة ، وفيها طلبات لتقديس الماء والزيت .

وفى الأفخارستيا طلبات لتقديس الخبز والخمر ، وأيضا لحلول روح الله على المؤمنين الذين يتقدمون للمائدة المقدسة .

وفى سر مسحة المرضى طلبات لأجل المريض ، ولأجل الزيت أيضا ، فالكنيسة بعد قيامة الرب يسوع وحلول الروح القدس يوم العنصرة تطالب ليس بالإنسان فقط ، بل وبالخليقة أيضا .. هذه التى تئن وتتمخض معا إلى الآن ..بل نحن الذين لنا باكورة الروح .. نئن فى أنفسنا متوقعين التبنى فداء أجسادنا (رو٨ :٢١ ــ ٢٣).

يصلى الكاهن قائلاً : " يا جابل المياه وخالق الكل ندعو قوتك الطاهرة الذاتية ، الاسم الذى يفوق كل الاسماء ، الذى لابنك الوحيد يسوع المسيح نسألك يا ملكنا عن عبيدك انقلهم ابدلهم وقدسهم وقوهم ، لكى من جهة هذا الماء وهذا الزيت تبطل كل القوات المضادة والأرواح الخبيثة .

قدس هذا الماء وهذا الزيت ليكونا لحميم الميلاد الجديد آمين ، حياة أبدية آمين، لباسا غير فاسد آمين ، نعمة البنوة آمين ، تجديد الروح القدس آمين ، لأن

ابنك الوحيد ربنا يسوع المسيح الذى نزل إلى الأردن وظهره شهد قائلاً : " إن لم يولد أحد من الماء والروح لا يستطيع أن يدخل ملكوت الله .

وبعد أن يرشم الماء بالصليب ثلاث مرات يقول :

+ ارعد يا الله الاب ضابط الكل على هذه المياه .

+ لكى بها وبروح قدسك تجدد ميلاد عبيدك الذين تقدموا إليك بقوتك الإلهية .

+ واجعلهم مستحقين غفران خطاياهم واللباس غير الفاسد بنعمة ابنك الوحيد يسوع المسيح .

وهنا يتضح بجلاء كيف تطلب الكنيسة عمل الثالوث القدوس فى المياه بطريقة رائعة للغاية .

يذكر الكاهن فى صلوات ليتورجية العماد كيف جمع الله المياه إلى مجمع واحد ، وربط البحر وثبته بقوته ، وأخرج الينابيع والأودية ، وفلق مياه البحر الأحمر ليعبر شعب إسرائيل ، وأفاض الماء من الصخرة لموسى ، وكيف التهمت نار السماء صعيدة إيليا التى بالماء ، وكيف طهر نعمان السريانى بمياه الأردن ، ثم يطلب حلول الروح القدس ليهب مياه المعمودية بركة الأردن قائلاً :

+ أعطه قوة ليصير ماء محييا .

+ ماء طاهرا يطهر الخطايا .

+ ماء حميم الميلاد الجديد ماء البنوة .

+ انعم على هذا الماء لكى لا يوضع فيه ولا ينزل مع الذى يعتمد روح ردىء ولا روح نجس ولا روح النهار ولا روح الظهيرة ولا روح المساء .. ولا روح الجن بل انتهرهم بقوتك العظيمة ، وليصيروا مهزومين أمام علامة صليبك واسمك القدوس الذى ندعوه المملوء مجدا ومخافة .

وبعد أن يصلى من أجل هذه المياه يصلى من أجل المعتمدين أن يخلعوا الإنسان العتيق ، ويلبسوا الإنسان الجديد الذى يتجدد مرة أخرى كصورة خالقه ،

ويضيء فيهم نور الحق من قبل الروح القدس ويفوزوا بالحياة الأبدية والرجاء السعيد ويقفوا أمام منبر المسيح وينالوا الإكليل السمائى .

وتصل الصلاة إلى قمتها فى الروعة ، كما تعلو الأنغام فى السيمفونية لتصل إلى الذروة ، عندما تنشد الكنيسة تسبيح المزامير والكاهن يحرك المياه قبل التغطيس .

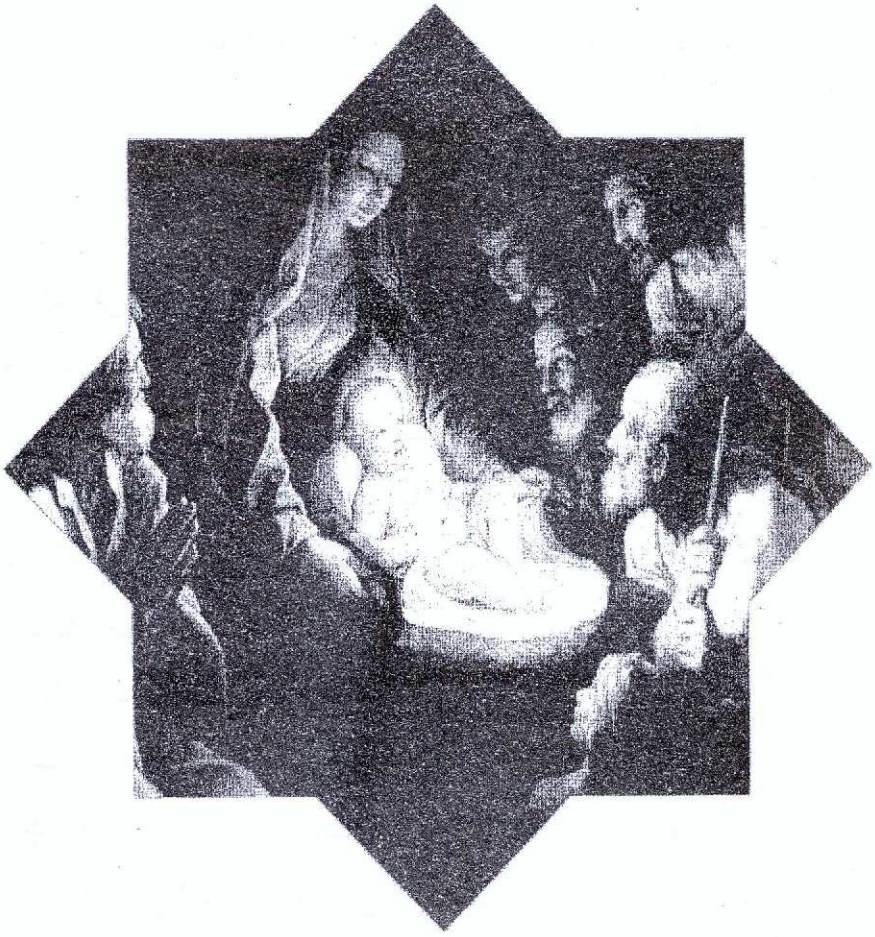

+ " صوت الرب على المياه . إله المجد أرعد ، الرب على المياه الكثيرة ، صوت الرب بقوة ، صوت الرب بجلال عظيم هللويا " (مز ٢٨) .
+ هلم أيها البنون استمعوا لى فأعلمكم مخافة الرب اللهلويا (مز ٣٤) .
+ تقدموا إليه واستنيروا ووجوهكم لا تخزى (مز ٣٤) .
+ تنضح على بزوفاك فأطهر ، تغسلنى فأبيض أكثر من الثلج اللهلويا .
+ اصرف وجهك عن خطاياى ، وأمح كل آثامى . قلبا نقيا اخلق فى يا الله وروحا مستقيما جدده فى أحشائى اللهلويا (مز ٥٠) .
+ الرب اختار صهيون ورضيها مسكنا له اللهلويا (مز ١٣١) .

ما أجمل هذه المقاطع التى تنشدها الكنيسة قبل أن يغطس القادم إلى العماد ، ان لكل مقطع معنى روحى عميق ومغزى ليتورجى رائع .

والذى يتأمل هذه الصلوات يدرك الأعماق الروحية للطقس والمقاصد التى ترنو إليها الكنيسة من جهة تقديس الإنسان والكون أيضاً .

البعد الروحى " نموت معه لنحيا معه "

يقول معلمنا بولس الرسول فى رسالته إلى رومية : " أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته ، فدفنا معه بالمعمودية للموت ، حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب ، هكذا نسلك نحن أيضا فى جدة الحياة ، لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته ، نصير أيضا بقيامته ، عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كى لا نعود نستعبد أيضا للخطية لأن الذى مات قد تبرأ من الخطية ، فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضا معه (رو ٦ : ٣ ــ ٩) .

فالمعمودية تعلن على أنها فى شكل موت ، ذلك لأن الحياة الجديدة التى يعطيها المسيح لمن يؤمنون به قد سطعت من القبر ، لأن هذا العالم رفض المسيح ، ورفض أن يرى فيه حياته الخاصة وتحقيقها ، وبما أنه لا حياة للعالم إلا فى شخص

المسيح ، فالعالم برفضه المسيح وصلبه قد حكم على نفسه بالموت ، وأضحت حقيقته النهائية الوحيدة هى الموت .. وكل من يحيا فى اكتفائية ذاته رافضا أن يكون المسيح هو حياته فنهايته الموت . والمسيح جاء إلى العالم ليهب الحياة لكل من يؤمن به ويحيا له ، فالمعمودية إذاً هى موت حبنا لذاتيتنا واكتفائنا بها ، وهى على شبه موت المسيح لأن موت المسيح هو ذلك التسليم الذاتى الذى بلا شروط ولا حدود . وبما أن موت المسيح قد داس الموت لأن فيه ظهر المعنى النهائى وقوة الحياة الحقيقية ، هكذا يوحدنا موتنا معه بجدة الحياة التى فى الله .

فطبقا للتسليم الرسولى تمارس الكنيسة ليتورجية العماد بتغطيس المتعمد ثلاثا فى الماء باسم الأقانيم الثلاثة الآب ، والابن ، والروح القدس ، لأنها على شبه موت المسيح ودفنه فى القبر ثلاثة أيام .. وبهذا يتصور رسم الموت وتستنير نفوس المعمدين بتسليم معرفة الله كما يقول الآباء : " فحيث أن المعمودية هى مثال موت المسيح ودفنه وقيامته ، فلا يصح اتمامها إلا بالتغطيس الذى به نتحد مع المسيح بشبه موته ودفنه لأنها تمثل موتنا ودفننا وقيامتنا معه .

فى هذا يقول القديس كيرلس الأورشليمى : " الماء يغمر المعمد من الخارج ، وأما الروح فيعمد النفس داخليا بلا انقطاع " وإذا كانت المعمودية صبغة ، فالذى يصطبغ لابد أن يغطس لكى يصطبغ تماما ، لهذا يلزم أن تغمر المياه جميع أجزاء جسده وأطرافه ، حتى يعمل الروح فى المعمد ويصبغه الصبغة الروحية السماوية الجديدة .

إن العماد – فى مفهوم الكنيسة – ليس للروح والنفس فقط بل وللجسد أيضا .. لهذا يلزم تغطيس الكيان كله .. الشخص كله يعاد إلى الله . لقد كان فى الجنة عندما خلقه الله متكاملاً .. ولكن الخطيئة مزعت وحدته ، وفى المعمودية يعاد إلى الله ليراه حسنا جداً كما كان فى رتبته الأولى . لذلك تلتزم الكنيسة بالمؤمن جسداً ونفسا وروحاً .

نحن نتعرى تماما لكى ننزل جرن المعمودية لأننا نعترف بأننا خطاة ، وأن الخطية شوهت الصورة الأولى ، وأن آثار الخطية على الجسد واضحة ، إذ العرى الذى كان غير مخزى أصبح عارا ، بعد أن انفتحت الأعين على معرفة الخير والشر .. والبراءة الأولى ضاعت ، وخجل آدم وخجلت حواء من عريهما فوضعا أوراق التين على عورتها .. أما نحن فنتعرى لأننا نريد أن نلبس ثوب البر ، ثوب القداسة والبراءة الأولى . ولكننا نعود لنتشح باللباس بعد المعمودية ، لأننا نعلم أن المعمودية لا تزيل الإنسان العتيق الذى فينا ، وإنما تهبنا إنسانا جديدا يصارعه ويغلبه حتى الموت .. لأجل هذا يحرص أبناء المعمودية أن تكون ملابسهم وزيهم محتشما .. لأن الحشمة والاتضاع والتخوف من عثرة الجسد أمور يعرفها جيدا من نالوا الولادة الجديدة فى جرن المعمودية .

جدة الحياة

المعنى العميق لجدة الحياة هو امتلاك جديد للعالم ، رؤية جديدة للحياة ، العالم يصبح للمؤمن سرا لحضرة المسيح ، ونموا للملكوت والحياة الأبدية .. الحياة الجديدة هى الحياة التى نلنا فيها التبرير وغفران الخطايا ونعمة الولادة الثانية " لا بأعمال فى بر عملناها نحن بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس " (تى ٣ : ٥) .

وفيها نلنا أيضا نعمة التبنى لأن الذين اعتمدوا بالمسيح لبسوا المسيح ، وصاروا نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة (غل ٣ : ٢٦) والحياة الجديدة تختلف اختلافا تاما عن الحياة الطبيعية العادية . فالإنسان الجسدى يرى العالم من منظار الجسد والذات ، أما الإنسان الروحى فله استنارة ورؤية جديدة للعالم ، أنه ينظر إلى العالم من خلال المسيح والحق .. هذه الاستنارة التى ينالها المؤمن من خلال السر الإلهى تجعله نيرا ، وتعطيه القدرة على معاينة النور الإلهى .

فى هذا يقول العلامة أكليمنضس الإسكندرى هذا الأمر عينه يحصل لنا نحن أيضا الذين قد صار لنا المسيح مثالا ، فإذ نعتمد نستنير ، وإذ نستنير نتبنى ، وإذ نتبنى نكمل ، وإذ نكمل نضحى غير مائتين ، كما يقول : " أنا قلت أنكم آلهة وبنو العلى جميعكم " ويدعى هذا الفعل بأسماء كثيرة أعنى نعمة واستنارة وكمالاً وحميماً . فهو نعمة إذ به نترك عقوبات خطايانا ، واستنارة إذ به نرى النور القدوس الخلاصى ، أعنى نشخص به إلى اللاهوت ، وكمال لأنه لا يحتاج إلى شئ ، وحميم لأننا به نغسل من خطايانا " (المربى كتاب ١ فصل ٦ : ٢٢٦) .

وقد أورد لنا كتاب أسرار الكنيسة السبعة للمتنيح حبيب جرجس بعض أقوال الآباء التى تشرح مظاهر هذه الحياة الجديدة ، فالقديس باسيليوس الكبير يقول عن المعمودية أنها فدية المأسورين ، وصفح الأوزار وموت الخطية ، وولادة ثانية للنفس ، وثوب نير وختم لا ينفك ، ومركبة إلى السماء تؤدى إلى الملكوت ، ومنحة التبنى .. والقديس يوحنا ذهبى الفم يقول : أن المعمودية نعمة تطهر كل إنسان سواء كان فاسدا أو زانيا ، لأنه مهما كان غارقا فى الخطية فحالما يدخل مياه المعمودية يخرج من هذه المياه الإلهية أنقى من أشعة الشمس عينها ، وليس نقيا بل قديسا بل بارا أيضا لأن الرسول لم يقل " وأغتسلتم " فقط بل قال " وتقدستم وتبررتم باسم ربنا يسوع " .

وللقديس أوغسطينوس شرح معروف عن الولادة الثانية بالمعمودية إذ يقول : " لنا ميلادان أحدهما أرضى والآخر سماوى الأول من الجسد والثانى من الروح ، الأول صادر عن مبدأ قابل الفناء ، والثانى عن مبدأ أبدى ، الأول عن الرجل والمرأة ، والثانى عن الله والكنيسة ، الأول يجعلنا أبناء الجسد ، والثانى أبناء الروح الأول يصيرنا أبناء الموت ، والثانى أبناء القيامة ، الأول يجعلنا أبناء الدهر ، والثانى أبناء الله ، الأول يجعلنا أبناء اللعنة والغضب ، والثانى أبناء البركة والمحبة

الأول يقيدنا بأغلال الخطيئة الأصلية ، والثاني يحلنا من رباطات كل خطية " (تفسير يوحنا فصل ١٩) .

وفى أغلب الأحيان يعطى للمعمد اسما جديدا ، وفى البلاد الغربية يعتبر اسم المعمودية هو الاسم الأساسي للشخصية وشهادة العماد من أهم المستندات التى يحملها المسيحى ، الاسم إشارة إلى الكيان والشخصية ككل . هذا يعنى أن الذى أعطى ابرآم اسما جديدا ودعاه إبراهيم ، وسارای أعطاها أيضا اسما جديدا ودعاها سارة ، هو أمس واليوم وإلى الأبد لا يزال يقطع عهده المبارك ،ويعطى اسما جديدا وحياة جديدة لكل من يؤمن به ويعتمد على اسم الثالوث القدوس المحيى . ويتناغم الطقس مع الجوهر إذ تحرص الكنيسة أن يلبس المتعمدون بعد خروجهم من جرن المعمودية ودهنهم بزيت الميرون ملابس جديدة بيضاء ، إشارة إلى النور الداخلى والاستنارة الروحية الباطنية .

واللون الأبيض يشير إلى النقاوة والطبيعة الجديدة " طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله " ، ويشير إلى النور والبهاء والاستنارة التى ينالها المؤمن من خلال سر المعمودية إذ تقول الكنيسة فى صلاة تسريح الماء " أنت يا سيدنا جعلت هذا الماء طاهراً بنعمة مسيحك وحلول روحك القدوس عليه ، وصار لعبيدك الذين تعمدوا فيه حميما للميلاد الجديد ، وتجديدا من الضلالة القديمة وأضاءوا بنور لاهوتك " .

والمؤمن الحقيقى هو الذى يحيا فى نور المعمودية وإضاءة معرفة إنجيل المسيح . أنه يخلع أعمال الظلمة ويلبس أسلحة النور ويسلك بلياقة كما فى النهار لا بالبطر والسكر لا بالمضاجع والعهر لا بالخصام والحسد (رو ١٣ : ١٣) . فالله الذى أشرق فى قلوبنا بالمعمودية لإنارة معرفة مجد الله فى وجه يسوع المسيح هو الذى يعطينا أن نكون أبناء نور لأننا أبناء قيامة وهو الذى يهبنا القدرة أن نخبر بفضائل من دعانا من الظلمة إلى نوره العجيب " .

فالثياب البيض تشير إلى الطبيعة الجديدة التى نالها المعمدون ، أما ثيابهم الأولى فقد نزعوها عند جرن المعمودية وغسلوها فى دم الحمل ، أنهم اكتسوا برداء البر ولبسوا ثياب الخلاص " وفى هذا تحقق قول أشعياء النبى : " فرحا افرح بالرب ، تبتهج نفسى يالإلهى لأنه قد ألبسنى ثياب الخلاص . كسانى رداء البر " (أش ٦١ : ١٠).

والقديس أمبروسيوس يعقد مقارنة بين التحاف المعمد بالثوب الأبيض ، وبين لباس المسيح المملوء بياضا ومجدا على جبل التجلى . أنه يرى أن ما يلبسه المعمد إنما هو انعكاس لأنوار طابور وبهائها ومجدها ، وهكذا كما تجلى الرب يسوع بمجده أمام موسى وإيليا وبشهادة بعض الرسل الذين لم يحتملوا رؤية هذا المجد ، هكذا تتجلى الحياة الداخلية للمعمد بنور لاهوت الرب يسوع ، وبشهادة الكنيسة الحاضرة التى تسربل المعمد ثوبا أبيضا ليلتحف بالنور والبهاء والنقاوة والاستنارة المعدة لأبناء الملكوت .

والملابس البيضاء تشير أيضا إلى الملك ، فالإنسان بعد المعمودية يصبح مرة أخرى ملك الخليقة وتاجها ، والعالم يصبح من جديد حياته لا موته لأنه يعرف ما يصنعه به ، أنه يعاد إلى الفرح والقوة الملازمين للطبيعة البشرية الأصيلة . أنه يعود إلى التكامل والبراءة التى كانت فى الفردوس ..

فالثياب البيض تشير إلى حياة آدم قبل السقوط ، كما تكشف عن نعمة ربنا يسوع المسيح المعطاة للمؤمنين ، كما ترمز إلى الحياة الممجدة التى نتوقعها بصبر عند مجئ ربنا يسوع على السحاب .

فهى إذاً تستغرق الماضى والحاضر والمستقبل الذى لكنيسة الله كجماعة ، ولكل مؤمن على حدة .

+ الماضى : يكون كما كنا فى الفردوس متنعمين .

+ الحاضر : يوم أن ننال المعمودية متجددين .

+ المستقبل : يوم أن يأتى الرب فى مجـــده القريـــب .

لقد كانت المعمودية فى العصور المسيحية الأولى تتم قـــرب عيـــد القيامـــة كجـــزء من الاحتفاء الفصحى ، والهدف من هذا كـــان بـــالطبع دخـــول المصطبـــغ الجديـــد إلـــى أفخارستية الكنيسة ، لأن المعمودية تفتح أبواب الملكوت ، والـــروح القـــدس يقودنـــا إلـــى فرحها وســـلامها .

وأما التناول من الأسرار الإلهية بعـــد دهـــن المعمـــد بـــالميرون المقـــدس ، فأنـــه يكشف لنا عن التكامل الليتولوجى فـــى كنيســـة الله .

فالماء المقدس ، والدهن المقدس ، والخبز والخمر المتحوليـــن إلـــى جســـد المســـيح ودمه .. هذه كلها لابد أن تعطـــى للمعمـــد ، ولا يحـــرم مـــن إحداهـــا ، لأن بـــها يولـــد ويكرس ويغرس فى العضوية السماوية ، ويتغذى من عصـــارة الكرمـــة الحقيقيـــة .

موكب العماد

لابد للمعمد بعد أن يعتمد ويدهن بـــالميرون ويلبـــس الملابـــس البيضـــاء الجديـــدة ، ويوضع له الزنار ، أن يتناول من الأســـرار الإلهيـــة فـــى القـــداس .. لأنـــه كمـــا فـــى الولادة الجسدية يلزم للأم أن تسرع بترضيع أبنـــها الوليـــد ، هكـــذا الكنيســـة الأم تســـرع إلى المؤمن المولود جديدا بإعطائه سر الحياة وفيتـــامين النعمـــة الأبديـــة .

وهذا الارتباط الوثيـــق بيـــن المعموديـــة والأفخارســـتيا يرينـــا المعنـــى الحقيقـــى للعضوية الكنسية . فقديما كان الموعوظون يخرجون بعد انتـــهاء قداســـهم ، وإذا مـــا بـــدأ قداس المؤمنين لا يبقى فى الكنيسة إلا القديســـون ، وهكـــذا بعـــد أن ينـــال المتعمـــد ســـر الولادة الجديدة يصبح من حقه بل من واجبـــه أيضـــا أن يبقـــى مـــع المؤمنيـــن أعضـــاء الجسد الواحد ليلتئم مع الأعضاء ، وليوحد نفسه معهم لأنه كمـــا اتحـــد بالمســـيح الـــرأس يلزمه أيضا أن يتحد بالمؤمنين أعضاء الجسد ، ويمارس عضويتـــه فـــى إيجابيـــة تامـــة. وهذا يفسر لنا الموكب (الزفة) الـــذى يمـــارس للمتعمـــد فـــى الكنيســـة عقـــب انتـــهاء توزيع الأسرار ، إذ ينشد جميـــع أعضـــاء الكنيســـة ألحـــان الفـــرح والبهجـــة لانضمـــام

العضو الجديد ، ويصلون لكى الرب الإله يعطيه أن يكون عضوا عاملا فعالا يثمر لحساب مجد الله ثلاثين وستين ومائة .

صلاة اليوم الثامن

كان المصطبغون يظلون فى الكنيسة ثمانية أيام ، وفى كل يوم من الأيام الثمانية يحتفى به بوصفه عيدا للقيامة ، وفى اليوم الثامن (ملء الزمن) كانت تقام صلوات الحميم وحل زنار المتعمدين [١] .

اليوم الثامن فى الكنيسة يشير إلى يوم الخليقة الجديدة ، أنه يوم قيامة الرب يسوع من بين الأموات معطيا للمؤمنين قوة الغلبة والنصرة على الفساد الذى فى العالم ..

اليوم الثامن يشير إلى ملء الزمن ، أنه ليس كالأيام السبعة التى للخليقة ولكنه اليوم الذى دخل فى تخوم الأبدية ، أنه يوم الرب الذى كان يجتمع فيه الرسل مع المريمات والمؤمنين لكسر الخبز والصلاة والشركة .. فهو اليوم المناسب لاستكمال كل ما يتعلق بسر الولادة الثانية .. ولكن الكنيسة وأن كانت ليست من العالم إلا أنها فى العالم . لهذا يلزم للمعمدين أن يرجعوا إلى العالم لكى يثبتوا وجودهم الروحى وكيانهم المقدس ، ويشهدون الشهادة الإلهية المطلوبة .

فهى عودة إلى العالم من ملء الزمان والفرح إلى زمن العالم الأرضى ، لكى يبشروا بموت الرب ويعترفوا بقيامته والعلامات المرئية للسر تغسل ، ولكن الرمز يجب أن يصبح حقيقة ، والحياة نفسها يجب أن تكون الان علامة على السر واستكمال العطية . المعمد ينزل إلى الحياة ليبدأ حياة البذل والتضحية ، وليحبوا الحياة الزمنية إلى ليتورجية ، إلى عمل المسيح الحى ، عليه أن يحقق ما ناله بالمعمودية والأفخارستيا فى حياته اليومية ومعاناته وعلاقاته الاجتماعية .

---

١ - يحل زنار المتعمدين حاليا عقب موكب العماد وهو يشير إلى النضال والنزول إلى حلبة الصراع ضد العدو لكى نشهد للميلاد الجديد الذى نلناه بالمعمودية فى وسط جيل ملتو معوج .

تقول الكنيسة فى صلوات اليوم الثامن للمعمد : " عظموا الرب معى ولنرفع اسمه جميعا من أجل النعمة التى نالها هذا الطفل (فلان) المبارك ، ولنصرخ جهرا بصوت التهليل افرح وتهلل بالرب أيها الطفل المبارك ، يسوع المسيح يمنحك ثباتا وقوة ولتكن لك السلامة ، فلنجتمع أيها الآباء الروحيون والأخوة الأرثوذكسيون لنرتل بالتسابيح والتماجيد من أجل هذا الفرح الإلهى الذى صار لهذا الابن المبارك (فلان) .. هذا الذى لبس الإكليل السماوى الذى لنعمة المعمودية المقدسة . وتناوله من الأسرار الإلهية التى هى جسد ودم المسيح الابن الوحيد خالق كل البرية . وصارت هذه النعمة التى للمعمودية وأخذ الأسرار المحيية الإلهية إلى آخر الدهور لمغفرة الخطايا والخاتم الإلهى عربون الخلود فى المساكن النورانية .

وأنت أيها المتعمد قد أخذت عربون ملكوت السموات حقا ، وصرت إناء للروح القدس . نسأل عظم صلاحه أن ينشئ هذا الابن المبارك تنشئة صالحة ، ويمنحه دهرا ناجحا ، وينميه فى الأعمال الصالحة ، ويرقيه إلى الدرجات الكهنوتية ليجمع شتات أولاد البيعة ، وينشئ أولادها النشأة الصالحة المرضية ليكونوا كالشجرة المثمرة الصالحة النامية " .

كما يقول كتاب ليتورجية العماد " ومن بعد ذلك يحمون الطفل فى الماء هو وزناره والقميص الأبيض الذى تعمد فيه ثم يطرحون الماء فى البحر أو فى حقل طاهر " .

التوبة امتداد للمعمودية (البعد الحياتى)

فى المعمودية يتحقق كل من التوبة والمغفرة ، فى المعمودية يريد الإنسان أن يموت بوصفه خاطئا ويمنح هذا الموت ، وفى المعمودية يريد الإنسان جدة الحياة بوصفها دلالة الغفران ، ويمنح فعلا هذه الحياة ..

ومع ذلك فالخطيئة ملازمة لنا ، ونحن نسقط باستمرار عن هذه الحياة الجديدة التى أخذناها ، والحرب بين آدم القديم وآدم الجديد طويلة وموجعة ، فالمعمودية هى

غفران الخطايا لا نزعها ، أنها تدخل سيف المسيح إلى حياتنا وتجعلها صراعا فعليا وألما لا مفر منه ، وأوجاع النمو ضرورية . فى المسيح قد غفرت كل الخطايا مرة واحدة وإلى المنتهى لأنه هو نفسه غفران الخطايا ولا حاجة إلى حل جديد ، ولكن هناك حاجة بالضرورة لنا جميعا ، نحن الذين نترك المسيح باستمرار ونحرم أنفسنا من حياته ، إلى العودة إليه ونقبل المرة بعد المرة تلك الهبة التى قد أعطيت فيه دفعا واحدة وإلى الأبد .. والحل هو العلامة أن هذه العودة قد حدثت وقد تحققت ، وكما أن كل أفخارستية ليست تكرارا بل هى صعودنا وقبولنا فى ذلك العشاء الأبدى نفسه هكذا سر التوبة ليس تكرارا للمعمودية ، ولكنه عودتنا إلى جدة الحياة التى أعطاها الله إيانا مرة واحدة وإلى المنتهى ..

فالآباء فى الكنيسة يعتبرون دموع التوبة امتدادا لمياه المعمودية ، وأنه طالما نحن فى الجسد لابد أن نخطئ ولابد أن نقوم ونعود إلى أحضان الأبوة لنغسل ذلك الثوب الأبيض ثوب البر الذى لبسناه فى المعمودية . وكما أن المعمودية جحد للشيطان وتحول من الغرب إلى الشرق أى من الظلمة إلى النور ، واعتراف بملكوت الثالوث القدوس وخضوع للإيمان الحى ، هكذا التوبة هى تغير كامل للحياة الداخلية واتجاهات الفكر .. هى تحول عن العالم وكورة الخنازير التى عشنا فيها بعيدا عن أحضان الأبوة الحانية وعودة إلى تلك الأحضان بعزم القلب وإصرار النية الصادقة .. فالتوبة إذا هى عودة محبتنا وحياتنا إلى الله ، وهذه العودة ممكنة فى المسيح لأنه يكشف لنا الحياة الحقيقية ويجعلنا متفهمين غربتنا ودينونتنا ، وكلما قدمنا توبة صادقة وتجددت قوانا الداخلية كلما اكتشفنا قوة القيامة التى تنبعث فى داخلنا لتميت الإنسان العتيق بظلمته ، وتحيى فينا الإنسان الجديد بنوره وبهائه ومجده وأفراحه .

والعالم لا يعرف العمل السرى الباطنى الذى يحدث فى حياة أولاد الله من موت وقيامة مع المسيح ، وإنما يلحظ البعد الخارجى والظاهرى ، وهو ما يمثل

الشهادة الحقة . فيوم أن يلمس الناس فينا حياة التقوى وإماتة الأهواء والشهوات ونورانية الأعمال واتفاقها مع الحق الإلهى تصبح هذه الشهادة برهانا أكيدا على فاعلية القيامة وقوة السر الإلهى الذى نلناه فى مياه المعمودية .

وإذا كان الأشبين قد ناب عنى فى جحد الشيطان عندما كنت طفلا متقبلا سر العماد ، فأنه من واجبى وقد أصبحت بالغا ناضجا أن أحقق ما أعطانى السر الإلهى من تغير وفاعلية .

وإذا كانت الكنيسة منذ العصور الأولى قد أوجبت تعميد الأطفال [٢] ، فهذا مرجعه إلى الالتزام القائم بين الرجل والمرأة فى سر الزيجة المسيحى وهو ألا يلدوا أولاداً ولادة جسدية فحسب وإنما هما ملتزمان أمام مذبح الله أن يلدوهم ولادة روحية من الروح القدس والكنيسة . لهذا أوجبت الكنيسة أن يكون عنصر الإيمان واضحا فى حياة الإشبين المسئول ، ولا تستطيع الكنيسة أن تعمد طفلاً إلا إذا كان له من يهتم برعايته روحيا ويلقنه الإيمان الرسولى ويكون مسئولا عنه أمام الله والبيعة .

ومن هنا نفهم أن الطفل عندما يولد جسدياً يجد مناخاً عائلياً ، وجواً أسرياً يحتضنه ، هكذا أيضا عندما يولد ولادة روحية فإنه يجد المؤمنين الذين يهتمون بحياته وخلاص نفسه . فمن خلال هذه النظرة وهى أن الأطفال يعمدون لكى يحيوا

---

٢ – تعمد الكنيسة الأطفال طبقا لأمر الرب : " اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والإبن والروح القدس " كما أن الرب فى حديثه مع نيقوديموس أوضح أنه أن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله (يو ٣ : ٥) .

وبطرس الرسول يوم الخمسين يقول : توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا ، فتقبلوا عطية الروح القدس لأن الموعد هو لكم ولأولادكم (أع ٢ : ٣٨) ، وليديا بائعة الأرجوان عندما قبلت الإيمان اعتمدت هى وأهل بيتها (اع ١٦ : ١٤ و ١٥) ، وكذا بيت استفانوس (١كو ١ : ١٦) وكذا سجان فيلبى الذى اعتمد وكل أهل بيته (اع ١٦ : ٣٣) .

كما أن تقليد الكنيسة وأقوال الآباء وأوامر الرسل وتاريخ الكنيسة يُجمع على أن الكنيسة كانت تعمد الأطفال وهم صغار لينالوا استحقاقات الولادة الثانية التى يستطيعون من خلالها أن يعيشوا الحياة الجديدة فيما بعد عندما يكبرون .

فى وعاء الإيمان الذى هو الأسرة وفى مناخ ومجال الروح القدس الذى هو الكنيسة. والوصية الطقسية التى تقرأ على الأشبين تشرح لنا صحة الاتجاهات التى ذكرناها.

اعلموا أيها الأخوة المباركين مقدار هذه الكرامة التى نالها أولادكم الذين عدوا مع المصطفين ، والنعمة التى أسبغت عليهم ، وصاروا من جملة المسيحيين بالصبغة الطاهرة التى أمر بها مخلص العالمين للرسل الأطهار : " إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس .. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر " (مت ٢٨ : ١٩ ، ٢٠) .. اليوم يا أحبائى صار أولادكم وارثين الحياة مع السيد المسيح ألم تسمعوا الكلام المخوف المرهوب الذى قيل لكم على المعمودية المقدسة .. ألم تجيبوا عن أولادكم قائلين نجحدك أيها الشيطان وكل أعمالك النجسة ، ألم تقبلوا بهم نحو الشرق .

فالآن يا أحبائى اعلموا أنكم تسلمتم أولادكم على المعمودية المقدسة الطاهرة الروحانية ، وأنه يطالبكم بهم إذا غفلتم عنهم وعن تأديبهم .. لقد صرتم لهذا التعميد كفلاء وضمناء ، فأنتم من اليوم مسئولون عن أعمالهم وأفعالهم . وقد ضمنتموهم من السيد المسيح ضماناً صحيحاً لتجاوبوا عنهم يوم الدين .. وقد تسلمتم هذه الوديعة بمقتضى الشريعة وشهدت عليكم كهنة الله والبيعة ، فتجتهدوا فى تعليمهم بالأدب والوقار ، وتبنوهم على الصلاح ، وتعلموهم مخافة الله وأوامره المطاعة .. الخ .

فالكنيسة إذاً تعمد الأطفال لأن المعمودية أمر إلهى لجميع الناس ، وهكذا مارس الرسل تعميد الأطفال عندما وجد المؤمنون فى بيت ليديا ، وبيت إستفانوس وبيت سجان فيلبى ، فهى تسلم الإيمان للأطفال من خلال الأشابين المتعهدين برعايتهم وإذا ما دقق الرعاة والكهنة فى هذا الشرط اللازم ، أمكن للكنيسة أن تستلم الوديعة المعطاة على أحسن ما تكون الأمانة فى حفظها ورعايتها وتربيتها .

قبلة ومشكلات الشباب

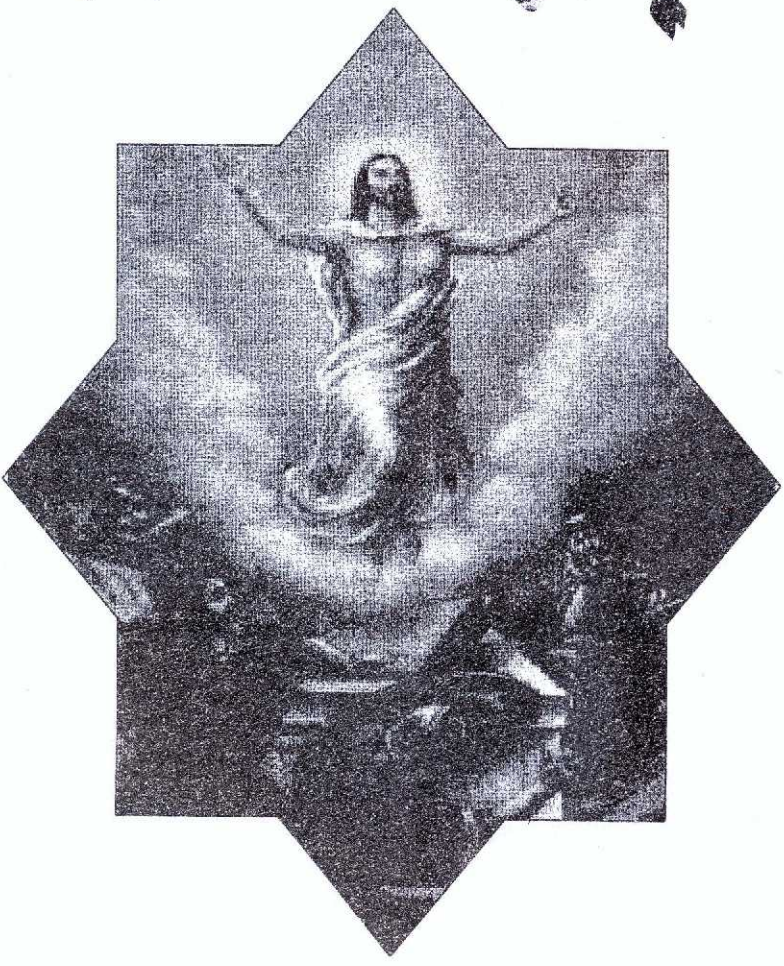

القيامة ومشكلات الشباب

يعانى الشباب هذه الأيام من مشكلات كثيرة بعضها روحى يتعلق بخلاصه وبعضها اجتماعى يتعلق بحياته النفسية والاجتماعية ، والسر فى هذا أن شبابنا يفتقر إلى إرشاد روحى سليم وإلى اختبار مسيحى صادق فيه يبيع الشاب كل ما عنده ليشترى الحقل الذى فيه الكنز ، وفيه يخلع الشاب الإنسان العتيق الفاسد ويلبس الإنسان الجديد الموهوب له بالصليب المقدس والقيامة المحيية .

لأجل هذا سيظل الشباب يعانى وسيظل يسأل كثيراً عن وسيلة النجاة إلى أن يدخل إلى الداخل ويعرف أن المعمودية هى موت ودفن للعتيق كى يقوم مع المسيح فى جدة الحياة ، وإلى أن يعرف أن سر الصليب وسر القيامة لم يكونا فى قوتهما الجبارة لشخص المسيح وحده ، وإنما هى قوة مذخرة لنا نحن المؤمنين كى نمارسها ونختبرها ونغلب بها ونشهد لها ونكرز من خلالها .

والمسيح له المجد مات وقام لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت ، وقد أعطى لنا من خلال قيامته حلاً لمشكلة الخطيئة والموت .

والمسيح له المجد أرعب قوات الظلمة بقيامته الجبارة لكى يسكب فينا سلاماً عجيباً ، وينزع منا إلى الأبد كل خوف يعكر صفو الإيمان.

المسيح له المجد أظهر نفسه بعد قيامته ببراهين كثيرة ليحقق للعالم نهوضه المبارك ويزيل من قلب كل مؤمن ما يزرعه إبليس من شكوك مميتة .

المسيح له المجد ، قام بمجد عظيم ، وهللت له كل الخليقة واشتركت الملائكة فى إعلان بشرى القيامة ، وانتزعت أفراح القيامة من المجدلية ومن التلاميذ ومن كل مؤمن يحيا فى كنيسة الله كل مصدر للحزن الردئ ووجع القلب .

لقد عالج الرب بقيامته ما يعانى منه شبابنا :

+ مشكلة الخطيئة . + مشكلة الموت . + مشكلة الخوف .

+ مشكلة الشك . + مشكلة الحزن الردئ ووجع القلب .

القيامة ومشكلة الخطيئة

الإنسان بدون المسيح واقع تحت الدينونة لأنه بالآثام حبل به وبالخطايا اشتهته أمه ، ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد الجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله هذا ما عبر عنه الرسول بولس بقوله " بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع " (رو ٥ : ١٢) ، وفى موضع آخر يقول " أنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا التى سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم فى شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً ، الله الذى هو غنى فى الرحمة من أجل محبته الكثيرة التى أحبنا بها ونحن أموات بالخطايا أحياناً مع المسيح ، بالنعمة أنتم مخلصون " (أف ٢ : ١ - ٥) ، وقد أعتقنا الرب يسوع بموته وقيامته من سلطان الخطية إذ دفع الثمن واشترانا بدمه الغالى وحررنا من أسر إبليس وعبوديته بقيامته المحيية ويمكننا أن نقول إن قيامة المسيح قد أبطلت مفعول الخطية .

+ فبموته وقيامته صار لنا الفداء بدمه .

+ وبموته وقيامته صار لنا التبرير بالإيمان بشخصه .

+ وبموته وقيامته صار لنا المصالحة مع السمائيين عاملا الصلح بدم صليبه .

+ وبموته وقيامته صار لنا التبنى إذ أننا فى المسيح يسوع لسنا بعد عبيداً وإنما أبناء أحباء للآب السماوى ، والمسيح نفسه صار بكراً بين أخوة كثيرين .

وقوة القيامة الغالبة التى زلزلت مملكة الشيطان وسبت من سلطانه جميع الأنفس التى تحيا بالإيمان هذه القوة التى هزأت بمملكة الظلمة التى انطوى تحت لوائها حنانيا وقيافا ويهوذا وبيلاطس وعامة الشعب المرتشون ورؤساء الكهنة الحانقون ، هذه القيامة الجبارة هى للكنيسة كلها ولنا جميعاً نحن المؤمنون ، إذ يقول الرسول بولس فى رسالته إلى أفسس " لتعلموا ما هى عظمة قدرته الفائقة نحونا

نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته . الذى عمله فى المسيح إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه فى السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ليس فى هذا الدهر فقط بل فى المستقبل أيضاً وأخضع كل شئ تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شئ للكنيسة " (أف ١ : ١٩ ــ ٢٢) .

وفى سفر الرؤيا يقدم يوحنا الرائى السجود للرب يسوع المسيح الشاهد الأمين البكر من الأموات الذى أحبنا وغسلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه.

والذى غلب على الصليب ولا يزال يغلب فى كنيسته ، هو الحى إلى أبد الأبدين يمارس بقوة صليبه وفعل قيامته عمل النصرة فى حياة أولاده ، وهذا وعده الأمين " من يغلب فسأعطيه أن يجلس معى فى عرشى كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبى فى عرشه " (رؤ ٣ : ٢١) .

لهذا لا يستطيع واحد من أولاد الله أن يقول أن الشيطان غلبنى وأن الخطيئة أذلتنى .

اذكروا يا أخوة كيف كان القديس أنطونيوس يهزأ بالشياطين ويحتقر سلطانها واذكروا كيف تحدى الشهداء والنساك جميع صنوف الإغراءات والأهواء فى تصميم عنيد وقصد واضح نحو العفة والطاعة والتجرد الكامل .

المسيحى الحقيقى يتمسك بقوة قيامة الرب فيحيا . والمسيحى الحقيقى يتناول من الجسد والدم المحيى فيتغذى وينال مصل الحياة وإكسيرها ضد لدغة الحية القديمة .

والمسيحى الحقيقى يعرف حقيقة ضعفه ومذلته وفساد طبيعته الذاتية ولكنه يحيا بالحياة الجديدة الموهوبة بالنعمة والإيمان والأسرار المقدسة .

القيامة ومشكلة الموت

قبل مجئ المسيح كان الموت أجرة العصيان والنتيجة الحتمية للفساد الذى دخل حياة الإنسان بحسد إبليس " أجرة الخطية هى موت أما هبة الله فهى حياة

أبدية بالمسيح يسوع ربنا " (رو ٦ : ٢٣) ، وكان الموت مخيفاً لأن إبليس وجنده كانوا يأخذون الأرواح إلى الهاوية وكان لعدو الخير سلطان على جميع الأرواح ، كما كان له السلطان على كل العالم " رئيس هذا العالم يأتى وليس له فى شئ " (يو ١٤ : ٣٠) ، وظلت البشرية كلها طوال عصور التاريخ تخشى سطوة الموت تُعتبره أكبر عدو للإنسان ، وقد سجل لنا العهد القديم قصة حزقيا الملك الذى كان مستقيم القلب أمام الله وأعلمه نبى الله أشعياء بقرب وفاته فحزن حزقيا ووجه وجهه نحو الحائط وبكى بكاء عظيماً وصلى قائلاً: آه يارب أنت تعلم كم سرت أمامك بالأمانة وبقلب مستقيم وفعلت الحسن فى عينيك ، فرجع أشعياء وقال له : الرب قد أزاد على أيامك خمسة عشر سنة وأنقذك من يد ملك آشور ، هذا التشبث العجيب بالحياة الأرضية تغير بعد تجسد المسيح وموته وقيامته فالموت بدلاً من أن يكون لعنة صار بركة وربحاً ، فالرسول بولس يقول " لى الحياة هى المسيح والموت هو ربح (فى ١ : ٢١) ، وأخذ يعقد رسول الجهاد مقارنة بين أن يبقى فى الجسد خادماً لإنجيل المسيح أو أن ينطلق للمجد ففضل الانطلاق كصورة عكسية تماماً لموقف حزقيا " ولكن إن كانت الحياة فى الجسد هى لى ثمر عملى ، فماذا أختار لست أدرى ، فإنى محصور من الاثنين ، لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً ولكن أن أبقى فى الجسد ألزم من أجلكم " (فى ١ : ٢٢ ــ ٢٤) .

وسمعان الشيخ فى الهيكل يقول للرب بعد أن أخذه فى حضنه وهو ابن ثمانى أيام " الآن يا سيدى تطلق عبدك بسلام حسب قولك . لأن عيناى قد أبصرتا خلاصك " (لو ٢ : ٢٩ ــ ٣٠) ، فقبل المسيح كان الموت حبساً وبعد المسيح صارت الحياة الأرضية سجناً والموت عبوراً وانطلاقاً إلى ما لم تره عين وما لم تسمع به أذن وما لم يخطر على قلب بشر ، ما السر فى هذا الانقلاب الخطير ؟ الإجابة عن هذا السؤال تكمن فى سر موت الرب وقيامته " بالموت داس الموت والذين فى القبور أنعم لهم بالحياة الأبدية " .

المسيح إذ مات عنا وهو القدوس ، وإذ صار خطيئة ولعنة لأجلنا وهو البار ، أعطانا من خلال هذا الفداء أن يكون لنا بره وقداسته ، ويعنى هذا أن المسيح على الصليب قد أخذ ما لنا الخطية وأعطانا ما له البر الالهى وبهذا قد تبررنا مجاناً بنعمته أى أننا صرنا أبراراً ومقبولين أمام الآب السماوى .

كما صالحنا مع السمائيين إذ كنا قبلاً أعداء فى الفكر بسبب الأعمال الشريرة، وإذ كان بسبب خطيئة آدم قد مات الجميع فإنه بسبب النعمة والعطية قد صار الكثيرون أبراراً .

وهذا ما عبر عنه الرسول بولس " لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون فالأولى كثيراً نعمة الله والعطية بالنعمة التى بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين لأنه ان كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون فى الحياة بالواحد يسوع المسيح " (رو ٥ : ١٥ ــ ١٧) .

آه يارب كيف أخاف الموت بعد هذا وأنت قد دسته بقوة صليبك المحيى ؟. وكيف أنزعج من الرحيل وأنا واثق أنك فاتح أحضانك الأبوية لتلاقينى عند أعتاب الأبدية ؟.

وكيف أفزع من الفراق وأنا موقن أنك الشفيع الأمين والوسيط الحقيقى الذى أقامنى وأجلسنى معه محققاً وعدك المبارك "أنا أمضى لأعد لكم مكاناً .. ، وحيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً " (يو ١٤ : ٣) .

أعطنى يارب أن أفهم أن الموت الحقيقى هو الانفصال والابتعاد عنك وعلمنى يارب أن الحياة هى فى الاتحاد بك لأنك وحدك القيامة والحياة .

ها هو عبدك بولس يعلمنا " وإن كان روح الذى أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذى أقام المسيح من الأموات سيحيى أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم " (رو ٨ : ١١) .

ليس الموت هو الرحيل من هذا العالم فالكنيسة تسميه الانتقال ولكن الموت الحقيقى هو اهتمام الجسد " لأن اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام " (رو ٨ : ٦) .

الموت هو انغلاقى فى ذاتى ودورانى حول نفسى . الموت هو الظلمة وأعمال ابليس الشريرة ، من كراهية وحسد وبغضة وانحباس أنوار المحبة الإلهية " من يبغض أخاه فهو فى الظلمة وفى الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضى لأن الظلمة أعمت عينيه " (١ يو ٢ : ١١) .

الموت هو عبوديتى للشهوات والأهواء والحياة هى فى تحررى وانطلاقى من كل ما يسبينى إلى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى .

+ يارب يامن دست الموت بالموت أعطنى قيامة بقيامتك .

+ يارب يا من قمت منتصراً على قوات الظلمة هبنى أن أحيا فى حرية مجد أولاد الله .

+ يارب يا من سحق رأس الحية وأبطل عز الموت وحطم متاريس الجحيم وفتح أبواب الفردوس أعطنى يقيناً أن قوة قيامتك كامنة فى ومذخرة لى إن كنت أسلمك قيادة حياتى ومقاليد أمورى .

القيامة ومشكلة الخوف

الخوف هو إحدى ثمار الخطيئة ، فالكتاب المقدس يوضح لنا أن الله خلق آدم وحواء ليتمتعا بحياة الشركة المقدسة معه ولقد كان الله يخاطب آدم فماً لفم ، ولكن آدم منذ أن تمرد وسقط فى العصيان يقول الكتاب عنه : أنه عندما سمع الصوت الإلهى فى الجنة اختبأ وخاف .

فالخوف إذن ضد الإيمان وضد الأبوة والمحبة الإلهية لأنى لا أستطيع أن أخاف وأرتعب ممن أحبه فالمحبة الكاملة تطرد الخوف خارجاً ، ولكن الخطية أدخلت الخوف إلى الإنسان فى مجالاته الثلاثة الخطيرة :

+ الخوف من الله وهذا يثمر خطايا الإلحاد وتأليه الذات والمادة .
+ الخوف من النفس وهذا يثمر اليأس والقلق والانتحار وعقد النقص والأمراض النفسية .
+ الخوف من الناس وهذا يثمر القتل والثورات والحروب .
+ ولكن الرب يسوع بتجسده المبارك وموته المحيى وقيامته المجيدة قد انتزع الخوف من جذوره لأنه انتزع سلطان الخطية من الإنسان ، وإذا كان أغسطينوس المغبوط قد صرح أنه لا يخاف شيئاً وأنه صار فوق قمة العالم فذلك لأنه قد أصبح حراً لا يشتهى شيئاً ولا يستعبد نفسه لشئ .

فالأمور التى تستعبدنا هى عينها التى تورث لنا الخوف . فالذى يخاف الموت مستعبد للذات ، يحب الحياة الأرضية ولا يرضى لنفسه بالعبور ومقابلة الله ، أما المؤمن فيقول " إن سرت فى وسط وادى ظل الموت لا أخاف شيئاً لأنك معى " (مز ٢٣ : ٤) ، " الرب نورى وخلاصى ممن أخاف الرب عاضد حياتى ممن أجزع عندما يقترب منى الأشرار ليأكلوا لحمى مضايقى وأعدائى عثروا وسقطوا " (مز ٢٧ : ٣) .

والذى يخاف الحكام والسلاطين فذلك لأن أعماله شريرة ، لهذا يقول الرسول بولس " أفتريد أن لا تخاف السلطان أفعل الصلاح فيكون لك مدح منه لأنه خادم الله" للصلاح ، ولكن أن فعلت الشر فخف ، لأنه لا يحمل السيف عبثاً إذ هو خادم الله " (رو ١٣ : ٣) ، ويؤكد نفس هذا الاتجاه الرسول بطرس بقوله " وأما خوفهم فلا تخافوه ولا تضطربوا بل قدسوا الرب الإله فى قلوبكم" (١بط ٣ : ١٤ و ١٥) فالذى يعيش على مستوى إرضاء الله بكل تدقيق كيف يرتعب من الإنسان .

وغير المؤمن يخاف من المستقبل ويعيش تحت عبودية الخوف خشية لقمة العيش ، وأما الذى يؤمن بأن الرب يسوع حى ، وأنه وحده المسئول عن حياته يستجيب دائماً لقول الرب : " لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا

يقدرون أن يقتلوها بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم، أليس عصفوران يباعان بفلس .. فلا تخافوا أنتم أفضل من عصافير كثيرة (مت ١٠ : ٢٨ ، لو ١٢ : ٥) .

هذا يعنى أن الإيمان بقوة الرب يسوع وعظم محبته ورعايته يعطى للمؤمن تسليماً كاملاً واتكالاً شديداً وثقة أكيدة فى مواعيده أنه صادق ، إنه حى ، أمين محب.

ولقد دخل الرب يسوع بعد قيامته من بين الأموات العلية والأبواب مغلقة والتلاميذ فى رعب وخوف شديد ثم قال : " سلام لكم ، أما التلاميذ لما رأوا الرب فرحوا فرحاً عظيماً " ، ولا يزال الناهض من بين الأموات مستعداً أن يدخل هياكلنا حتى ولو كانت حواسها مغلقة ، إنه مستعد أن يدخل بطريقة سرية معجزية ويهتف بكلماته الحلوة المعزية سلام لكم وعندئذ ينتزع منا كل رعب لكى نعبد الرب بلا خوف منقذين من أيدى أعدائنا " (لو ١ : ٧٤) .

أعطنى يا من قمت غالباً الموت ألا أخاف من الموت بل أكون مستعداً له فرحاً للقائه مع العذارى الحكيمات والعبيد الساهرين الأمناء .

أعطنى يا من جلست عن يمين الآب لتشفع فينا ألا أقلق على مستقبلى بل أكون واثقاً فى رعايتك وحسن تدبيرك أيها الصادق الأمين .

القيامة ومشكلة الشك

الشك ثمرة أخرى من ثمار الخطيئة والتمرد والعصيان ، لأن المؤمن الحقيقى لا يشك ، والمحبة تتجاوز الشكوك والهواجس ، وبالرغم من أن الرب يسوع كان ينبه أذهان التلاميذ مراراً عن حقيقة موته وقيامته إلا أن التلاميذ لم يكونوا يفهمون ولم يستطيعوا أن يستوعبوا حقيقة الصليب والقيامة ، وقد أثبتت أحداث الصليب والقيامة أن الآم المخلص وموته وقيامته لم تكن أمراً يخطر لهم على بال . فقد تركوا الرب عند صليبه وهربوا (مت ٢٦ : ٥٦) .

والمريمـات مـا كـن يتوقعـن القيامـة وإلا فلمـاذا أخـذن معـهن حنوطـاً (مـر ١٦ : ١) .

إن الشكوك ظلت تساور المريمات وجماعة التلاميـذ حتـى بعـد القيامـة فالكتـاب يقول إن المريمات لما رجعن من القبر يحملن بشرى القيامـة للتلاميـذ تـراءى كلامـهن لهم كالهذيان ولم يصدقوهـن .

وتلميذا عمواس وهما سائران فـى الطريـق لـم يخطـر علـى بالـهما أن الـذى يكلمهما هو يسوع النـاصرى .

وقد أهتم الرب بأن يدفع الشك مـن حيـاة رسـله القديسـين " الذيـن أراهـم حيـاً ببراهين كثيرة بعدما تألم وهو يظـهر لـهم أربعيـن يومـاً " (أع ١ : ٣) ، وقـد كـانت الوسيلة التى استخدمها الرب لإبطال الشكوك التى سـاورت التلاميـذ عـن قيامتـه هـى أن يقدم لهم ذاته بطرق مختلفـة .

فمرة يظهر لمريم المجدلية ويناديها باسمها . ومـرة يظـهر لبطـرس علـى حـدة وليعقوب وحده أيضـاً .

وهو يقول لهم " انظروا يدى ورجلى إنى أنا هو جسـونى فـإن الـروح ليـس لـه لحم وعظام كما ترون لى وحين قال لهم هذا أراهـم يديـه ورجليـه " (لـو ٢٤ : ٣٦) .

ومرة يكسر الخبز للسائرين معه فى الطريـق فتنفتـح بصيرتـهما ويعرفانـه بعـد أن يكون قلباهما قد التهبا بنار محبتـه (لـو ٢٤ : ٢٥) .

ومرة يظهر لتوما مع التلاميذ ويقول له : " هات إصبعك إلـى هنـا وأبصـر يـدى وهات يدك وضعها فى جنبى ولا تكن غير مؤمن بـل مؤمنـاً (يـو ٢٠ : ٢٧) .

ومرة يأكل مع التلاميـذ جـزءاً مـن سـمك مشـوى وشـيئاً مـن شـهد عسـل (لـو٢٤ : ٤٢) .

ومرة يظهر للتلاميذ وهم يصطادون سمكاً ويطلـب منـهم أن يلقـوا الشـبكة إلـى جانب السفينة الأيمن ليجتذبوا سـمكاً كثـيراً (يـو ٢١ : ٦) .

ومرة يظهر لأكثر من خمسمائة شخص دفعة واحدة . وبعد أن أصبحت قيامة الرب حقيقة تاريخية يقر ويعترف بها الجميع وبعد أن عاين التلاميذ شخصه المبارك قائماً من الأموات "الذى سمعناه الذى رأيناه بعيوننا الذى شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة " (١ يو ١ : ١) .

فإن الرب يطوب الآن الذين يؤمنون بحقيقة قيامته دون أن يروه ، طوبى لمن آمنوا ولم يروا ، وفى هذا يقول بطرس الرسول " مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حى بقيامة يسوع المسيح من الأموات لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات لأجلكم .. ذلك وإن لم تروه تحبونه ذلك وإن كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرح لا ينطق به ومجيد " (١ بط ١ : ٣ و ٨) .

وبالرغم من أن الرسول بطرس عاين الرب وعاش معه وسمع من السماء صوتاً مقبلاً إذ كان معه فى جبل التجلى ، إلا أنه يجعل الكلمة النبوية أثبت وأقوى فى فاعلية الاختبار من الرؤية الحسية والمعاينة الجسدية (٢ بط ١ : ١٨ـ١٩)

ومعنى هذا أننا وقد نلنا الروح القدس المعزى لا يصح لنا أن نطلب دليلاً مادياً أو معاينة أو مشاهدة على أى مستوى من المستويات ولكن تبقى فى اختبار إيماننا مواعيد الله المستورة فى كتابة هى الدليل الأثبت والأقوى .

إن حضور الرب بشخصه المبارك مع أبيه الصالح فى قلوبنا لأقوى دليل على حقيقة وجود الله وقيامته من الأموات وصدق ما جاء فى كتابه المقدس .

لذلك يحتاج الشباب فى هذه الأيام لا أن يبحث عن الله خارجاً عنه، ولا أن يجد نفسه فى الجرى وراء أدلة منطقية وقياسات حسية للتدليل على حقيقته الأبدية.

فالدليل موجود فى الداخل ، نحتاج أن نستفيد من اختبار أأغسطينوس الذى تعب كثيراً فى البحث عن الله خارجاً عن نفسه وأخيراً وجده فى داخله .

نحتاج ألا نطلب ما طلبه توما ولا نشتهى أن نعاينه كما عاينه بطرس ، لأننا لسنا نعرف الآن المسيح حسب الجسد ، ولكن شكراً لله فإن المعمودية والمسحة المقدسة تعطينا الروح الذى يعلمنا كل شئ والذى يجتذبنا إلى شخص الرب مهيئاً نفوسنا له كعروس لعريسها .

فاسمح يارب أن تزيل الشكوك التى يزرعها الملحدون بكتاباتهم المملوءة سماً وانحرافاً . أزلها بلمسة من لمساتك الخفية . امحها باكتشاف وإعلان داخلى مجيد . أبطلها بكلمة سلام من كلماتك المعزية كما أعطيت لتلاميذك الخائفين المتشككين فى العلية .

وليكن لكل واحد من أولادك اختبار صادق حى وشركة مقدسة فى الخبز المكسور مع قلب حار ملتهب وبصيرة واعية منفتحة كما أعطيت لتلميذى عمواس فى ذلك الزمان .

يا من عالجت الشك عند توما أعط لعبيدك المتشككين أن يضعوا أيديهم على جراحاتك القائمة فى حياة المعوزين والمحتاجين والبائسين والمشردين حتى إذا ما انحنوا عليها يتقابلون معك مرددين مع توما ربى والهى .

يامن فتحت بصيرة تلميذى عمواس بكسر الخبز ، الآن اكسر معنا خبزاً وأطعمنا فى مخدع الصلاة ومن خلال إنجيلك المعزى وعندما نذهب للقداس الإلهى كى نتناول من المائدة المقدسة .

القيامة ومشكلة الحزن

لقد واجه الرب يسوع فى قيامته مشكلة الحزن ، فمريم كانت تبكى ، والنسوة كن فى حيرة شديدة ، والتلاميذ كانوا فى خوف وحزن أليم ، والكنيسة كلها قبل القيامة خيمت عليها سحابة حزن قاتمة ، والحزن هو إحدى ثمار الخطيئة ، لأن الإنسان قبل السقوط لم يكن يعرف الحزن ، بل كان يعيش فى بهجة دائمة وهى انعكاس الفرح المقدس الذى يحيا فيه الثالوث الأقدس .

والحزن هو الدوران حول الذات ، هو علامة على تغرب رؤية وجه الله فى الداخل ، الإنسان لا يستطيع إن يفرح عندما يدفن نفسه فى قبر الخطيئة ، وعندما يقبر ذاته فى حبس الحزن المرير ، الحزن الناتج عن دوران المرء حول نفسه لأن من يحزن لا يرى إلا نفسه ، أما من يدور حول الرب يسوع فيه يفرح وفرحه لا ينزع من .

والناس يحزنون إما لأنهم يفقدون ما يمتلكون سواء كان هذا عقاراً أو ثروة أو أقارباً ، أو لعدم نجاحهم فى الوصول إلى ما يبتغونه ، فالفشل هو إحدى مداخل الحزن ومصادره عند الإنسان ، بل وإن كثيرين يسقطون فى بالوعة الحزن واليأس وصغر النفس عندما يجدون أنفسهم مستعبدين لأى نوع من أنواع العبوديات .

وإذا كانت الملكية وحب القنية هى إحدى أسباب الحزن فالتجرد الداخلى هو من مصادر الفرح .

كان ابن الإنسان على الأرض لا يملك أين يسند رأسه ، وكان الرسل لا يمتلكون أموالاً بل كل من كان لديه مقتنيات فى كنيسة الرسل كان يبيعها ويضع الأموال عند أقدام التلاميذ ، لأجل هذا يقول سفر أعمال الرسل عنهم أنهم كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطه قلب وأنهم كانوا يمتلئون من الفرح والروح القدس (أع ١٣ : ٥٢) .

إن صورة الرأهب الحقيقى الذى تجرد من اقتناء أى شئ بملء حريته وإرادته إنما هى صورة مسبقة للملكوت الذى فيه لا يقتنى مادة أو جزء لأننا نقتنى الكل فى الكل ، والملكوت هو ملكوت الفرح الأبدى .

وإذا كان الفشل والإحباط أحد مصادر الحزن الإنسانى ، فإن التسليم المطلق والطاعة الكاملة لمشيئة الله لأكبر مصدر للفرح والسلام الحقيقى ، لنذكر الرسولين بولس وسيلا وكيف كانا يصليان ويرنمان فى السجن كأعمق دليل على حياة الفرح والسلام والتسليم المطلق فى أصعب ظروف تواجه الإنسان فى حياته على الأرض.

وإذا كان الانسياق وراء الشهوات هو مصدر رئيسى للحزن فإن العفة والطهارة إنما هى مصدر أساسى للفرح والسلام الحقيقى فالذى يضبط جسده أفضل ممن يفتح مدينة ، والذى يستطيع أن يعرف نفسه أعظم ممن يشاهد ملائكة .

لقد سكب الرب يسوع أفراح قيامته على الكنيسة فحولها من جماعة حزينة يائسة إلى شعلات نارية ممتلئة فرحاً وبهجة وقوة وإيماناً راسخاً "ولكنى سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم (يو ١٦ : ٢٢) .

نعم يحق للكنيسة أن ترتل مبتهجة بقيامة الرب يسوع لأن قيامته نزعت كل أسباب الحزن من الإنسان .

وما كان سبب وجع مرير صار مصدر فرح داخلى مجيد ، لقد سكب الرب فى داخل كل مؤمن السلام الحقيقى والنصرة والغلبة على الخطيئة وفتح البصيرة على الرجاء المبارك والإكليل المعد للمختارين.

نعم لنرنم مع كنيسة الله من كل القلب فرحين " يأكل الصفوف السمائيين رتلوا لإلهنا بنغمات التسبيح وابتهجوا معنا اليوم فرحين بقيامة السيد المسيح اليوم انتشرت أعلام الخلاص وتجددت الأجسام والأرواح وفاز المؤمنون بالصفح عن القصاص ومجدوا الله بالتسابيح والأفراح " .

هبنى يارب نعمة ألا أدور حول ذاتى لئلا أسقط فى الحزن الردئ ، وأعطنى كلما أنغلق فى همومى أن أقف أمامك باكياً مع المجدلية منتظراً لقياك كى تعزينى فأخرج من حبس نفسى مبتهجاً مبشراً ، أنادى معك للمسبين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق وأعطى نائحى صهيون جمالاً عوضاً عن الرماد ودهن فرح عوضاً عن النوح وروح تسبيح عوضاً عن الروح اليائسة .

هبنى يارب أن أتمتع بخلاصك كل حين كى أردد مع عبدك أشعياء " فرحاً افرح بالرب ، تبتهج نفسى بالهى لأنه قد ألبسنى ثياب الخلاص كسانى رداء البر مثل عريس يتزين بعمامة ومثل عروس تتزين بحليها " (أش ٦١ : ١٠) .

وعرفنى أننى واحد من جماعة المفدين الذين دفع الثمن غالياً لأجلهم دم حمل كريم بلا عيب ، ومفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنم وفرح أبدى على رؤوسهم ابتهاج وفرح يدركانهم ويهرب الحزن والتنهد (أش ٣٥ :١٠) .

وإن حاولت أمواج العالم المحزنة القاتمة أن تغمر نفسى فاسمح يا صخر الدهر إن تكسرها وتحطمها وتوقفنى فوقها فرحاً فى الرجاء وتقيمنى غير عاثر فى الابتهاج ، ولترفع يارب أنظار شعبك كله إلى أورشليم التى أعددتها كعروس مزينة لعريسها ، هناك لا يكون الموت فيما بعد ولا يكون حزن ولا وجع لأن الأمور الأولى قد مضت .

+ هليلويا المسيح قد قام .

+ هليلويا بالحقيقة قد قام .

أخرستوس آنستى .. اليثوس آنستى .

بعض أقوال الآباء عن القيامة

يوحنا ذهبى الفم

نحن الذين متنا موتاً مزدوجاً موت النفس والجسد نقوم فيه قيامة مزدوجة ، وحتى الآن نحن قمنا قيامة واحدة وهى القيامة من الخطية، لأننا دفنا معه فى المعمودية ، وقمنا معه خلال المعموديـة بالقيامة ، هذه القيامة هى الخلاص من خطايانا وأما القيامة الآخرى فهى قيامة الجسد هو أعطانا القيامة العظمى ، وها نحن ننتظر الأقل ، والقيامة الأولى أعظم من الثانية ، إذ خلاصنا من خطايانا أمر أعظم من قيامة الجسد .

فالجسد قد سقط لأنه أخطأ ، وإذ الخطية هى سبب سقوطه ، فإننا بالخلاص من خطايانا تكون لنا قيامة الجسد مرة أخرى لقد صارت لنا القيامة الأولى ، طارحين عنا الموت الأعظم موت الخطية ، ملقين عنا الثوب القديم ، لذلك فلا مدعاة لأن نيأس فيما يتعلق بالأقل ، نحن قمنا عندما اعتمدنا كمثل أولئك الذين بالأمس استحقوا المعمودية كحملان أعزاء ، وإذ يتم هذا لنا ونحن ثابتون فى عمل المعمودية فى حياتنا فإننا بثقة سندخل بيت العريس ، ونتمتع بالأشياء التى سبق فأعدها للذين يحبونه (من كتاب الله مخلصى ج٤ للقمص تادرس يعقوب) .

الأنبا بولس البوشى

كما أنه عند تسليمه الروح زلزل الأرض ، هكذا عند قيامته زلزلها ليعلن أن الذى مات هو الذى قام .

قام الرب والحجر مختوم على باب القبر كما ولد من البتول وهى عذراء كنبوة حزقيال .

وأما دحرجة الملاك للحجر عند باب القبر ، فلكى تعلن القيامة جيداً لئلا إذا بقى الحجر مختوماً يظن أن جسده فى القبر ، وأما كون الرب قد ألقى الثياب فى المقبرة لما قام ، فلكى يعلمنا أنه فى القيامة الجامعة لكل واحد لا يحتاج إلى لباس ولا إلى أى شئ مما يستعمل فى هذا الدهر ، بل يكون كملائكة الله الذين فى السماء كما شهد الرب .

القيامة وحياتنا الروحية

القيامة وحياتنا الروحية

يوم قيامة الرب

يوم قيامة الرب يسوع من بين الأموات هو بداية حياة جديدة وزمن جديد ، نهاية حياة طبيعية وبداية الحياة الملكوتية على الأرض ، هو اليوم الثامن وهو اليوم الأول وهو يوم الكنيسة ، فيه تحتفل الكنيسة بتذكار الغلبة التى انبعثت من عار الصليب وهوان الجلجثة ، فيه تعيد الكنيسة بالنور الذى انبثق من ظلمة قبر ابن الإنسان ، وفيه تحتفى الكنيسة بالأفخارستيا سر صعودها إلى الملكوت وعربون اشتراكها فى العشاء المسيانى فى الدهر الآتى ، وفيه تحقق الكنيسة نفسها باعتبارها الملكوت على الأرض والحياة الجديدة لكل من يؤمن بالرب يسوع .

فى القيامة يستعلن لنا فى وضوح المجد الذى كان يكلل رب الصباؤوت وهو معلق على الصليب ، هذا المجد الذى لم يستطيع العالم أن يراه ولكن رأى قبساً منه جماعة قليلة وحفنة مضطهدة واحد منها لص ، آخر تلميذ محبوب ، وقلة من المريمات المخلصات .

لقد قام الرب يسوع بجسده المصلوب واحتفظ فيه بآثار المسامير والطعنة وإكليل الشوك ، وبالقيامة تبدلت الأوضاع وتجلت أحداث الجلجثة بأنوار وأمجاد القيامة الظافرة .

فالمسامير التى ظن العسكر أنهم قد سمروا بها اليدين لتكفا عن عمل الخير والصلاح ، إذا بها قد فجرت ينابيع النعمة والحب فآباؤنا الرسل ما أن شاهدوا اليدين المثقوبتين والجنب المطعون فى العلية حتى امتلئوا فرحاً وقوة ، وتلميذا عمواس عندما عاينا آثار المسامير والرب يكسر الخبز عرفاه والتهبت حياتهما بسعير الحب ، ولا تزال آثار المسامير فى يدى الرب نبعاً فياضاً يرتشف منه كل مصلى يجثو بروح الخشوع نحو الجلجثة ، وأما جراحات المسامير فستبقى إلى الأبد حتى يراها الذين طعنوه وتنوح نادمة جميع القبائل وتصبح دينونة مخيفة لكل الذين

استهانوا بالحب الذى تفجر على الصليب .

فى مخدع الصلاة كلما نكتشف يارب ضعفنا وذلنا ومسكنتنا إليك نلتجئ ونحوك نصرخ فتمد إلينا يدك المثقوبة لتؤازرنا وتشددنا وحينذاك تبتهج نفوسنا مهلله " يمين الرب صنعت قوة ، يمين الرب رفعتنا يمين الرب صنعت قوة فلن نموت بعد بل نحيا إلى الأبد " .

والأشواك التى غرزت فى رأس مخلصنا الصالح كان العسكر والمستهزئون يقصدون بها هواناً وخزياً .. ولكن الرب بقيامته حولها إلى عز ومجد ، ذلك لأن لعنة الخطية هى التى أنتجت الشوك ، وصار الشوك رمزاً إلى سقوط الإنسان وشقائه " شوكاً وحسكاً تنبت لك الأرض " ، ولكن الرب المبارك رفع بؤسنا وشقاءنا ووضعه على أعلى هامته ، " الرافع المسكين من التراب والبائس من المزبلة ليجلس مع رؤساء شعبه " .

صرنا فى فكره وطوق بنا هامته المقدسة ، وغرسنا فى رأسه وغرس فى فكرنا حتى أننا نجرؤ بالقيامة أن نقول مع المغبوط بولس " أما نحن فلنا فكر المسيح " .

يارب كلما تنتابنا أفكار شريرة من دنس أو كبرياء أو صغر نفس نسرع إليك ونقول لك انتزع يارب هذه الأشواك واغرس فى عقولنا أفكاراً نيرة ، وعندما تقترب إلينا نتحسس آثار الإكليل على رأسك تضيع منا كل الهواجس وتلفنا موجة من التأملات المقدسة ونحس بنفوسنا وكأنها تصعد من الأرض إلى أعلى الصليب لنقبل الرأس المقدسة شاكرين للحبيب معاملات حبه .

والخل الذى قدم لمخلصنا ليخدره أو ليزيد مرارة حلقه مراً قد تحول إلى عسل وقطر الشهاد ، لقد ابتلع يسوع من أجلنا كل مرارة ووهبنا من حلقه حلاوة وصرنا كلما نتذوق مرارة الأحقاد ومؤامرات الأشرار نسرع إليه فيفتح فمه وتتسكب النعمة من شفتيه ، فإذ بنا نرتفع فوق الأحزان والآلام ولا نجد فى كل ما

يحدث لنا إلا كل خير ويلذ لنا أن نقترب من شفتيه الطاهرتين قائلين له " لتقبلنا يا حبيبنا بقبلات فمك لأن حبك أطيب من الخمر، نبتهج ونفرح بك ، ها أنت جميل يا حبيبى وحلو ، ثمرتك حلوة لحلقنا ، مد شمالك وضعها تحت رؤوسنا ويمينك يارب لتعانقنا ، أنا لحبيبى وحبيبى لى " .

والحربة التى ظن واحد من العسكر أنها ستنهى على حياة الناصرى حولتها القيامة إلى حياة أبدية لنا ، إلى أداة مباركة فتحت لنا طريقاً حياً وأعطت لنا نحن المؤمنين دخولاً وجرأة وقدوماً أمام الآب السماوى وفتحت لنا الأبواب الدهرية وشقت حجاب الهيكل رمز العداوة ودينونة الناموس .

يارب لقد أخذتنا الحربة إلى أعماق قلبك ، هناك أدخلتنا وأجلستنا ، وفى الجنب المطعون استقرت نفوسنا واستراحت ووجدت ستراً وحماية وصوناً ، " الساكن فى ستر العلى فى ظل الإله يبيت يقول للرب أنت هو ناصرى وملجأى " بهذه الثقة وبهذا الإيمان عبر المغبوط بولس بقوله " أقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويات ليظهر فى الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا فى المسيح يسوع " (أف ٢ : ٦) .

يارب إنى منذهل من هذا الطريق العجيب المفتوح الذى يبدأ من أعماق قلبك ويمتد إلى أعماق قلوب أحبائك أنت تسكن فيهم وهم يسكنون فيك ، " أنا فيهم وأنت فى ليكونوا مكملين إلى واحد وليعلم أنك أرسلتنى وأحببتهم كما أحببتنى " (يو ١٧ : ٢٣) .

والدم والماء نزلا من الجنب المطعون وانسكبا دون أن يكترث بهما سوى جماعة قليلة جداً ملتفة حول الصليب فى حزن وحب شديد ، أما الآن فبقوة قيامتك يارب أعطيت لكل من يؤمن بك حياة أبدية ، الدم يغفر ويقدس ، الماء يطهر ويحيى الدم هو للأفخارستيا سر الشركة والتقديس ، والماء هو المعمودية سر الولادة الثانية ونبع الحياة الجديدة ، بالدم والماء تفجرت الكنيسة من قلبك ومنذ ذاك الوقت تمارس

الكنيسة عملك الفصحى عبر كل العصور محفوظة ومحروسة بحبك من يمسها يمس حدقة عينك .

قوة قيامته

لقد أثبت الرب يسوع بقيامته حقيقة ألوهيته ، فقد قام بقوته الذاتية ، قام والحجر الكبير باق على القبر ، قام بزلزلة عظيمة ، قام بجسد نوراني ممجد ، قام منتصراً على أوجاع الموت معطياً فرحاً وتعزية لكل المؤمنين به ، قام والأكفان مرتبة فى وضعها ليؤكد تدابير الآب العجيبة وقوة الروح القدس الجبارة ومحبته هو الأبدية لنا إذ أكد لنا أن أجسادنا فى القيامة ستكون على شبه جسد مجده لا تحتاج إلى ثياب وإنما يلبسها هو نوراً ويوشحها مجداً لا يفسد ولا يتدنس ولا يضمحل .

لقد بدد الرب يسوع بقيامته أحزان الرسل والمريمات وحول شكوكهم وضعفهم إلى قوة إيمان وحرارة كرازة حية .

إن الرب يسوع بقيامته قد سحق رأس الحية وطرح إبليس فى الهاوية وقبض على التنين الحية القديمة الذى هو الشيطان وأعطى لكل من يؤمن به أن يسحق الشيطان تحت أرجله سريعاً .

إن الرب يسوع بقيامته قد أبطل عز الموت ، هذا الذى تسلط علينا من آدم إذ به دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع " فكما فى آدم مات الجميع هكذا فى المسيح عاش الجميع " (رو ٥ : ٢٢) ، " وبالموت داس الموت والذين فى القبور أنعم لهم بالحياة الأبدية " هذا ما عاينه يوحنا الرائى عندما قال " طرح الموت والجحيم فى بحيرة النار " (رؤ ٢٠ : ١٤) .

إن يسوع بقيامته فتح باب الفردوس ، هذا الذى ظل مغلقاً منذ خروج آدم إلى اليوم الذى فيه دخله رب المجد ظافراً وأدخل معه اللص اليمين وجميع الآباء وكل الذين رقدوا على الإيمان إذ كرز للأرواح التى فى السجن ورد المخلص سبى

صهيون من أجل هذا امتلأ فمنا فرحاً ولساننا تهليلاً .

القيامة وحياة الغلبة

الكنيسة مدعوة إلى أن تتنعم بقوة قيامة الرب يسوع ، والرسول بولس يعبر عن هذا بقوله " لتعلموا عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته الذى عمله فى المسيح إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه فى السماويات " (أف ١ : ١٩) ، والكنيسة تعرف أن متاريس الجحيم قد حطمت وأن قوة أخرى قد دخلت العالم وطالبت به لصاحبه الأصيل ، وهذه المطالبة ليست بالنفوس وحدها ولكن بالحياة فى شمولها وبالعالم أجمع .

وجحد الشيطان فى المعمودية

يؤكد أنها عمل انتصارى ، عمل متعلق بالبصخة ، إنها شركة موت الرب لكل من يؤمن به " أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته " (رو ٦ : ٣) ، فالمعمودية تهب جدة الحياة وهى تعلن فى شكل موت لأن الحياة الجديدة التى أعطاها المسيح للمؤمنين قد انبثقت من القبر الفارغ ، وجدة الحياة معناها امتلاك جديد للعالم ، عالمين أن المسيح بعدما أقيم من الأموات لا يموت أيضاً ، لا يسود عليه الموت بعد ، فالمعمودية هى إذاً موت حبنا للذات وكفايتنا الذاتية وهى شبه موت المسيح لأن موت المسيح هو ذلك التسليم الذاتى اللا مشروط.

وربما أن موت المسيح قد داس الموت فإننا من خلال شركة موته ننال قوة الحياة وجدة الحياة " فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة " (رو ٦ : ٤) .

وفى سر التوبة

وهو امتداد للمعمودية حسب أقوال الآباء نمارس قوة غلبة القيامة ، فى كل مرة نكتشف ظلمة الكراهية والحقد والأنانية والشهوة ثم ننهض مسرعين إلى

أحضان الأبوة فى الصلاة والاعتراف ، وفى كل مرة نغلب الشهوة الجنسية والميل نحو التلذذ بالآخر، فى كل مرة نغلب الظلمة والموت الداخلى إنما نؤكد حقيقة القيامة فينا ونردد مع الرسول بولس " لا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات بر لله "(رو ٦ : ١٣) .

هذه هى القيامة الأولى ، التوبة الحقيقية وختانة القلب الصادقة والتمسك بالحياة الجديدة فى المسيح يسوع " وأعطيكم قلباً جديداً وأجعل روحاً جديدة فى داخلكم وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم وأجعل روحى فى داخلكم " (حز ٣٦ : ٢٦ ، حز ١١ : ١٩) .

وفى سر القربان المقدس

ننال أيضاً أفراح القيامة وبهجتها ففى ليتورجية الأفخارستيا نحن نمارس فعلاً عملية الانفصال الحقيقى عن العالم ونحسب كالقيام فى السماء وننهض لتمجيد الله ، ولا يمجده إلا من ولد ثانية ومسح بالروح والتحم مع الكنيسة المجتمعة حول الجسد والدم لنشارك الرب فى حياته المقامة ونأكل جسد القيامة .

إننا بالأفخارستيا نصبح فعلاً هياكل للروح القدس ونلتحف بالحياة الجديدة وتعكس وجوهنا النور والفرح والسلام الذى لملكوت الله ونصبح بحق شهوداً للقيامة، وفى هذا السر العظيم نقدم للرب خبزنا وخمرنا ، وفى وهم العالم أن هذه الأمور المادية هى قوام الحياة ، ولكننا فى الكنيسة نتحدى هذا الوهم وهذه الأكذوبة لنتعرف بإيماننا وسيرتنا أنه ليس بالخبز المادى يحيا الإنسان وإنما بالكلمة الموضوع على المذبح ، فنتناول جسداً مقدساً ودماً كريماً يعطينا النصرة على الحياة التى حسب الجسد كى نحيا حسب الروح ، ويهبنا السر الإلهى قوة النصرة على الحياة التى ترتكن إلى لقمة العيش لنحيا الحياة المعتمدة على خبز الحياة النازل من السماء " لأنك أنت هو حياتنا كلنا وقيامتنا كلنا " .

والمؤمنون مطالبون بعد أن عاينوا النور الحقيقى وتشاركوا مع الروح القدس أن يخرجوا إلى العالم بهذا الزاد الإلهى مشحونين من كل غلبة ونصرة ليعيشوا شهوداً لذلك النور وشهوداً للروح القدس ، وبذلك يصبح زمن العالم زمن الكنيسة وزمن النصرة والفداء والخلاص .

وفى سر مسحة المرضى

ننال قوة القيامة أيضاً ، لأن الألم والمرض فى المسيحية لا يرفع وإنما يتحول إلى انتصار ، إذا كان الألم فشلاً وسبيلاً للظلمة واليأس والانعزال فإنه فى كنيسة الله يقود إلى النور والحياة التى فى المسيح .

إن المتألم والمريض شاهد للمسيح بالآلام عينها ، فالشهيد هو ذاك الذى يرى السماء مفتوحة وابن الإنسان قائم عن يمين الله ، والشهيد هو الذى لا يطلب من الله أن يبعد الألم المزعج لأن الله هو حياته فكل ما يأتى فى حياته إنما هو إلى الله ويصعد إلى ملء محبته .

إن تملك المسيح على قلوبنا بوصفه الحياة والفرح والسلام وإيماننا اليقينى بحضوره وشركتنا المقدسة معه ، إنما يعطى معنى لإعلان موت المسيح والاعتراف بقيامته " بموتك يارب نبشر وبقيامتك المقدسة نعترف " .

إن الفرح العظيم الذى شعر به الرسل حين رأوا الرب المقام ، والالتهاب الذى اختبروه على طريق عمواس إنما كان لأنهم رأوا الرب غالباً ، ولأنه أرسلهم ليعلنوا للعالم لا حقيقة القيامة فحسب وإنما ليكرزوا بالتوبة وغفران الخطايا والحياة الأبدية ، وقد أعلنوا ما اختبروه إنه فى المسيح قد بدأت الحياة الجديدة وأنه هو الحياة الأبدية وهو القيامة وهو الفرح وهو النصرة لكل إنسان آت إلى العالم .

" شكراً لله الذى يقودنا فى موكب نصرته فى المسيح كل حين ويظهر بنا رائحة معرفته فى كل مكان " (٢كو ٢ : ٢٤) ، " وشكراً لله الذى مات لأجل الجميع

لكى يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام " (٢كو ٥ : ١٥) .

تحقيق القيامة فى الحياة العملية

فى الدورة اليومية

فى كل صباح نصلى إلى الرب أن يشرق علينا بأنوار قيامته ويبدد كل ظلمة داخلية كما بدد الليل بنور الصباح ، ونقول له " عندما دخل إلينا وقت الصباح أيها المسيح إلهنا النور الحقيقى فلتشرق فينا الحواس المضيئة والأفكار النورانية ولا تغطينا ظلمة الآلام " ، لتعطنا أفكاراً نيرة وحواساً مضيئة لنحيا فى النور ونلبس أسلحة النور لأننا أبناء نور وأبناء قيامة .

وفى نهاية اليوم نتضرع إليه أن يسامحنا عن كل ضعف ويلاشى كل فعل للإنسان العتيق الفاسد وينعم علينا بليلة سالمة ونوم طاهر وينهضنا من ظلمة الخطية القاتلة للنفس ويجعلنا أهلاً أن نكون مستقيمين فى عمل الخير لنستحق سماع الصوت المملوء فرحاً القائل تعالوا إلى يا مباركى أبى رثوا الملك المُعد لكم من قبل إنشاء العالم .

وبين كل بداية وكل نهاية لكل يوم فى حياتنا نصلى أن تظل قوة القيامة عاملة فى القلب رافعة حياتنا فوق كل ضعف أو وجع أو حزن رديء لنحيا حسب إنجيل ربنا يسوع المسيح .

فى الدورة الأسبوعية

وفى عشية كل أحد نعد أنفسنا للعيد الأسبوعى ، نسرع للصلاة فى الكنيسة ونحضر التسبحة ونتعزى باجتماع الكنيسة المسائى ثم ننهض مبكرين لنتقدم للأسرار الإلهية ونعيد عيد الراحة والنصرة ونكرسه يوماً من أجل الساقطين والمأسورين والحزانى كى الرب الإله يعطى دهن فرح عوضاً عن الروح اليائسة ،

وهكذا نمتلئ موجة فرح وعزاء تغطينا طيلة الأسبوع حتى تدور الدورة لنبدأ أسبوعاً جديداً .

فى الدورة السنوية

فى نهاية الصوم الأربعينى بعد أن نقطع مع الكنيسة رحلتها الطويلة الهادفة نستعد كى نشترك مع المسيح فى آلامه وموته وقيامته نتفرغ للصلاة ونعكف على الصمت والتأمل والإنصات القلبى لكل ما يعمله الرب وكل ما يقوله فى أسبوعه المملوء مجداً وفى يوم صلبوته تنطرح نفوسنا فى انسحاق فى صلوات ممتدة يمتزج فيها الحزن مع التعزية متوسلين أن ينسكب علينا من الجلجثة دماً وماءاً غفراناً لخطايانا وتطهيراً لحياتنا .

ويوم الفصح نختبر مع الرب قوة الزلزلة ويفتح المخلص الأبواب الدهرية ويدحرج أحجار الخطايا من فوق قلوبنا وننهض جميعاً فى فرح وعز ومجد مرنمين هللويا قام حقاً قام رئيس السلام .

القيامة وحياة البهجة

إذا كان الإنسان مدعواً كيانياً إلى حياة الفرح والبهجة ، وإذا كان الحزن والسأم والملل والقلق والعزلة والفراغ والتمزع قد دخل إلى العالم كلاحق للخطية ، فإن قيامة الرب يسوع من بين الأموات أعادت للمؤمنين بهجته وفرحته بعد أن كسر الرب شوكة الموت وداس الموت بالموت وسحق الشيطان ومنح الكنيسة نعمة الخلاص ، " رد لى بهجة خلاصك ، رددت نوحى إلى فرح ، حللت مسحى ومنطقتنى سروراً " .. فالإنسان الطبيعى إزاء مرارة الحياة فى الأرض الملعونة إما أن يحزن ويكتئب وإما أن يضحك ويتفكه ويتهكم ، والهزل والاستهتار عند الإنسان الطبيعى مرتبط بمحن الحياة ، فهو محاولة بشرية لرفع همومها وتوهم نحو تهوين أعباء الحاضر وسعى فاشل نحو العمل على رفع المعنويات ، فى هذا يقول

برجسون " إن فى الضحك ضرب من المرارة تكشف عما فى الطبيعة البشرية من شر وسوء نية " .

وهذا هو نفس ما قاله الرب يسوع فى موعظته على الجبل " ويل لكم أيها الضاحكون الآن لأنكم ستحزنون وتبكون " (لو ٦ : ٥) .

فكل الشباب السطحى النظرة يظن أن الهزل هو البهجة والمسرة ولكن المسيح إلهنا أعطانا سر البهجة الحقيقية عندما قال " ولكنى سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم " (يو ١٦ : ٢٢) .

الفرح مرتبط بالصليب ، مرتبط بالتجرد وإخلاء المشيئة وطاعة الحق ، والحزن مرتبط بالخطيئة وحب القنية والسلوك حسب الشهوة ، كل القديسين الذين ساروا على درب الرب أخلوا ذواتهم فعاشوا فرحين وأطاعوا الوصية فباتوا مرنمين مهللين ، وتمسكوا بالحق فى صلابة فاستشهدوا مكللين وانفتحت أبواب السماوات لتستقبلهم جوقات الملائكة منتصرين .

تهللى أيتها العذراء مريم أم الفرح لأن ابنك بالحقيقة يسوع قد قام ، ورتلوا أيها الشعوب لصوت الفرح لأن ملك المجد يسوع المسيح قد قام ، وأما أنتم يا صفوف السمائيين فلترتلوا لإلهنا بنغمات التسبيح وابتهجوا معنا اليوم فرحين بقيامة السيد المسيح .

إن الفرح الإلهي هو القوة المحولة العالم إلى جدة الحياة وانتظار المجئ الثانى " فرحين فى الرجاء " إن العالم الحديث قد وضع الفرح ضمن التهريج والهزل والارتخاء وجعل الأعياد لا علاقة لها بالجدية مع أنه فى العالم القديم وفى إسرائيل لم يكن العيد شيئاً عارضاً أو إضافياً بل كان وسيلة لإضفاء المعنى على حياة العالم بغية تحريره من التعاقب الحيوانى للعمل والراحة .

أى أن الأعياد لم تكن مجرد فسحة فى حياة العمل الشاقة التى لامعنى لها بل كانت تبريراً لهذا العمل أو بالحرى تحولها السرى إلى فرح وبالتالى إلى حرية .

لقد أعطت القيامة مضموناً جديداً للأعياد والأفراح إذ لم تهمل الألم في الحياة بل صعدته إلى صليب المسيح وجعلته قسمة من قسمات الذبيح الحبيب وفي هذا يعزينا بطرس الرسول بقوله " كما اشتركتم في آلام المسيح افرحوا لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضاً مبتهجين " (١بط ١: ١٣) .

لا يفرح مع المسيح من دفن نفسه في قبر الخطية حتى مات ، أو من دفن نفسه في الحزن المرير ، والحزن ناتج عن دوران المرء حول نفسه ، لأن من يحزن لا يرى إلا نفسه أما من يدور حول الرب فهو يمارس مع الكنيسة بهجتها في دورانها حول أيقونة القيامة طيلة الخمسين المقدسة ، " تملأني يارب فرحاً مع وجهك والبهجة في يمينك إلى التمام مفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنم وفرح أبدى على رؤوسهم ، ابتهاج وفرح يدركانهم ويهرب الحزن والتنهد " (أش ٣٥ : ١٠) .

أيها الشباب يا من تسعون نحو الحياة المبهجة وتتوقون إلى حياة لا حزن فيها ولا وجع ، هذه هي الحياة الجديدة التي عاشها القديسون عبر كل العصور والأجيال حياة ارتفعت بيمين الله القوية فوق كل تيارات العالم ونسجت من الألم والضيق والعوز والمرض والمشقات إكليلاً هو إكليل البر ، "جاهدت الجهاد الحسن وأكملت السعي حفظت الإيمان ، أخيراً وضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الديان العادل وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً " (٢ تي ٤ : ٨) .

القيامة وحياة الرجاء بالدهر الآتي

لقد أعطتنا القيامة برهاناً على حقيقة الدهر الآتي ، فقد قام الرب من بين الأموات وصار باكورة الراقدين ، فقيامة المسيح هي عربون قيامتنا والإفصاح العملي عن الخلود والحياة ، وفي هذا يقول الرسول بولس " أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل " (٢تي : ١ : ١٠) ، فقيامة الرب أنارت حقيقة الخلود كما أوضحت المعنى الحقيقي للحياة ، لقد أكدت أن الخلود والحياة إنما يكمن

فى الإيمان بشخصه المبارك كما قال رب المجد " من يؤمن بالابن له حياة أبدية " وقول يوحنا الرسول " من له الابن فله الحياة ومن ليس له الابن فليست له الحياة " (١ يو ٥ : ١٢) .

لقد أفصحت القيامة أن الحياة ليست هى الحياة الجسدية التى نحياها لأن هذه إنما مظهر وظل للجوهر ، أما الحياة الحقيقية فهى التى عند الآب ، وأظهرت لنا فى شخص الابن يسوع المسيح . لقد تحقق بالقيامة قول المخلص عند قبر لعازر " أنا هو القيامة والحياة من آمن بى ولو مات فسيحيا وكل من كان حيا وآمن بى فلن يموت إلى الأبد " (يو ١١ : ٢٥) .

وإذا كان كثير من الفلاسفة يظنون أن الحياة الأبدية وهم من الأوهام فكيف يفسرون القبر الفارغ المؤكد تاريخياً فى العالم كله ، وكيف يفسرون إقامة لعازر وابن الأرملة وابنة يايرس وكيف يفسرون معجزات القيامة التى أجراها الرسولان بطرس وبولس وغيرهما ؟ .. والآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين وارتفعت سيرة المؤمنين بالقيامة إلى فوق على حد تعبير المغبوط بولس " أما نحن فسيرتنا هى فى السموات التى منها ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع الذى يغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده " (فى ٣ : ٢٠ - ٢١) .

إن المسيحى الحقيقى يوقن أن الرب يسوع سوف يقيم جسده المائت عند مجيئه الثانى المخوف المملوء مجداً حسب الوعد الأمين " إن كان روح الذى أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذى أقام المسيح من الأموات سيحى أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم " (رو ٨ : ١١) .

إن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات فى المسيح سيقومون أولاً ، وإن ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعا معهم فى السحب لملاقاة الرب فى الهواء وهكذا نكون كل حين مع الرب (تس٤ : ١٦ ، ١٧) ، ولقد أوضح الرسول بولس أن طبيعة أجسادنا فى القيامة

ستكون على صورة جسد المسيح الممجد بقوله " إننا كما لبسنا صورة جسد آدم الترابي هكذا سنلبس صورة جسد الرب يسوع السماوى ، متى لبس هذا الفاسد عدم فساد ولبس هذا المائت عدم موت فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى غلبة ، " أين شوكتك يا موت أين غلبتك يا هاوية " (١ كو ١٥ : ٥٢ - ٥٥) .

منتظرين سرعة مجيئه

فإن كنا نؤمن أنه سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده ، وإن كنا نؤمن أنه إذا أظهر سنكون مثله لأننا سنراه كما هو فنحن نعيش فى لهفة الانتظار طالبين سرعة مجيئه .

لقد احتفظت الكنيسة فى تسبحة وصلوات نصف الليل بأمثلة الاستعداد للمجيء الثانى وأعطت لنا نموذج العذارى الحكيمات اللواتى ملأن قلوبهن بزيت البهجة والخلاص وقدمت نموذج المرأة الخاطئة التى أحبت كثيراً وغسلت بدموعها قدمى المخلص ، وختمت بنموذج العبيد الأمناء الساهرين المملوئين خدمة ونشاطاً وغيرة واستثماراً للوزنات ، طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم هكذا **فالترجمة العملية لانتظار وطلب سرعة مجيء الرب هى :**

١ - التوبة الدائمة .

٢ - السهر الروحى وملء القلب بزيت البهجة .

٣ - الخدمة الحية والكرازة المثمرة .

وعندما تؤدى الكنيسة فى كل المسكونة شهادتها وتتمم الرسالة الموضوعة عليها وتدخل جميع الأعضاء المختارة إلى حظيرة الإيمان فإن الرب سوف ينهى الزمان ويأتى فى مجد أبيه ليختطف الكنيسة ويدخلها كنيسة الأبكار .

فى كل مرة ترتفع قلوبنا إلى شخص يسوع القائم من بين الأموات تلتهب حياتنا بفرح الرجاء وانتظار المجيء الثانى حيث مسكن الله مع الناس ، سيسكن معنا ونحن نكون له شعباً وسيمسح الله كل دمعة من عيوننا ، والموت لا يكون فيما

بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت ، سيضع الرب حسب وعده كل شئ جديداً ، وستكون أورشليم الجديدة كعروس نازلة من السماء من عند الله مهيأة مزينة لكى نسكن فيها مع الرب وندخل إلى عشاء عرس الخروف مرنمين هللويا ، الخلاص والمجد والكرامة والقدرة للرب إلهنا ، مستحق يارب أن تأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة .

مستحق أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة فسنملك على الأرض ، نعم يارب حقق وعدك ، فنحن فى لهفة ، " ها أنا آتى سريعاً وأجرتى معى لأجازى كل واحد ، كما يكون عمله " (رؤ ٢٢ : ١٢) .

نعم تعال أيها الرب يسوع يا سابى النفوس .. تعال سريعاً فالقلب فى انتظار لتأخذ العروس .

لصعود الإلهي

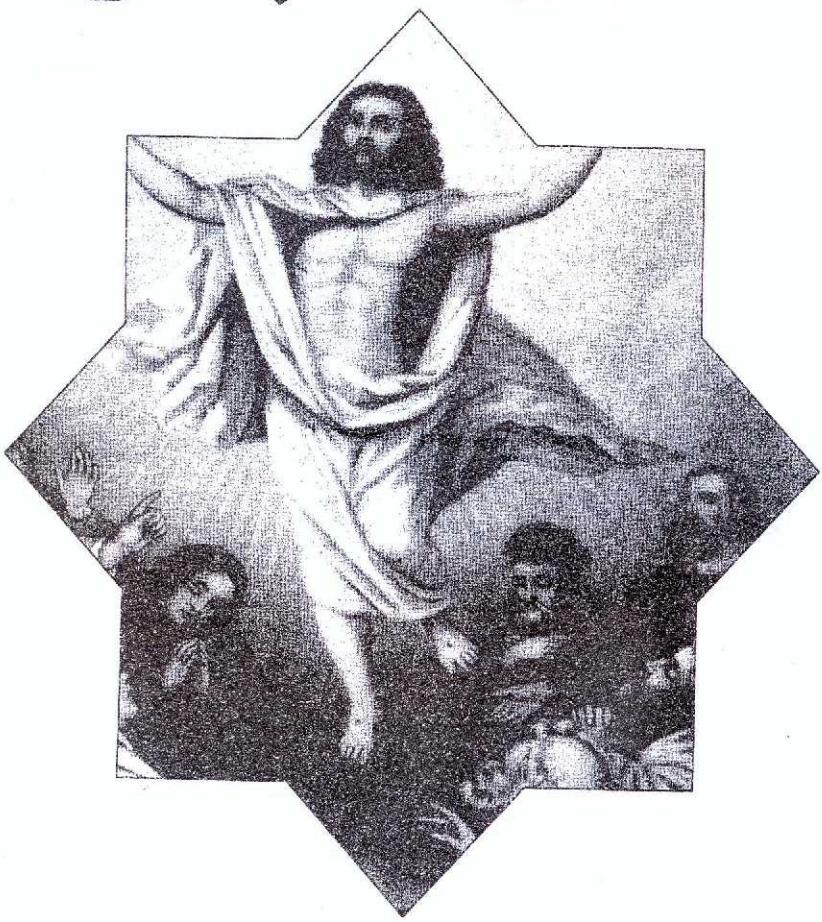

فى الصعود

ما ذكره سفر الأعمال عن الصعود المقدس

" وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الآب الذى سمعتموه منى . لأن يوحنا عمد بالماء وأما أنتم فستتعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير . أما هم المجتمعون فسألوه قائلين يارب هل فى هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل ، فقال لهم ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى جعلها الآب فى سلطانه . لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم ، وتكونون لى شهوداً فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض .

ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون ، وأخذته سحابة عن أعينهم . وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق إذا رجلان قد وقفا بهم بلباس أبيض . وقالا : أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء إن يسوع هذا الذى ارتفع عنكم إلى السماء سيأتى هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء . حينئذ رجعوا إلى أورشليم من الجبل الذى يدعى جبل الزيتون الذى هو بالقرب من أورشليم على سفر سبت " (أع١ : ٤ ــ ١٢) .

إلى بيت عنيا

يقول معلمنا لوقا إن الرب يسوع أخرجهم إلى بيت عنيا (لو ٢٤ : ٥٠) ، خارجاً عن أورشليم تلك المدينة الصاخبة التى فيها يصعب الاختبار الروحى العالى وإذا كانت قرية بيت عنيا تعنى فى المفهوم اللغوى بيت النور فلابد إذاً أن يتوافق الحدث مع المكان ، وتتناغم الصورة البهية مع الإطار المكانى المُعد لها ...

ونحن لا نستطيع أن نصعد بأفكارنا إلى فوق طالما نعيش حياة الصخب والضجيج .. يلزمنا أن نخرج معه إلى مكان الهدوء . مكان الاختبارات العميقة حتى يمكننا أن نتلامس مع حقيقة الصعود الإلهى :

وهناك على جبل الزيتون الذى طالما أخذ الرب تلاميذه إليه يعلمهم ويصلى بهم اختار الرب أن يكون هناك اللقاء الأخير مع تلاميذه فى حياته التى عاشها على الأرض .

وليس بغريب على الرب أن يأخذ تلاميذه إلى مكان خلاء ، ففى حياته شهدت الوحدة وأماكن الخلاء مواقف كثيرة لشخصه المبارك . ففيها كان يصلى ، وفيها اشبع الجموع ، وفيها تجلى بمجده أمام ثلاث من تلاميذه ، وعلى إحدى الجبال الهادئة القريبة من أورشليم صعد إلى السماء بمجد عظيم .

وإذا كان آدم قد اختبأ وراء الأشجار فى بستان عدن ، فإن آدم الثانى قد ظهر أمام تلاميذه صاعداً إلى الآب بعد أن أصلح ما أفسده آدم ، وبعد ما أعطى ثوب النعمة للمؤمنين بدلاً من أوراق التين المزيفة التى خاطها آدم فى الجنة لنفسه ..

فصعود المسيح على جبل الزيتون هو الصورة المضادة لهبوط آدم فى جنة عدن .. وانتصار المسيح وغلبته وارتفاعه إلى المجد هو العمل الإلهى المقابل للانحدار الخطير الذى سقط فيه الإنسان حتى أعماق الهاوية .

وهذا هو ما عمله الرب يسوع على جبل الزيتون .. أخذ طبيعتنا الساقطة بعد أن افتداها ومجدّها بقوة القيامة وأصعدها معه وفيه إلى الآب السماوى ليكون الإنسان حاضراً فى الأقداس الإلهية كل حين .. ذلك بديلاً للتيه الذى سقط فيه آدم عندما فقد شركته فى دوامة العصيان والتمرد والتأله الكاذب ..

وهذا هو ما تنبأ عنه زكريا النبى فى القديم " إن قدمى الرب تقف فى ذلك اليوم على جبل الزيتون الذى قدام أورشليم من الشرق " (زك ١٤ : ٤) .

يارب يا مَن أقمت لعازر فى بيت عنيا ، وأخذت تلاميذك إلى جبل الزيتون لتريهم حقيقة الأبدية وتؤكد لهم أنك ابن السماء ، وكما نزلت من فوق من المجد السماوى لابد أن تعود إلى هناك فوّجه عيناى دائما إلى هذه القمم السماوية وارفع

اشتياقاتى إلى فوق لأنه مكتوب " إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله " (كو ٣ : ١) .

رفع يديه وباركهم

هذا هو القصد الذى من أجله أتيت أيها الرب أن يكون الإنسان تحت يديك . وهذا ليس تسلطاً منك وإنما نعمة ورحمة .. فالخضوع لذراعك الرفيعة هو ملء الحرية الحقيقية والخروج عن دائرة طاعتك هو الموت الحقيقى .. عندما ترفع يديك فإن البركة كلها تحل على الساجدين عند قدميك .. لقد كنت تفعل هذا فى الجنة عندما كان آدم يعيش فى كنف محبتك متمتعاً ببركات طاعتك المقدسة .. ولكنه لما سقط لم يصبح تحت دائرة يديك بل عاش تحت سلطان رئيس هذا العالم ، ومن محبتك نزلت لكى تعيده مرة أخرى إلى دائرة حبك .. آه يارب لما ترك الإنسان بيتك السماوى عاش فى البلبة والتشتت والتمزع والعزلة والفراغ الداخلى ، ولم يعد الإنسان قادراً أن يحتمل أخاه بل عاش منقسماً متخاصماً لا تجمعه وحدة ولا تربطه ألفة .. ولكن شكراً لك يا سيدى فقد جمعت فى شخصك الجميع ووحدت المتنافرين وبك تحققت طلبتك أمام الآب أن نكون جميعاً واحداً كما إنك أنت والآب واحد ، وهاهم التلاميذ كلهم سجود تحت يديك الآن فى روح واحد وقلب واحد واتجاه واحد ليس بينهم من يريد أن يترك حظيرة الراعى الصالح الأمين ..

أتوسل إليك يارب أن ترفع يديك الطاهرتين وتبارك شعبك المسيحى وتوحده، وكلما رفع كاهنك فى الكنيسة يديه على مثالك ليعطى للشعب الحل من الخطيئة . وكلما انحنت هامات المؤمنين تحت يديه أثق يارب أنك بشخصك تجمعنا كلنا وتوحدنا كلنا .. يا مَن باركت فى ذاك الزمان ، الآن أيضاً بارك ..

وهذه هى البركة الحقيقية أن نتمتع بمواهب روحك القدوس ، وأن تكون لنا إلهاً ونحن نكون لك شعباً . فيك يارب تثبيت المواعيد ، وفيك تحققت كل بركة وعدت بها أبينا إبراهيم . وبعد نعمتك الغامرة وبركتك السماوية لا تحتاج لأمر

أرضى لأنك باركتنا بكل بركة روحية فى السماويات .. فبركة النسل الجسدى رفعتها إلى بركة الولادة الثانية ، وبركة الزيت والدقيق سموت بها إلى مواهب الروح المعزى ، والأرض التى تفيض لبناً وعسلاً هى الكنيسة التى تعطينا من ملئك لكى نمتلئ إلى كل ملء الله ..

ثم ارتفع إلى السماء

يقول معلمنا مرقس الإنجيلى : " ثم إن الرب بعد ما كلمهم ارتفع إلى السماء " (مر١٦ : ١٩) ، ونحن نقر بهذا فى قانون الإيمان قائلين : " تألم وقبر وقام من بين الأموات .. وصعد إلى السموات وجلس عن يمين أبيه " .. كان لابد للرب أن يصعد إلى السماء لأنه جاء من السماء .. " ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء " (يو ٣ : ١٣) ..

حقيقة إن الرب بلاهوته يملأ السماء والأرض ، ولم تخل ذرة من الكون من وجوده فهو يملأ الكل . ولكن الرب أصعد باكورتنا إلى السماء كما يقول القداس الأغريغورى " قتلت خطيتى بقبرك أصعدت باكورتى إلى السماء أظهرت لى إعلان مجيئك هذا الذى تأتى فيه لتدين الأحياء والأموات وتعطى كل واحد كأعماله ..

وقديماً نقل أخنوخ حياً ورفع إيليا فى مركبة نارية لحفظهما فى أماكن علوية .. ولكن ارتفاع الرب يسوع لم يكن على هذا المستوى . فالرب يسوع صعد بقوته الذاتية تماماً كما قام بنفس هذه القوة .. قوة الروح القدس الكائن فيه والمنبثق من الآب ومستقر فى أقنومه .. أما أخنوخ وإيليا فقد احتاجا إلى قوة من الرب لكى يرفعهما .. وسوف يعودان إلى الأرض ليموتا ثم يقوما .. هذا أمر يخالف تماماً ما حصل مع الرب يسوع فإنه قد صعد حياً ولن يذوق الموت إلى الأبد : " أنا هو الأول والآخر والحى وكنت ميتاً وها أنا حى إلى أبد الآبدين آمين . ولى مفاتيح الهاوية والموت " (رؤ ١ : ١٨) ، وصعود المسيح له المجد بجسده الطاهر الممجد هو كمال التدبير الإلهى إذ أنه بعد أن افتدى آدم بالصليب دبر أن يأخذ إلى السماء

الجسد الذى احتمل آلام الصليب محتفظاً فيه بآثار الجراح والطعنة وأكليل الشوك لكى يكون رئيس كهنة رحيماً يرثى لضعفاتنا وقد رآه يوحنا الرائى كخروف مذبوح إذ يقول : " ربوات ربوات وألوف ألوف قائلين بصوت عظيم " مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة " (رؤ ٥ : ١٢) .

وإذا كانت الملائكة قد نزلت من السماء لتعلن لنا ميلاد ابن الله الكلمة كطفل وليد فى مذود بيت لحم ، فإن جوقة الملائكة ورؤساء الملائكة الملتحفين بالمجد قد جاءوا أيضاً ليسجدوا للرب الذى يركب على الشاروبيم والذى يطير على أجنحة الرياح ، والذى اجتاز السموات ليجلس عن يمين الله غالباً ممجداً إلى الأبد ..

ونحن نستطيع بعد صعود الرب فى السحاب أن نقدم الشكر للعزة الإلهية لأن الرسول بولس أعلمنا أنه عند مجيئه الثانى سنخطف جميعاً فى السحب لملاقاة الرب فى الهواء (١ تس ٤ : ١٧) . لقد أوصانا أن نكون مستعدين لهذه الساعة حاملين فى آنيتنا زيتاً مع العذارى الحكيمات ، وأن نسهر مع العبيد الأمناء ، وأن نثمر لحساب مجده مع أصحاب الوزنات الخمس .

وجلس عن يمين الآب

لا يقصد بالجلوس هنا الجلوس الجسمانى لأن الآب ليس له يمين ويسار ، والسماء ليست لها زوايا وأبعاد وحدود .. ولكن المقصود بيمين الآب أن الابن بعد أن أكمل التدبير وأتم الفداء أخذ ما له من قدرة وسلطان ومجد وعظمة لائقة بأقنومه القدوس المساوى لأقنوم الآب السماوى .. وهذا هو ما عناه الرسول بولس بقوله " الذى وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس فى يمين العظمة فى الأعالى " (عب ١ : ٣) ..

وبصعود الرب إلى السماء وجلوسه عن يمين الآب قد تحققت النبوءة التى قالها داود فى القديم : " قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك " (مز ١١٠ : ١) .

وقد أوضح الرسول بولس فى رسالته إلى العبرانيين مركز المسيح بعد صعوده وكيف أنه قد صار أعظم من الملائكة بقوله : " لمن من الملائكة قال قط اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك " (عب ١ : ١٣) ، وبقوله : " جلس فى يمين العظمة فى الأعالى . صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم " (عب ١ : ٤) ، وهذا الذى وضع قليلاً عن الملائكة بتجسده نراه بعد موته وقيامته وصعوده مكللاً بالمجد والكرامة (عب ٢ : ٩) .

وكلما رفعنا أعيننا نحو السماء إلى المجد حيث أنت جالس يارب عن يمين العظمة نتذكر بهاءك ومجدك ونقول مع عبدك أشعياء ويل لنا فنحن نجسو الشفتين . مَن يستطيع يارب أن يقترب من مجدك ؟!

فى القديم لم يكن يقدر أحد أن يقترب من خيمة الاجتماع عندما تكلم الرب مع هرون فى الشكينة ، وفى القديم لم يستطع شعب الله أن يقترب من الجبل عندما حل الله عليه ليكلم موسى .. وأما كليم الله فقد امتلأ بهاء حتى أنه وضع برقعاً على وجهه من شدة الضياء .

إذا كان هذا مجدك على الأرض فكم يكون مجدك فى السماء ؟! ويذهلنى للغاية أن الذى التحف بالمجد والبهاء هو هو نفسه الذى نزل إلى أعماق الهاوية وقضى وقتاً فى الجحيم ليسبى النفوس التى كانت فى أسر إبليس .. هذا أمر يعزينى كثيراً أن مجد الله ليس تعالياً وتشامخاً وأن نزول الله ليس احتقاراً وابتذالاً واضمحلالاً . عجيب أنت يارب فى مجدك !! فى عظمة رفعتك وفى مجد اتضاعك !!

سيأتى هكذا بمجد عظيم

يقول معلمنا لوقا إن الرب عندما ارتفع أخذته سحابة عن أعين تلاميذه وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق إذا رجلان قد وقفا بهم بلباس أبيض (أع١ : ٩ - ١٠) ، هذا أمر يذكرنى بالملاكين اللذين كانا عند القبر الفارغ واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعاً (يو ٢٠: ١١ -١٢) ويذكرنا بالملاك والجوقة التى وقفت بالرعاة يوم ميلاد الرب تبشرهم بالمجد الذى فى الأعالى والسلام والمسرة اللتين صارتا على الأرض .. وكل هذا يذكرنا أيضاً بصورة الملائكة الموضوعة على حجاب قدس الأقداس فى خيمة الاجتماع وأجنحة الكاروبيم التي فوق غطاء التابوت . فحيثما يوجد السيد يوجد خدامه معه أيضاً والملائكة هم جميعاً أرواح خادمة . تقدم السجود اللائق للرب وتعلن البشرى المفرحة للناس .

وكلّ منا إذا التصق بحياة التسبيح يصبح هكذا ملاكاً (انجيلوس) ، يمتلئ من روح السجود لله ، كما يمتلئ أيضاً من روح الكرازة والبشارة والخدمة .

قال الملاكان للتلاميذ : " أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء . إن يسوع هذا الذى ارتفع عنكم إلى السماء سيأتى هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء " (أع ١ : ١١) .

إن حقيقة المجيء الثانى المخوف المملوء مجداً أمر تكلم عنه الرب مراراً . فهو الذى قال لتلاميذه : " وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتى أيضاً وآخذكم إلىّ " (يو ١٤ : ٣) ..

وهو الذى قال أيضاً " ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير " (مت ٢٤ : ٣٠) .

وهو الذى قال " ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسى مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء " (مت ٢٥ : ٣١) .

ولكن كلمات الملاك جاءت تأكيداً لما أخبروا به ، ودليلاً واقعياً عملياً لأحاديث النعمة التى سمعوها . وهكذا عاشت كنيسة الرسل طيلة العصور فرحة فى الرجاء ، وما من رجاء إلا بالمجيء الثانى .

لقد كان المسيحيون قديماً يحيون بعضهم بعض عند الانصراف قائلين : " الرب آت " ، هذه الحقيقة كانت عزاؤهم فى الضيق ، وفرحهم فى التجارب ، وطعامهم فى طريق الغربة ، ومرساة نفوسهم فى برية موحشة ، قفر بلا ماء .

ويظل المؤمنون من جيل إلى جيل يجددون عهد الانتظار بلهفة وشغف فى كل اجتماع للتناول من القربان المقدس ، إذ يقول الكاهن على لسان الرب " فى كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تبشرون بموتى وتعترفون بقيامتى وتذكروننى إلى أن أجئ " .

فيرد الشعب قائلاً : " حقاً حقاً بموتك يارب نبشر ، وبقيامتك المقدسة وصعودك إلى السموات نعترف نسبحك نباركك نشكرك يارب ونتضرع إليك يا إلهنا " وقد رتبت الكنيسة أن يقف المؤمنون مصلين تجاه المشرق لأن الملاك قال " سيأتى هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء " ، وكما يشير المشرق إلى الضياء والنور فإن الكنيسة تربى أبناءها على العبادة فى النور ، لأننا جميعاً أبناء نور وأبناء قيامة .

وعاد التلاميذ بفرح عظيم

عاد التلاميذ إلى أورشليم لأن الرب أوصاهم ألا يبرحوها حتى يلبسوا قوة من الأعالى ، عادوا إلى العلية .. بيت يوحنا (مرقس) ، المحبب إليهم جميعاً .. ذاك المكان الذى يذكرهم بليلة العشاء السرى .. هناك غسل الرب أقدامهم ، وهناك أعطاهم جسده ودمه الأقدسين لأول مرة فى التاريخ .. وهناك اجتمعوا مراراً وهناك حضر الرب بعد قيامته والأبواب مغلقة وأراهم يديه وجنبه .. وسيشهد المكان

المقدس هذا بعد فترة قليلة حلول الروح القدس على التلاميذ وتأسيس كنيسة الرب الشاهدة له ..

لقد عاد التلاميذ بفرح عظيم لأنه مكتوب " الرب قد ملك فلتتهلل الأرض ولتفرح الجزائر الكثيرة ، سحاب وضباب حوله " (مز ٩٧ : ١) . عاد التلاميذ بفرح عظيم لأن الأسد دخل إلى عرينه والعريس إلى خدره . لقد ذهب الرب إلى السماء ليعد لنا مكاناً فكيف لا نفرح ونتهلل !! لقد وعد بفمه الطاهر قائلاً : " أنا أمضى لأعد لكم مكاناً .. آتى أيضاً وآخذكم إلىّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً " (يو ١٤ : ٣) .

" ما أعظم مساكنك يارب الجنود . تشتاق وتذوب نفسى للدخول فى ديار الرب " . إن بولس عندما شاهد شيئاً من مجدها قال عنها ما لم تره عين وما لم تسمع به أذن وما لم يخطر على قلب بشر ما أعده الله لمحبى اسمه القدوس . وهو أيضاً إذ تلامس مع هذا المجد العتيد قال " فإنى أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا " (رو ٨ : ١٨) .

لقد انتصر الرب ودخل مجده فكيف لا نبتهج بفرح عظيم ؟ بالحقيقة يارب كرسيك إلى دهر الدهور ، قضيب الاستقامة هو قضيب ملكك ، لأنك أحببت البر وأبغضت الإثم .. من أجل هذا مسحك الله إلهك بزيت البهجة أفضل من رفقائك (مز ٤٥ : ٦ و ٧) . لقد عبر الرسول بولس عن المجد الذى ناله الرب بقيامته وصعوده إلى السماء ، والذى يستحقه لأجل كل ما عمله لنا من فداء وغفران وتبرير وخلاص بقوله : " واجلسه الآب عن يمينه فى السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ليس فى هذا الدهر فقط بل فى المستقبل أيضاً وأخضع كل شئ تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شئ للكنيسة " ..

هبنا يارب أن نعاين قبساً من مجدك السماوى ، لأننا إذا أدركنا عظمتك الحقيقية احتقرنا كل أباطيل العالم ورفضنا كل مجد أرضى .

هبنا يا سيد يا مَن صرت رأساً وملكاً وسيداً على كل رياسة وسلطان أن أسعى فى غيرة وحرارة كى أكسب النفوس لكنيستك دائرة مجدك وملكوتك على الأرض وأفرح عندما أجد كثيرين يخضعون لمشيئتك وأعطنى أن أصلى من أجل الذين لم يخضعوا حتى الآن ، وإن طلبت مع الكثيرين لأجلهم فاسمح وتوبهم وضمهم إليك كى تكون الأرض كلها للرب ولمسيحه .

رئيس كهنة إلى الأبد

يقول الرسول بولس " وأما رأس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس فى يمين عرش العظمة فى السموات . خادماً للأقداس والمسكن الحقيقى الذى نصبه الرب لا إنسان ، لأن كل رئيس كهنة يقام لكى يقدم قرابين وذبائح . فمن ثم يلزم أن يكون لهذا أيضاً شئ يقدمه . فإنه لو كان على الأرض لما كان كاهناً إذ يوجد الكهنة الذين يقدمون قرابين حسب الناموس . الذين يخدمون شبه السمويات وظلها .. ولكنه الآن قد حصل على خدمة أفضل بمقدار ما هو وسيط أيضاً لعهد أعظم قد تثبت على مواعيد أفضل " (عب ٨ : ١ ــ ٦) .

ومن هذا النص الإلهى نتبين الحقائق الآتية :

١ــ أن الرب يسوع كانت له وظيفة كهنوتية ..

٢ــ أن هذه الوظيفة يمارسها الرب بعد جلوسه عن يمين الآب خادماً للأقداس والمسكن الحقيقى السماوى .

٣ــ أن كهنوته تثبت عندما صعد إلى السماء لأنه لو كان على الأرض لما كان كاهناً إذ يوجد كهنة من سبط لاوى يقدمون ذبائح وقرابين حسب شريعة العهد القديم .

٤ــ أن ذبيحته وخدمته أفضل بما لا يقاس إذاً ما قورنت بذبيحة العهد القديم ..

وقد شرح الرسول بولس الملهم بالروح القدس كافة هذه العناصر شرحاً تفصيلياً رائعاً فى رسالته إلى العبرانيين التى يشتهى أن يطالعها ويتأملها بدقة

كل مسيحي لأن فيها كنوز مذخرة وتأملات روحية عميقة مذهلة .. وقد أوضح لنا الرسول أن الرب يسوع لم يأخذ هذه الوظيفة الكهنوتية من نفسه ولم يمجد نفسه ليصير رئيس كهنة بل إن الآب نفسه هو الذى أعطاه إياها ، وهو الذى أقسم أن يكون المسيح كاهناً إلى الأبد على رتبة ملكي صادق . وفى هذا نرى رفعة مركز الرب كوسيط بين الله والإنسان (عب ٥ : ٤ ــ ٦) ، فهو ليس مجد إنسان مثل هرون وبنيه إنما جاء على رتبة أعلى بكثير من رتبة لاوى وهى رتبة ملكي صادق . وقد شرح الرسول بولس أن رتبة ملكي صادق أعلى من رتبة لاوى لأن ملكي صادق نفسه قابل إبراهيم عند رجوعه من كسرة الملوك فانحنى إبراهيم أمامه وباركه ملكي صادق وتقبل من إبراهيم العشور ورفع ذبيحة من خبز وخمر .. ومن ثم فإن ملكي صادق يعتبر أعظم من لاوى لأن لاوى كان فى صلب إبراهيم عندما انحنى أمام ملكي صادق وقدم له العشور .. ومن أجل هذا جاء المسيح كاهناً على رتبة ملكي صادق وليس على رتبة لاوى . إن عظمة كهنوت المسيح تتمثل أيضاً لا فى الرتبة فقط بل فى نوع الذبيحة عينها .. ففى القديم كانت الذبائح تقدم من التيوس والعجول وأشباهها وهذه لا تقدس إلا إلى طهارة الجسد أما دم المسيح فبروح أزلى يطهر ضمائرنا من أعمال ميتة ليخدم الله الحى .. إن الرب يسوع لم يقدم ذبيحة حيوانية لفداء الإنسان بل قدم ذبيحة نفسه . وكل قطرة من قطرات الدم الغالى الثمين التى أهرقت على الصليب لهى أغلى ثمناً أمام الله من العالم كله ، وأطهر من جميع طغمات الملائكة ، وقادرة على تقديس الكون كله ..

فخدمة المسيح الكهنوتية لم تكن فى خيمة شهادة أو فى هيكل أرضى بل كانت فى المسكن الأعظم السماوى فى أقداس الآب السماوى ، ولم يكن المقصود منها تأدية طقوس وفروض أرضية ، بل قصد منها نوال الفداء الأبدى والخيرات العتيدة الروحية .. لأجل هذا يقول الرسول بولس : " أما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة

للخيرات العتيدة فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد أى الذى ليس من هذه الخليقة ، وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداء أبدياً " (عب ٩ : ١١ و ١٢) .

ولأجل قداسة الرب المطلقة فإنه ليس له اضطرار أن يقدم كل يوم مثل رؤساء كهنة العهد القديم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب لأنه فعل هذا مرة واحدة إذ قدم نفسه ، وبعدما قدم ذاته الإلهية الطاهرة عن خطايا العالم جلس إلى الأبد عن يمين الله (عب ١٠ : ١٢) .

وإذ صارت ذبيحة الرب الممجدة بعد قيامته من بين الأموات فوق كل زمان وكل مكان أمكن للكنيسة بالروح القدس أن تقدم جسد المسيح ودمه الحقيقيين كصورة مرئية للذبيحة الحقيقية القائمة فى العرش الإلهى التى لا يراها المؤمنون الآن وهم على الأرض بعيونهم الجسدية ..

وفى هذا يقول الكاهن عند استدعاء الروح القدس لتقديس القرابين : " ففيما نحن أيضاً نصنع ذكر آلامه المقدسة وقيامته من الأموات وصعوده إلى السموات وجلوسه عن يمينك أيها الآب وظهوره الثانى الآتى من السموات المخوف المملوء مجداً نقرب لك قرابينك من الذى لك على كل حال ومن أجل كل حال وفى كل حال " ..

ومعنى هذا أن الرب يسوع الكاهن الأعظم الذى يقف أمام الآب كشفيع عن المؤمنين لا يزال يمارس كهنوته ويقدم ذبيحته للمجاهدين فى شكل خبز وخمر لكى يتحدوا بجسده ودمه غفراناً لخطاياهم وحياة أبدية لكل مَن يتناول منهما . لأجل هذا نثق فى مقدار العمل العظيم الذى عمله الرب يسوع معنا عندما مات وقام وصعد إلى السماء .. إنه " يقدر أن يُخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم . لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات " (عب ٧ : ٢٥ ـ ٢٦) .

ومسئوليتنا الآن

+ أن نتمسك بالإقرار لأنه ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثى لضعفاتنا بل مجرب فى كل شئ مثلنا بلا خطية فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكى ننال رحمة ونجد عوناً فى حينه ..

+ ليكن لنا ثقة أيها الأخوة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرّسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أى جسده وكاهن عظيم على بيت الله .

+ لنتقدم بقلب صادق فى يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقى (عب ١٠ : ١٩ ــ ٢١) .

+ " غير ناظرين إلى الأشياء التى ترى بل التى لا ترى لأن التى ترى وقتية وأما التى لا ترى فأبدية . " (٢كو ٤ : ١٨) .. لأن سيرتنا الآن فى السموات التى منها ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شئ (فى ٣ : ٢٠) .

+ ولنسمع فى خشوع نصيحة الكنيسة المسطورة فى كتاب السنكسار عن عيد الصعود : " فأية تعزية وأى فرح حصل عليهما الجنس البشرى فى هذا اليوم الذى فيه سيدنا له المجد بعدما انتصر على العالم والشيطان والموت بسفك دمه على خشبة الصليب ، صعد إلى السموات ليعد لنا مكاناً ، فهل بعد هذا لا نتبعه ونعمل وصاياه كيف لا ونحن يجب أن نصعد معه بعقولنا رافضين كل أمل ورغبة فى الأمور الزمنية وتائقين نحو السماء متأملين فى نعيمها الدائم ، ومنعطفين بكل قلوبنا نحو البلوغ إلى ذلك الوطن السعيد حيث نرث ونملك ونتنعم هناك " .

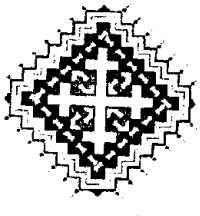

السماء الثانية

السماء الثانية

العذراء مريم أم النور

السلام لك

السلام لك .. نسألك أيتها القديسة الممتلئة مجداً العذراء كل حين والدة الإله أم المسيح أصعدى صلواتنا إلى ابنك الحبيب ليغفر لنا خطايانا .

السلام للتى ولدت لنا النور الحقيقى المسيح ألهنا أيتها العذراء القديسة . اسألى الرب عنا ليصنع رحمة مع نفوسنا ويغفر لنا خطايانا .

أيتها العذراء مريم والدة الإله القديسة الشفيعة الأمينة لجنس البشر اشفعى فينا أمام المسيح الذى ولدتيه لكى ينعم لنا بغفران خطايانا .

السلام لفخر جنسنا ولدت لنا عمانوئيل . نسألك اذكرينا أيتها الشفيعة المؤتمنة أمام ربنا يسوع المسيح ليغفر لنا خطايانا .

موجز سيرتها الطاهرة

هى ابنة يواقيم وحنة ، من سبط يهوذا من بيت داود الملك ، وكانت حنة عاقراً ، وكانت تصلى بلجاجة كى يرزقها الرب نسلاً ، وظهر لها ملاك الرب كما ظهر لزوجها يبشرهما باستجابة صلواتهما ورزقت حنة بمريم التى قدمتها إلى الهيكل بعد أن بلغت الثالثة من عمرها . ومات يواقيم ومريم فى سن السادسة بينما ماتت حنة وابنتها فى الثامنة ، وعاشت مريم حتى الثانية عشرة من عمرها فى الهيكل عابدة مصلية خادمة . وقد تدخل الرب بإعلان معجزى لكى يكون يوسف خطيب مريم ، وعاشت العذراء فى بيته فى الناصرة حيث جاءها الملاك جبرائيل يبشرها بأنها قد وجدت نعمة عند الرب وأنها ستحبل وتلد ابناً تسميه يسوع ، هذا يكون عظيماً وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية (لو١ : ٣٠ - ٣٣) ، وقد أطاعت العذراء صوت السماء قائلة " هوذا أنا أمة الرب ليكن لى كقولك " ، ومنذ هذه اللحظة حل

الأقنوم الثانى فى أحشائها التى طهرها الأقنوم الثالث الروح القدس . فقامت مريم فى تلك الأيام وذهبت مسرعة إلى الجبال إلى مدينة يهوذا ، ودخلت بيت زكريا وسلمت على أليصابات ، وفلما سمعت أليصابات سلام مريم ارتكض الجنين فى بطنها ، وامتلأت أليصابات من الروح القدس وصرخت بصوت عظيم ، وقالت " مباركة أنت فى النساء ومباركة هى ثمرة بطنك فمن أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلى ، فهوذا حين صار صوت سلامك فى أذنىّ ارتكض الجنين بابتهاج فى بطنى . فطوبى للتى آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب " (لو ١ : ٣٩ - ٤٥) .

ونطقت العذراء بتسبحتها المجيدة التى نطالعها فى إنجيل معلمنا لوقا (لو ١ : ٤٦ - ٥٥) .. ومكثت مريم عند أليصابات نحو ثلاثة شهور ، عادت بعدها إلى بيت يوسف فى الناصرة لتخدمه فى هدوء وطاعة وبر .. وعندما لاحظ يوسف علامات الحمل على العذراء ساورته الشكوك ولكنه إذ كان باراً لم يرد أن يشهرها " ولكن فيما هو متفكر فى هذه الأمور إذ ملاك الرب قد ظهر فى حلم قائلا : يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس " (مت ١ : ٢٠) .

وفى تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة فصعد يوسف من الجليل من الناصرة إلى اليهودية إلى بيت لحم ، لكونه من بيت داود ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهى حبلى ، وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد ، فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته فى المذود إذ لم يكن لهما موضع فى المنزل .. وذهب الرعاة إلى المذود يقدمون السجود للوليد بعد أن ظهر النجم السماوى مبشرين أياهم بميلاد المسيا .. ولما تمت ثمانية أيام اختتن الصبى وسُمى يسوع . ولما تمت أيام تطهير مريم حسب شريعة موسى قدمت العذراء الذبيحة التى حسب الناموس .. ثم جاء المجوس وقدموا هداياهم وعادت العائلة المقدسة إلى بيت لحم وظهر الملاك ليوسف فى حلم قائلا قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر

وكن هناك حتى أقول لك (متى ٢ : ١٣) ، وبعد أن أمضت العائلة المقدسة فى مصر الفترة المحددة من السماء . إلى حين موت الذى يطلب الصبى عادت العائلة إلى الناصرة وكان الصبى ينمو ويتقوى بالروح ممتلئاً حكمة وكانت نعمة الله عليه .. وكانت العذراء ويوسف يذهبان كل سنة إلى أورشليم فى عيد الفصح ولما كان الصبى اثنتا عشر سنة صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد وهناك تخلف يسوع ، ولما عادوا يطلبونه معذبين قال يسوع لهم : " ألم تعلما إنه ينبغى أن أكون فى ما لأبى " .. ثم نزل معهما وجاء إلى الناصرة وكان خاضعاً لهما وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور فى قلبها ، وأما يسوع فكان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس " (لو ٢ : ٤٩ ــ ٥٢).

وحضرت مريم العذراء عرس قانا الجليل وطلبت من ابنها أن يتدخل عند فراغ الخمر ، واستجاب الرب لطلبتها وعمل أول معجزة عندما حول الماء خمراً ، وكان خمراً مفيقاً اندهش له رئيس المتكأ .. وكانت أحشاء العذراء تتمزق وهى واقفة عند الصليب مع مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية (يو ١٩ : ٢٥) قائلة فى قلبها " أما العالم فيفرح بقبوله الخلاص ، وأما أحشائى فتلتهب عند نظرى إلى صلبوتك الذى أنت صابر عليه يا ابنى وإلهى " ، ولما رأى يسوع أمه والتلميذ الذى كان يحبه واقفاً قال لأمه يا امرأة هوذا ابنك ثم قال للتلميذ هوذا أمك ، ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته .. وكانت العذراء مع التلاميذ طيلة فترة الأربعين المقدسة ما بين القيامة والصعود مواظبة معهم على الصلاة والطلبة .. وحضرت العذراء يوم العنصرة فى بيت مار مرقس (العلية) .

ولما شاء الرب يسوع أن ينقل والدته الفائقة الطهر إلى السماء . وكان ذلك بعد خمسة عشر عاماً من صعوده ، أرسل إليها ملاكاً يحمل إليها خبر انتقالها ففرحت كثيراً وطلبت أن يجتمع إليها الرسل ، فأمر السيد أن يجمع الرسل من كل أنحاء العالم وأن يذهبوا إلى الجثمانية حيث كانت العذراء موجودة ، وبعدما ودعتهم

حضر ابنها ومخلصها يسوع المسيح وأسلمت روحها الطاهرة بين يديه ، وكان ذلك يوم الأحد ٢١ طوبة ، ورفع الرسل جسدها الطاهر وهم يرتلون مع الملائكة المحتفلين بانتقال أم النور . ويحتفظ لنا التقليد الكنسي أنه بينما الرسل الأطهار يحملون جسدها إلى المكان المعروف بالجثمانية أعترضهم اليهود وهجموا على الفراش المحمول عليه جسد العذراء لكي يطرحوه على الأرض ، ولكن الذى أمتد ليعتدى على الجسد الطاهر انفصلت يداه عنه فصرخ باكياً فتحنن عليه الرسول بطرس وتشفع بالعذراء وعادت إليه يداه ملتصقتين بجسده وآمن الشخص بالرب يسوع وبأمه البتول . ودفنها الرسل بجبل يهوشافاط ، ولما كانت أصوات التسبيح مستمرة لم يستطع الرسل أن يغادروا القبر ، أما توما الرسول فجاء على سحابة وقد رأى جسد السيدة العذراء محمولاً إلى فردوس النعيم ففرح كثيرا وقبل الجسد الطاهر وظل محمولاً على سحابة حتى وصل إلى الرسل ولما دحرج الرسل الحجر عن باب القبر ليطلعوا توما على نياحة العذراء لم يجدوا الجسد فأخبرهم توما بما رآه وطلب الرسل من الرب أن يريهم موضع الجسد ، وبالفعل عاينوا الجسد الطاهر فى الفردوس منتظراً يوم القيامة ومجيء الرب لاختطاف الكنيسة لتكون معه فى المجد .

بركة صلاة أمنا العذراء القديسة مريم فلتكن معنا جميعا آمين .

مختصر الرموز والإشارات عن العذراء فى العهد القديم

١ – **نسل المرأة** : (تك ٣ : ١٥) هو يسحق رأسك وأنت تستحقين عقبه .

٢ – **حمامة نوح** : (تك ٨ : ١١) فأتت إليه الحمامة عند المساء وإذا ورقة زيتون خضراء فى فمها " إشارة إلى الحمامة الحسنة التى ولدت رئيس السلام " .

٣ – **سلم يعقوب** : (تك ٢٨ : ١٢ – ١٣) وإذ سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها . إشارة إلى مريم لأنها حملت يسوع فى بطنها ، وعلى عود الصليب ارتفع الرب ففتح السماء وجعل

السمائيين والأرضيين واحداً " تقول الكنيسة فى تسبحتها : أنتِ هى السلم الذى رآه يعقوب ثابتاً على الارض ومرتفعاً إلى السماء والملائكة نازلون عليه ".

٤ - **العليقة** : (خر ٣ : ٢) ظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق " وهذا إشارة إلى حمل مريم العذراء لنار اللاهوت دون أن تحترق وتظل بتوليتها مصونة . كما تشير إلى اتحاد اللاهوت بالناسوت بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير " ، وفى هذا تقول الكنيسة فى تسبحتها أنتِ هى العليقة التى رآها موسى متقدة بالنار ولم تحترق كذلك أن اللاهوت لم يحرق جسدك.

٥ ــ **عصا هرون** : (عد ١٧ : ٨) ، وأفرخت فروخاً وأزهرت زهراً وأنضجت لوزاً . العصا تشير إلى مريم التى ولدت الرب يسوع على مستوى معجزى .

٦ ــ **مجمرة هرون** : (عد ١٦ : ٤٦) ثم قال موسى لهرون خذ المجمرة وأجعل فيها ناراً من على المذبح وضع بخوراً .. المجمرة الذهب النقى هى العذراء .. الجمر يشير إلى العليقة التى رآها موسى النبى فى البرية والنيران تشعل جواها مثال أم النور طوباها . حملت جمر اللاهوتية تسعة أشهر فى أحشاها ولم تمسسها بأذية .. اللاهوت والبخور هو رئيس الكهنة الاعظم الذى أصعد ذاته ذبيحة وقرباناً مقبولاً على الصليب ، اشتمه الآب السماوى على الجلجثة وقت المساء ، والرائحة العطرة التى فاحت هى ولادة المسيح وكرازته للعالم . وتقول الكنيسة الترنيمة عن هذا الرمز .

٧ ــ **تابوت العهد** : (خر ١٥ : ١٠ ــ ١١) ، من خشب السنط وتغشيه بذهب نقى من داخل وخارج ، خشبه لا يسوس إشارة إلى بتوليتها الدائمة . كسوته بالذهب من الداخل والخارج أشارة إلى طهارة مريم واتحاد اللاهوت بالناسوت ، احتواء التابوت على المن إشارة إلى حمل العذراء بالمسيح المن الحقيقى السماوى .

٨ ــ **قسط المن** : (خر١٦ : ٣٣) وقال موسى لهرون خذ قسطاً واحداً واجعل فيه ملء العمر منا وضعه أمام الرب للحفظ فى أجيالكم " مريم قسط المن الذهب الحاملة المن العقلى خبز الحياة ".

٩ ــ **صخرة حوريب** : (حز١٧ : ٦) ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة فى حوريب فتضرب الصخرة ، فيخرج منها ماء ليشرب الشعب ". إشارة إلى العذراء الذى خرج منها المسيح بمعجزة ، وهو الماء الحى الذى كل من يشرب منه لا يعطش. (١كو ١٠ : ٤) .

١٠ ــ **نبوءات أشعياء منها** : (أش ٧ : ٤) " ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل ". ومنها أنتِ هى السحابة الخفيفة التى ركبها الله " هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر " (أش ١٩ : ١) .

١١ ــ **الباب الخارجى** : فى نبوءة حزقيال (حز ٤٤ : ١ ــ ٢) ثم ارجعنى إلى طريق باب المقدس الخارجى المتجه للمشرق وهو مغلق فقال لى الرب هذا الباب يكون مغلقا لايفتح ولا يدخل منه إنسان لأن الرب إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً "هذا إشارة إلى بتولية العذراء الدائمة " .. تقول الكنيسة فى التسبحة " مريم العذراء هى الباب الذى رآه حزقيال مغلقا لا يفتح ولا يدخل منه إنسان لأن الرب إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقا " .

١٢ ــ **حلم دانيال** :(٢١ : ٣٤) . كنت أنظر إلى أن قطع حجر بغير يدين ، الحجر الذى قطع من جبل بغير يدين يشير إلى المسيح المولود من البتول الجبل الثابت بغير زرع بشر ــ مملكته التى ستحل محل المملكة الرابعة لا تزول وتثبت إلى الأبد .. تقول الكنيسة " أنت هو الجبل الذى رآه دانيال وقد قطع منه حجر ملأ كل الأرض الذى هو المسيح دون أن تلمسه يد إنسان البتة .

١٣ ــ **كل ما قيل عن صهيون** : فى مزامير داود (مز٤٩ : ٢ ، مز٧٥ : ١) ، (مز ١٣١ : ١٠ ، مز ٨٦ : ٥) .

تأملات فى فضائل العذراء مريم

العذراء وحياة التكريس

إن كلمة مكرس تعنى مخصص أو مُفرز وقد كانت العذراء مكرسة لله منذ ولادتها وهى نذيرة للرب تحقق فيها القول الإلهى " أختى العروس جنة مغلقة عين مقفلة ينبوع مختوم " . وكما كانت خيمة الاجتماع مكرسة لله بكل ما فيها لا يستطيع أن يدخلها إلا اللاويون ، هكذا كانت العذراء مكرسة للرب لم يدخلها ولم يخرج منها إلا ابن الله الكلمة الأقنوم الثانى . عاشت مكرسة لله فى طفولتها الأولى فى الهيكل ونذرت حياة البتولية ، وهذا هو سر سؤالها للملاك جبرائيل عندما بشرها بميلاد يسوع : " كيف يكون لى هذا وأنا لست أعرف رجلاً ؟ " وعاشت بتولة قبل الحمل وأثناء الحمل وبعد الوضع . لأجل هذا تطلق عليها الكنيسة لقب الدائمة البتولية وترفض الكنيسة آراء بعض الخارجين عن الإيمان الرسولى القائلين بأن العذراء تزوجت بعد ميلادها بالمسيح وإن أخوة يسوع المذكورين فى الإنجيل إنهم أخوته فعلاً . والحقيقة أنهم أولاد كلوبا (حلفا) أخى يوسف من زوجة هى مريم أخت العذراء ، والذى يتأمل فى نبوة حزقيال (حز ٤٤ : ١ ــ ٢) ونبوءة أشعياء (أش ٧ : ١٤) ، يدرك كيف أن العذراء عاشت بتولة طيلة حياتها .

والتكريس أنواع ثلاث

هناك تكريس شكلى مثل تكريس يهوذا الإسخريوطى الذى كان يبدو تلميذاً للمسيح مكرساً بينما هو خائن وسارق .

وهناك تكريس ناقص مثل حنانيا وسفيرة اللذان رغبا فى أن يظهرا مثل برنابا وباقى الرسل بينما خانهما الإيمان وأرادا أن يحتفظا ببعض الأموال .

وهناك تكريس حقيقى ، والعذراء مريم هى نموذجه المثالى ، إذ كانت مكرسة فى جسدها وبتوليتها ومكرسة فى فكرها ومشاعرها وروحها .. لقد كانت ذبيحة حية مقدسة مرضية أمام الله .

والكنيسة للمسيح هى أيضاً مكرسة بالتمام مثلما كانت العذراء ، وفى هذا

يقول الرسول بولس " لأنكم اشتريتم بثمن فمجدوا الله في أجسادكم " (١ كو ٦ : ٢٠). وفي موضع آخر يقول " وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام " (٢ كو ٥ : ١٥) .

وحياة التكريس تتحقق فينا عندما نخرج على العالم كما خرج شعب إسرائيل كله من أرض مصر وعبر عن هذا موسى النبى بقوله أمام فرعون "لا يبقى ظلف"، فإذا حرصنا على الخروج الكامل وإعطاء القلب الكامل للرب تسير أقدامنا في درب التكريس . يطلب داود النبى لأجل ابنه : اعطه قلباً كاملاً ليحفظ وصاياك شهادتك وفرائضك . وفى موضع آخر يطلب لنفسه ليكن قلبى كاملاً فى فرائضك . واستناد القلب الكامل على الرب يعنى ببساطة خضوعه له تماماً إذ يستريح فى وصايا الرب وينقاد بالتمام إلى ما يقوله الروح حتى يثق المؤمن أنه محمول على الرب الذى يعمل فيه .

إن حياة التكريس التى عاشتها العذراء هى حياة أولاد الله وهى تتحقق فى الخروج عن العالم ، وفى طاعة الوصية والعبودية للبر ، وفى الشهادة الكاملة للحق فى حياتنا " لهذا ولدت ولهذا أتيت لأشهد للحق " .

العذراء وحياة الطاعة

هوذا أنا أمة الرب

كانت حياة العذراء مريم حياة الطاعة الكاملة للرب . ففى بشارتها من الملاك أطاعت ما قاله لها ، وفى ولادة ابنها فى المذود أطاعت فى اتضاع ورضى بالغين، وفى هروبها إلى أرض مصر فى ظروف قاسية مع رجلها يوسف وابنها الوليد يسوع أطاعت ولم تتذمر .. وفى تحملها حياة الفقر والضنك الشديد فى الناصرة أطاعت دون دمدمة أو ضيق ، وفى ترك ابنها لها لكى يخدم فى اليهودية والجليل أطاعت فى استسلام مبارك .

على أن طاعة العذراء كانت تتميز بالسمات الآتية التى هى سمات طاعة أبناء النور لفاديهم ومخلصهم :

كانت طاعة حب . إنها طاعة البنين وليست طاعة العبيد . الطاعة التى تستمد قوتها من طاقة الحب المشتعل فى القلب كما أطاع الابن الآب وبذل ذاته لأجل خلاص العالم .

وكانت طاعة فى إطار الحق لأن طاعة المسيحى ليست طاعة لإنسان ما وإنما هى طاعة الحق وحده . لأجل هذا كانت العذراء تطيع ابنها ليس لأجل رابطة الدم وحده وإنما لأنه هو الحق ذاته ، وكان الرب يسوع يكرم أمه ليس لأجل رابطة الدم وحدها ولكن لأنها هى أفضل من عرف إرادته ومشيئته وأطاعت الحق الذى فيه .

وكانت طاعة منفتحة واعية مستنيرة إذ يقول الكتاب إنها كانت تحفظ كل الأمور الخاصة بالخلاص فى قلبها ، وكانت تتأمل كل الأحداث والأقوال متفهمة مقاصد الثالوث القدوس على أعمق ما يكون التفهم والوعى والاستنارة . والطاعة فى حياة المسيحى ينيرها الروح القدس إذ أن الكتاب يذكرنا أنه لنا مسحة من القدوس تعلمنا كل شئ ، تعلمنا الحق وهى ثابتة فينا ولا حاجة بنا إلى أن يعلمنا أحد بل كما تعلمنا هذه المسحة عينها عن كل شئ وهى حق وليست كذباً (١ يو ٢ : ٢٧) .

فالروح القدس الذى فينا هو الذى ينير لنا الطريق ويقودنا فى طريق الحق حتى تصبح طاعتنا ليست لآخر سوى الحق وحده " الذين ينقادون لروح الله فأولئك هم أبناء الله " .

ولكى ندرك أهمية الطاعة نتأمل فى هذه الآيات :

+ " صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدى " (عب ٥ : ٩) .

+ " طهروا نفوسكم فى طاعة الحق بالروح للمحبة الأخوية العديمة الرياء فأحبوا

بعضكم بعضاً من قلب طاهر بشدة " (١ بط ١ : ٢٢) .

+ " لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً " (رو ٥ : ١٩) .

+ " أنتم عبيد للذى تطيعونه إما الخطية للموت أو الطاعة للبر فشكراً الله أنكم كنتم عبيداً للخطية ولكنكم أطعتم من القلب صورة التعليم التى تسلمتموها . وإذا اعتقتم من الخطية صرتم عبيداً للبر " (رو ٦ : ١٦ - ١٨) .

ويشير الآباء دائما إلى طاعة العذراء كصورة مقابلة لتمرد حواء . فإذا كانت حواء الأولى خالفت الله فإن مريم أطاعته وبذلك تكون مريم قد حلت بطاعة ما ربطته حواء وإذا كان لسبب تمرد حواء قد أغلق باب الفردوس فإنه بسبب طاعة مريم العذراء قد فتح لنا مرة أخرى ، واستحققنا أن نأكل من شجرة الحياة وإذا كانت العذراء قد استطاعت بالنعمة وعمل الروح القدس وجهادها المثابر ونسكها الشديد أن تستمع دائما لصوت الله فى قلبها وتطيعه بالتمام فنحن أيضا مدعوون إلى هذه الحياة أن نستمع ونطيع " طوبى لآذانكم لأنها تسمع " ونستطيع أن نتعرف على الحق من خلال مخدع الصلاة وفى فترات الخلوة والاعتكاف ومن خلال قراءة الكتاب المقدس بروح الصلاة والخشوع والتلمذة والاشتياق للتعرف على الحق ومن خلال الجلسات الروحية مع آباء الاعتراف والمرشدين الروحيين المخلصين . وإذا كانت معطلات روح الطاعة هى الذاتية والأنانية وقساوة الرقبة وغلاظتها والانعطاف إلى كلام الناس والاستماع إليهم والتعامل على مستوى الأقيسة العقلية ، فإن المؤمن الحقيقى الذى سلم حياته للرب ووضع فى قلبه ألا يستشير إلا صوت الحق وحده والذى تمرس فى درب الطاعة وتتلمذ للروح ونما فى معرفة مسالكه ، فإنه هو وحده الذى تمتد طاعته لتكمل فى الحب والبذل الكامل والفدية حتى الموت .

وإذا كنا أحيانا نسلك فى ضباب لا نرى الطريق وتتضارب أمامنا الأهداف والمقاصد والطرق والوسائل فنحن نحتاج إلى فحص شديد للذات وطرد لكافة كلام

الناس واستعداد واضح لإهلاك المشيئة الشخصية لكى يطاع الله أكثر من الناس .

العذراء وحياة التأمل

يقصد بحياة التأمل تكريس الإنسان عقله وقلبه لحب الله والابتعاد عن اهتمامات العالم للاتحاد بالله حتى أن العقل لا يجد مسرة فى شئ سوى الصلاة ورؤية الله . إن حياة التأمل هى حياة التفرس فى مجد الله والتلامس معه فى الصلاة الدائمة الداخلية ، والتعمق فى فهم مقاصد الله فى آيات الكتاب المقدس بهدوء ورويه " فى ناموسه يلهج ليلاً ونهاراً " .

إن العذراء مريم تمثل النموذج الرائع لحياة التأمل إذ يقول الكتاب المقدس عنها " وأما مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به فى قلبها " (لو ٢ : ١٩) ، ويوضح التقليد الكنسى كيف عاشت القديسة مريم مختزنة فى قلبها الطاهر جميع الاختبارات الروحية العظيمة التى جازتها مع ابنها يسوع المسيح ، وكانت عاكفة مع الرسل وبالأخص يوحنا على الصلاة والطلبة والتسبيح والشكر والتأمل فى مقاصد الله العجيبة نحو خلاصنا .

وقد أورد لنا كتاب حياة الصلاة الأرثوذكسية فصلاً عن حياة التأمل وحياة العمل يوضح بجلاء سمات كل نوع منهما . ونقتطف منه قولاً للقديس أوغسطينوس : ليكن المشتغلون بحياة الخدمة فى هذا العالم بعيدين كل البعد عن محبة الكرامة ومظهر القوة وإنما العمل ذاته الذى يؤدونه إذا ما كان لصالح الآخرين كما يجب وواسطة لخلاص النفوس بالحق فحينئذ يكون هو الحق والكرامة والقوة معا . ولكن يجب أن لا يعاق أحد عن متابعة التأمل ومعرفة الحق الذى هو عين العمل المستحق كل مديح . إن محبة الحق هى التى تدفعنا لنسعى نحو الفراغ والهدوء المقدس ، وضرورات الخدمة تجعلنا نحمل عبء المشغوليات المقدسة .

يقول القديس إغريغوريوس الكبير عن كيفية ممارسة حياة التأمل فى وسط العمل والخدمة إنه حينما يُرغم القديسون لضرورة العمل فيشتركون فى الخدمات

الخارجية تجدهم على الدوام يركزون ذواتهم بهمة فى فحص وتفتيش أسرار قلوبهم، وهكذا تجدهم على الدوام مرتفعين بسمو أفكارهم الداخلية ، وحينما يفرغون من شغب الأعمال الزائلة تجدهم عند قمة تأملاتهم يفحصون فى أحكام الإرادة الإلهية .

وإذا كانت المشكلات التى تقابلنا فى حياة التأمل هى الصخب والضجيج وكثرة الارتباكات والهموم وكلام الناس فإن هذه كلها تنحصر فى ضعف لواعج الحب وانشغال النفس بذاتها وبعدها وزوغانها عن مخلصها وعريسها .

نحتاج إلى أن نسمع قول الحكيم " يا ابنى احفظ وصايا أبيك ، ولا تترك شريعة أمك . اربطها على قلبك وقلد بها عنقك " (جا ٤ : ١) . ومع داود نرنم قائلين سبع مرات فى النهار سبحتك على أحكام عدلك ، طوبى للرجل الذى فى ناموس الرب إرادته وفى ناموسة يلهج نهاراً وليلاً .. يارب افتح شفتاى ولينطق فمى بتسبيحك .. اشتقت إلى خلاصك يارب وناموسك هو لهجى ، تحيا نفسى وتسبحك وأحكامك تعيننى ..

ولنذكر قول القديس أوغسطين إن التأمل فى الله هو الكل فى الكل ، وأن يكون نصيب الإنسان أعظم من هذا إذ فيه كل استنارة وفرح وسعادة .

مكانة العذراء عند الرب يسوع

تتضح هذه المكانة العظيمة التى للسيدة العذراء عند الرب يسوع فى العناصر الرئيسية الآتية :

١ــ لقد حل فى بطنها الطاهرة وارتضى أن تكون له أماً بالجسد .

٢ــ طاعة الرب يسوع له المجد لها وهو طفل فى الجليل والناصرة .

٣ــ احترام الرب يسوع لطلبة أمه فى قانا الجليل .

٤ــ هى أمه ليس لأنها ترتبط به رباطاً جسدياً فقط ، ولكنها روحياً هى قديسة فى كل شئ . لقد استطاعت بالروح القدس أن تطيع مشيئة الآب فاستحقت أن تكون

للمسيح أماً . لأن الرب يقول " من هم أبي وأمي وأخي وأختي إلا الذين يصنعون مشيئة أبي " .

٥- تكريم الرب يسوع لأمه على الصليب وتسليمه إياها ليوحنا ، التلميذ الذى كان يحبه .

٦- عند نياحتها نزل من المجد بنفسه وحمل روحها الطاهرة .

٧- أصعد جسدها الطاهر إلى السماء انتظاراً لساعة القيامة .

٨- هيأ لها الرب مكانا فى مجده عن يمينه إذ يقول المزمور " جلست الملكة عن يمين الملك " .

ومن هذا نتبين كيف أن الكنيسة تكرمها وتعطيها التطويب قبل رؤساء الملائكة وجميع الخلائق الروحية وكافة القديسين والقديسات لما لها من مكانة فريدة عند الرب يسوع .

مكانة العذراء فى الكنيسة الارثوذكسية

مركزها فى العقيدة والإيمان الأرثوذكسى

لمريم العذراء مركز فريد فى اللاهوت الأرثوذكسى فهى التى نخاطبها فى مقدمة قانون الإيمان .

" نعظمك يا أم النور مريم والدة الإله لأنك ولدت لنا مخلص العالم أتى وخلص نفوسنا " . فهى والدة الإله وهى أم النور . وهى التى نخاطبها فى صلوات الاجبية " إذ ليس لنا دالة ولا حجة ولا معذرة من أجل كثرة خطايانا . فنحن بك نتوسل إلى الذى ولد منك يا والدة الإله العذراء لأن كثيرة هى شفاعتك ومقبولة عند مخلصنا . أيتها الأم الطاهرة لا ترفضى الخطاة من شفاعتك عند الذى ولد منك لأنه رحوم وقادر على خلاصنا " . ويتضح لنا مركز العذراء فى الكنيسة الأرثوذكسية من خلال ألقابها " والدة الإله ــ دائمة البتولية ــ أم النور ــ القديسة فى كل شئ أم جميع الأحياء ــ شفيعة جنس البشرية " ، وكذا فى المواضع التى فيها تكرم

الكنيسة العذراء مريم وتطوبها فى التسبحة وفى القداس مثل ذكر نعظمك يا أم النور وكذا ذكرها فى الهيتينيات ، ومرد بشفاعات والدة الإله ، وألحان السلام لمريم الملكة ، أساساته فى الجبال المقدسة ، المجمرة الذهب النقى الحاملة العنبر ، السلام لك يا مريم الحمامة الحسنة ، افرحى يا مريم العبدة . هذا بالإضافة إلى ألحان أخرى كثيرة تقال فى مناسبات الأعياد الكنسية وفى أعياد العذراء نفسها وهى :

١ - عيد ميلادها " ٩ مايو ــ ١ بشنس"

٢ - عيد دخوله الهيكل " ١٢ دسيمبر ــ ٣ كيهك "

٣ - عيد نياحتها " ٢٩ يناير ــ ٢١ طوبة "

ويكرر هذا العيد فى كل يوم ٢١ من كل شهر قبطى على مدار السنة .

٤ - عيد فتح قبرها والتحقق من صعود جسدها "٢٢ أغسطس ــ ١٦ مسرى "

٥ - عيد بناء أول كنيسة فى العالم باسمها "٢٨ يونيو ــ ٢١ بؤونه "

٦ - شهر كيهك كله ويسمى الشهر المريمى وترتل فيه الإبصاليات (تسابيح) والتذاكيات وهى تمجيدات وتطويبات العذراء مريم والدة الإله .

وتكرم الكنيسة العذراء أيضا فى طقس بناء الكنيسة إذ تزين جدرانها بأيقونات للعذراء مريم وبالأخص على حجاب الهيكل إذ يلزم أن تحتوى كل كنيسة أرثوذكسية على أيقونة خاصة بالعذراء مريم حاملة السيد المسيح .

كما تكرم الكنيسة القبطية ظهور العذراء فى كنيسة الزيتون وقد أصبح يوم ٢ أبريل عيداً من أعياد الكنيسة القبطية تذكاراً لتجلى العذراء بالزيتون . فالكنيسة القبطية تكرم العذراء فى إيمانها وفى عقيدتها وفى تسابيحها وفى القداس الإلهى وفى الطقس والفن وفى تذكار الأعياد الكثيرة حتى تنفذ ما قالته العذراء إن جميع الأجيال ستطوبها .

كيف نكرم العذراء ونطوبها ؟

إنها نطقت بإرشاد من الروح القدس قائلة " هوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى " فتكريمنا لها استجابة واجبة لنداء الروح على مر العصور والأجيال ،

وهى مستحقة هذا التكريم والتبجيل لأنها والدة الإله العذراء القديسة وهى أمنا كلنا التى تشفع من أجلنا أمام عرش ابنها الوحيد وهى نموذج للطهارة والعفة والبتولية . لأجل هذا استحقت أن تسمى من الكنيسة السماء الثانية .

وهى تستمد كرامتها من ابنها الذى كرست حياتها له فمن يطيع ابنها ويقدسه إنما يطوبها ، وهى قد عاشت حياة العفة والطاعة والفقر الاختيارى والاتضاع الحقيقى فمن يحيا مثلها يشترك معها فى تطويب حياتها التى قدمتها ذبيحة مقدسة للرب يسوع وهى رسالة فرح وبشرى خلاص فمن يحيا فى التهليل والتسبيح والشكر يشترك معها فى الطوبى الجزيلة التى تستحقها . ولنحذر أن نقع فى أحد طرفين : طرف وقع فيه البروتستانت عندما أنكروا تطويبها وأهملوا تكريمها ، وطرف آخر وهو التباهى الجسدى بها وبروز الشعور أننا نمتلكها ونفخر بظهورها فى كنيسة الزيتون لنتكبر بها على الآخرين وتنتفخ ذواتنا ويتأكد تعصبنا الطائفى بدلاً من أن ننسحق اتضاعاً وخشوعاً وكرازة .

فلننهض مع آبائنا الأولين فى تطويبها بالمثابرة على التسبيح بالثؤطوكيات ولنتشفع بها فى كل صلاة ، ولتزين صورتها بيوتنا ولنعلم أولادنا كرامتها حتى يشب الجيل على احترامها وتطويبها ويستحق أن يكون من الأجيال التى تتشرف بتكريمها .

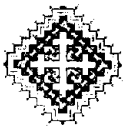

موسوعة حياة ومؤلفات

نيافة الحبر الجليل مثلث الرحمات

الأنبـا بيمـــــن

أسقف ملوى وأنصنا والأشمونين

المجلـــــــد الأول : **حياة الأنبا بيمن (من التعب إلى المجد)**

المجلـــــد الثـــانى : **الأصوام والأعياد (الجزء الأول)**

١ــ الصوم الكبير .

٢ــ صوماً روحانياً .

٣ــ التجسد الإلهى .

٤ــ مجد وسلام ومسرة .

٥– ذهباً ولباناً ومراً .

٦ــ الميلاد الثانى .

٧ــ القيامة ومشكلات الشباب .

٨– القيامة وحياتنا الروحية .

٩– عيد الصعود الإلهى .

١٠ ــ السماء الثانية .

المجلـــــد الثـــالث : **الأصوام والأعياد (الجزء الثانى)**

١ــ دراسات وتأملات فى الأصوام والأعياد .

٢ــ الأنبا بيشوى .

٣ــ مقتطفات من الأعياد .

المجلـــــد الرابـــع : **دراسات وتأملات فى الكتاب المقدس**

١ــ الوصايا العشر .

٢ــ صوت الرب .
٣ــ تأملات فى إنجيل يوحنا .
٤ــ تأملات فى سفر أعمال الرسل .
٥- تأملات فى تيموثاوس + كولوسى .
٦- تأملات فى يعقوب + بطرس الأولى .
٧- تأملات فى ألقاب المسيح ووظائفه .
٨- تأملات فى شخصيات من الكتاب المقدس .

المجلــد الخـــامس : الخدمة

١ــ الخدمة فى القرية .
٢ــ خدمة الشباب .
٣ــ الشعور الدينى فى الطفولة والمراهقة .
٤ــ مستويات تدريس الأعياد .

المجلــد الســـادس : الشباب والأسرة

١ــ قضايا شبابية واجتماعية .
٢ــ الرؤية المسيحية للعمل .
٣ــ المسيحية وبناء الشخصية .
٤ــ الإرادة فى حياة الشباب .
٥- المسيحى وروح العصر .
٦ــ الأسرة المسيحية .
٧- الطفولة من منظار مسيحى .
٨- الحياة العائلية .
٩ــ الحياة الاجتماعية .

المجلــد الســـابع : التدين السليم

١ــ التدين السليم .
٢ــ العبادة المقبولة .
٣ــ مسيح الكون كله .
٤ــ الجهاد الروحى .
٥- الحياة الباطنية .
٦ــ الفضائل .

المجلد الثـــــامن : التربية المسيحية

المجلـد التاســـع : حياة العفاف

١ــ العفاف المسيحى .

٢ــ سر الحب .

٣ــ المسيحية والجسد .

٤ــ الجنس مقدساً .

المجلـد العاشـــر : وسائط النعمة وموضوعات روحية أخرى

١ــ أعظمهن المحبة .

٢ــ كيف أمارس سر الاعتراف ــ والمرشد إلى الاعتراف .

٣ــ كيف أبدأ .

٤ــ الروحانية الأرثوذكسية .

٥- الناموس والنعمة .

٦ــ علامات الكنيسة .

٧- نريد أن نرى يسوع .

٨- يمين الرب .

٩ــ الغيرة المقدسة .

١٠ــ ولم يحبوا حياتهم .

١١ــ إرادة الله وحياتنا .

١٢ــ ظاهرة الهجرة .

١٣ ــ الاكتشاف الثالث .

١٤ــ أين أنت .

١٥ ــ المسيحية إلتهاب .

المجلد الحادى عشر : المناهج للمرحلة الإعدادية السنة الأولى .

المجلد الثانى عشر : المناهج للمرحلة الإعدادية السنة الثانية .

المجلد الثالث عشر : المناهج للمرحلة الإعدادية السنة الثالثة .